

Bibliotheca Alexandrina



0119124

زُفْتُ الدُّنَا
فِي مَحْضَرِ الشَّعْهَرِ

تأليف
أبي البقاء عبد الله البدرى
من علماء القرن التاسع الهجرى

الناشر
دار الراءد العربي

بيروت - لبنان
ص ب ٦٥٨٥

جميع الحقوق محفوظة
١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

الطبعة الأولى
١٩٨٠ م

خطبة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

الحمد لله الذي جعل الشام في وجه الارض شامة خضراء، وزان عاطله بحالي عيون تروي قلب الصادي وتشرح له صدرا. وأجرى ماءها الفضي على ثراء كالذهب، وحلى به حصباء در لم يكن فيه مخشاب. وأدار من الماء خلاخيل على سوق أصول الاشجار، وقلد أجياذ فروعها بيواقيت اثمار توجت رؤوسها بأكليل جواهر الأزهار. وأرسل كف النسيم بمشط المطر فسرح فروع رؤوس عرائس الغصون، وجملها بحلل ذات اكمام من سندس أخضر ومعصفر صبغة صنعة من هم له ساجدون.

أحمده حمدا كثيراً حيث صبح اللوز بأمره على بعضهن عاقد، وبعضهن أثقلها الحمل من الجوز فامست بارادته بعد قيامها تتقاعد. وبعضهن من باسقات النخيل من طرحته بقدرته ثمرة الفؤاد. وأجرى لطفه في بعضهن حيث ارتخت نهودها كالرمان هائمة بحضنهن في كل واد.

وأشكره شكراً مزيداً مذ عطف الطل على طفل أمهات السفرجل فيرضعه وهو يشرب، وأسبل ستره على من رفعت كفوفها كورق الكرمة لما امتدت وعليها العنب زبيب. ومنهن من عمها بالحيا فاحمر خدها كالتفاح، ومنهن من نكست رأسها من الهيبة كالكمثري فاكسبها عرفاً طوت شقق نشره أيدي الرياح.

سبحانه أوجد بها اجناسا ذات انواع تسقى بماء واحد، وجاد لعليلها من انواء
السحاب وشعاع النيرين بصلة وعائد. فجعل قطوفها دانية لأحبائه، وقدس أرضها
اذ هي مرتع ومربع لاصفيائه. وحباها لسكنى الانبياء، واختارها موطناً لعباده
الاولياء.

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة عبد تقي يرجو بها في غد التفكه
في رياض الجنان مع مزيد الانعام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي اخترق
السبع الطباق بنور أضواء منه قصور بصرى من أرض الشام. ذو الشرف الاعلى
السني الجبهة الواضح الجبين، الذي أنزل عليه «وأويناهما الى ربوة ذات قرار
ومعين».

اللهم فصل وسلم عليه ما دامت الشام عامرة بحديثه الشريف الماحي لصور
الكفر الواهية، وعلى آله وأصحابه الذين تعاونوا على البر والتقوى في فتحها فمنهم
من أخذ شطرها الشرقي عنوة ومنهم من اخذ الشطر الغربي صلحاً من باب الجابية.

وبعد فقد سألتني أيها الأخ الأجد، والحبيب الأسعد العاشق في محاسن الشام على
السماع، والمتشوق المتوق الى بديع مرآها المشنف ذكره للاسماع، أن اعللك
بخبرها لعدم العيان، وان اقربها اليك بوصف يلذه قلب الهائم الوهان. وهل أنا إلا
قسيمك في الشوق والهيام، وحليفك في الحب والغرام.

وليس بتزويق اللسان وصوغه

ولكنه ما خالط اللحم والدم

غيراني رُميت منها بعد الوصل بقطيعة صدها، كأني اذنبت في حالة القرب فاذبتي
بهجرها وبعدها.

عشنا زمانا وليس الوصل يقنعنا

واليوم ادنى خيال منك يرضينا

أي والله

وما قلت ايه بعدها لمحدث

من الناس الا قال قلبي آها

كيف لا وهو
بلد صحبت به الشبيبة والصبا
ولبست ثوب العز وهو جديد
فاذا تمثل في الضمير رأيت
وعليه أغصان الشباب تميد
أستغفر الله هي مسقط رأسي، ومجمع أهلي وناسي.
وملعب خلاني واخواني.
سقا الله شاماً كان فيها اجتماعنا
بأحبابنا النائين مغدودقا سكبا
وروى ثراها من دموعي مسبل
كبحر فاني أستقل لها السحبا
منازل أحبابي ومربع جيرتي
وأوطان اخواني ومن كان لي تريبا
لعمري لئن شطّ المزار وأصبحت
منازلهم شرقا ومنزلنا غربا
فاني على بُعد الديار وقربها
أسرُّ لهم حبا وأبدي لهم حبا
يهيج أشواقني من البرق لامع
ويبعث اشجاني النسيم اذا هبّا
ويذكرني ليلات وصل تصرّمت
حمام النوى نوحا فاسعده ندبا
ليالي اعطيت البطالة حقها
ورحت بما يقضيه حكم الصبي صبا
اعاطي الهوى الصحب الكرام وبيننا
أحاديث آداب أرق من الصهبا

عسى ما مضى من شملنا أن نعيده
ونصبح في أفق ونمسي به شهباً
كيف أخفي ذلك، وقد سبق في علم الله ما كان حمداً وشكراً على حب الوطن،
فانه من الإيمان .

وما عن رضى كانت سليمى بديلة
بليلى، ولكن للضرورات أحكام

نعم

شكوت وما الشكوى لمثلي عادة
ولكن تفيض العين عند امتلائها
فأجبتك أيها السائل اذ هيجت عندي من الدموع بحار الاشتياق . وواسيتك أيها
العاشق اذ أتيتك بخبر المعشوق ولعل الخبر يكون وصله في التلاق، وقد فصلته لك
في هذه الأوراق . وهو من جملة ما عندي، وقدمت لحضرتك السامية ثروة ما ملكه
اللسان من جواهر حفظها القلب في صندوق الصدر وأوردتها بخط يدي . وما هي
إلا صباة من صب، وقطرة من جفن نازح حب
وما تناهيت في بشي محاسنها
الا وأكثر مما قلت ما أدع

لعلمي أن محاسن (دمشق) كثيرة لا تستقصى، وأوصاف صفاتها تتضاعف
أعدادها ولا تحصى . قصرت عن استيفائها أرباب التواريخ المطولة الحسنة، وحفيت
سوابق فحول أقلامهم في ميادين الطروس أن يدركوا حصر بعضها في مصنفاتهم
المدونة . لكن بحمد الله جاءت هذه النبذة حديقة يترنم بها الخاطر، ويتنزه فيها
الناظر ولهذا سميتها «نزهة الأنام في محاسن الشام» .

والله تعالى أسأل أن يعوضنا عن ضيق هذه الدنيا الجافية، بالدخول الى جناته
الواسعة الرفيعة، وان يمتعنا فيها بفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة . ان شاء الله
تعالى بكرمه ومنه وأمنه ويمنه .

مَا وَرَدَ مِنَ الْحَدِيثِ فِي الشَّامِ

فمن محاسن الشام ما ورد فيها من رواية أبي داود في سننه عن عبدالله بن حوالة قال رسول الله ﷺ «انكم ستجندون بعدي أجنادا ثلاثة: جنداً الى اليمن، وجنداً الى الشام، وجنداً الى العراق» قال عبدالله «خبرني يا رسول الله» قال: «عليك بالشام. فانها خيرة الله في أرضه يجتبي اليها خيره من عباده. وان الله قد تكفل لي بالشام وأهله» قال أبو ادريس الخولاني ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه.

وقال رسول الله ﷺ «ستفتح عليكم الشام فعليكم بمدينة يقال لها (دمشق) هي خير مدائن الشام، وفسطاط المسلمين بأرض منها يقال لها الغوطة».

وقال ابو هريرة رضي الله عنه: «أربع مدائن من مدائن الجنة وأربع مدائن من مدائن النار. فأما مدائن الجنة فمكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق، وأما مدائن النار فالقسطنطينية وطبرية وانطاكية المحترقة وصنعاء».

قال ابو عبدالله السقطي ليس هي صنعاء اليمن وانما هي صنعاء بأرض الروم. وانطاكية المحترقة انما سميت بذلك لأن العباس بن الوليد بن عبد الملك أحرقها. وهو من فضائل الشام للربيعي. وهو عند كعب الاحبار أيضا من طريق آخر. انتهى.

والحديث المبدأ به رويناه من حديث أبي مسهر عبد الاعلى بن مسهر عن سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي ادريس الخولاني عن عبدالله بن حوالة الازدي رضي الله عنه، قال شيخ الاسلام وأمير المؤمنين في الحديث شهاب الدين احمد بن حجر رحمه الله تعالى وهو حديث حسن مسلسل بالدمشقيين وهو عن النبي ﷺ قال «انكم ستجندون أجنادا ثلاثة. جنداً بالشام، وجنداً بالعراق، وجنداً باليمن» قال الحوالي «خبرني يا رسول الله» قال «عليكم بالشام فمن أبي فليلحق بيمنه ويسق من غدره فان الله قد تكفل لي بالشام وأهله» فكان أبو ادريس الخولاني اذا حدث بهذا الحديث التفت الى ابن عامر فقال «من تكفل الله تعالى به فلا ضيعة عليه» انتهى والله تعالى أعلم.

ومن محاسن الشام هذا الحديث القدسي الذي ورد فيها عن كعب الاحبار رضي الله عنه قال «إنا نجد في كتاب الله تعالى، يعني التوراة أن الارض على صفة النسر فالرأس الشام والجناح الايمن الغرب والجناح الايسر الشرق وهو العراق وخلف العراق أمة يقال لها واق وخلف واق أمة يقال لها واق واق. وخلفها من الأمم ما لا يعلمه الا الله تعالى. والظهر السند وخلف السند الهند، وخلف الهند أمة يقال لها مسند وخلف ذلك من الأمم ما لا يعلمه الا الله تعالى. والذنب اليمن فلا يزال الناس بخير ما لم يقرع الرأس فاذا قرع الرأس هلك الناس».

اشتقاق اسم الشام

قال بعض الشراح والمؤرخين والمفسرين انما سميت الشام شاما لان قوما من بني كنعان نزلوها فتشاءموا اليها فسميت شاماً لذلك .

وقالت طائفة انما سميت شاماً لما تشاءم لها أهل اليمن من يمنهم كما يقال تيامنوا أو تياسروا فسميت بذلك .

وقال قوم انما سميت شاماً لأن بني اسرائيل قتلوا بني كنعان ونفوا ما بقي منهم فصارت لهم ، ثم وثب الروم على بني اسرائيل فقتلوهم وأجلوا من بقي عنها الى العراق الا قليلا منهم ، ثم جاءت العرب فقتلت الروم وسبتهم وهرب من سلم منهم الى بلاد الروم ، واستمرت بيد أولاد العرب الى يومنا هذا .

قال الجوهري يذكر ويؤنث ورجل شامي وشام على فعال وشامي أيضا حكاه سيبويه رحمه الله تعالى عليه ولا تقل شام وما جاء في ضرورة الشعر محمول على أنه اقتصر من النسبة على ذكر البلد وامرأة شامية وشامية مخففة الياء .

ونقلت من خط اللغوي أحمد بن مطرف من الجزء الثاني من كتابه المسمى بالترتيب في الاخبار والاعاجيب أن في الشام قولين أحدهما أنه يجوز أن يكون مأخوذاً من اليد الشومى وهي اليد اليسرى واليمنى اختها فالشومى من الشوم واليمنى من اليمن . وقالت العرب :

فأنحى على شؤمى يديه فزادها

باطماً من فرع الذؤابة اسحما

اظماً أفعل من الظما وشؤمى مقصور مهموز ويجوز أن يكون فعلى من الشوم .

ويجوز أن يكون فيه قول ثالث وهو أن يكون جمع شامة والشامة العلامة . يقال شامة وشام مثل حاجة وحاج . والرجل أشام اذا كان ذا شامة وحقيقة الشامة أن تكون مخالفة للون سائر الجسم . قال الجاحظ وأطلقت الشامة على النكتة من أي لون

كان في أي لون كان اضعافها . الا ترى قول رسول الله ﷺ لما نزلت «يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم- الى قوله- ولكن عذاب الله شديد» قال عمران بن الحصين انزلت هذه الآية وهو في سفر قال «أتدرون أي يوم ذلك» قالوا «الله ورسوله أعلم» قال «ذلك يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار» قال «يا رب وما بعث النار» قال «تسعمائة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة» فانشأ المسلمون يبيكون: فقال رسول الله ﷺ «قاربوا وسددوا فانه لم تكن نبوة قط الا كان بين يديها جاهلية فيؤخذ ذلك العدد من الجاهلية فان تمت والا كملت من المنافقين . وما مثلكم ومثل الامم الا كمثل الرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير» ثم قال «اني لأرجو أن تكونوا ربع اهل الجنة» فكبروا ثم قال «اني لأرجو أن تكونوا ثلث اهل الجنة» فكبروا ثم قال «اني لأرجو أن تكونوا نصف اهل الجنة» فكبروا ثم قال ولا أدري قال الثلثين أم لا رواه الترمذي . فانظر اليه ﷺ كيف اطلق الشامة وجعلها في جنب البعير . والبعير قد يكون ازرق أو أحمر وغير ذلك . وما الغرض الا النكتة القليلة من اي لون كانت في جنب البعير من أي لون كان . الا تراهم يقولون أرض الشام والشام جمع شامة .

وذهب بعضهم الى تسميته شاما لشامات له يعني اختلاف اراضيه في ألوان ترابها وقد علمت أن بعض ترابه أبيض وأسود وأحمر وأصفر وبعضها اكدر . ويختلف كل لون منها في ذاته بالأشدية والأضعفية اختلافاً كثيراً فصَحَّ أن اطلاق الشامة هاهنا لكونها نكتة في الأرض اذ الشام بمجموعه لو كان لونا واحداً لكان كالنكتة الخفيفة الخفية في أديم الأرض . ثم انهم تجاوزوا في استعمال الشامة الى ان اطلقوها على غير اللون فأطلقوها على كل شيء قليل في نوعه فقالوا: فلان في قومه شامة اما لمزيته عندهم بالكرم أو بالحلم أو بالشجاعة أو بغير ذلك من الصفات الحميدة . ومنه قول ابن الساعاتي:

لولا صدودك يا أمامه	ما بت أندب عهد رامة
ابكي ليالي غبطة	كانت لخد الشام شامة

فتأمل كيف أطلق الشامة على لياليه التي قطعها بالشام لأنه استلذ زمانها واستطاب
أوقاتها من بين الليالي كلها . انتهى .

ومن محاسن الشام ما يروى عن كعب الاحبار رضي الله عنه أنه قال : ما بعث الله
نبياً الا من الشام فان لم يكن من الشام هاجر الى الشام . وبها رأس يحيى ابن نبي الله
زكريا عليهما السلام بين الاساطين من الجانب الشرقي بالجامع الاموي . قبالة هود
عليه السلام في الجدار القبلي قبره . انتهى .

بکاینا دمشق

ومن محاسن الشام بناؤها ودمشقها .

قال وهب بن منبه: دمشق بناها العازر غلام ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وكان حبشياً وهبه له عمرو بن كنعان.

وقال أبو الحسن الرازي : رأيت في الكتاب الذي سماه أبو عبيدة (كتاب فضائل
الفرس) أن بيوراسف الملك بني مدينة بابل ومدينة دمشق .

وفي - : الدمشقيين ما حكاه أبو الخير العراقي قال كان في زمان معاوية بن أبي سفيان - - بدمشق ، وكان يقصده الخضر عليه السلام في أوقات للزيارة ، فبلغ ذلك معاوية فجاء اليه وقال : بلغني أن الخضر يأتيك فأحب أن تجمع بيني وبينه فقال له : نعم ، فلما جاء الخضر عليه السلام على العادة قال له الرجل : إن معاوية سألني الاجتماع به فقال الخضر عليه السلام : لا سبيل الى ذلك . قال معاوية : قل له قد اجتمع على أفضل الخلق وحدثه وجلس معه وهو سيد الأولين والآخرين ﷺ ولكن سله عن ابتداء (دمشق) كيف كان . قال الرجل : فسألته . قال : صرت اليها فرأيت موضعها بحرأ تستجمع فيه المياه ، ثم غبت عنها خمسمائة عام ، ثم صرت اليها ، فرأيتها قد ابتدء فيها بالبناء ، ونفر يسير بها .

ونقل ابن عساكر رحمه الله تعالى في فتوحه قال: وجدت بخط أبي الفرج الاصفهاني فيما ذكر انه نقله من كتاب فيه اخبار الكعبة المشرفة وفضائلها وأسماء المدن والبلدان واخبارها، ثم ذكر مولد ابراهيم الخليل عليه السلام على رأس ثلاثة آلاف ومائة وخمسين سنة من جملة الدهر الذي هو سبعة آلاف سنة، وذلك بعد بنيان دمشق بخمسين سنة. ونقل بعض المؤرخين بخمسين سنين. قلت وهذا يناقض ما تقدم والله سبحانه وتعالى اعلم.

وقال صاحب عيون التواريخ: ان الذي بناها غلام (الاسكندر) اسمه (دمشقش) وقيل (دمشق).

وذلك لما رجع (الاسكندر) من المشرق، وعمل السد بين أهل خراسان وبين
ياجوج ومأجوج، وسار يريد المغرب، فلما بلغ الشام وصعد على عقبة (دُمر) نظر الى
هذا المكان الذي فيه اليوم (دمشق) فوجده وادياً يخرج منه نهر جار وغيضة أرز، فلما
رآها ذو القرنين، ورأى اجتماع الماء بواديها، فأخذ الاسكندر لغلّامه (دمشقش)،
فأمره أن ينزل بها وكان أمينه على جميع ملكه، فنزل هو والاسكندر في موضع القرية
المعروفة (بيلدا) وهي من غيضة الأرز على ثلاثة أميال. وأمره أن يحفر في ذلك الموضع
حفيرة، فلما فعل ذلك، أمر أن يردمها بالتراب الذي حفر منها، فلما رد التراب اليها
لم يملأها، فقال للغلّام: ارحل بنا فاني كنت نويت أن أؤسس في هذا المكان مدينة،
فبان لي ما يصلح أن يكون ههنا مدينة، فانه ما يكفي أهلها زرعها، فلما رحل
الاسكندر عنها وصار الى (البثنية) وهوران، وأشرف على تلك السعة، ونظر الى
أرضها الحمراء، فأمر بتناوله من ذلك التراب فلما لمسه بيده أعجبه ورأى لونه
كالزعفران فأمر بالنزول هناك وان يحفر حفيرة، فلما حفرت، أمر برد التراب فردوه
ففضل منه ثلثه، فقال (الاسكندر) للغلّام (دمشقش) ارجع الى الموضع الذي به
الأرز وانزل الوادي واقطع الاشجار التي على حافته وابنها مدينة وسمها باسمك
فهناك يصلح أن يكون مدينة وهنا يصلح أن يكون زرعها فانه يجزئها ويكون منه
ميرتها. يعني المكان المسمى بحوران والبثنية. فرجع الغلام (دمشقش) الى الغيضة
واختط بها المدينة وجعل لها ثلاثة ابواب: الأول (باب جيرون) والثاني (باب البريد)
والثالث (باب الفراديس) وهذا القدر هو المدينة فاذا غلقت هذه الثلاثة ابواب فقد
اغلقت المدينة وتحصنت. وخارج الابواب مرعى ونبات وأعشاب وما أشبه ذلك.
وكان قد بنى له فيها كنيسة يعبد الله تعالى فيها وهي الموضع الذي هو الآن الجامع.
وقيل أن الذي بنى الكنيسة اليونان. وقيل بل وسعوها هم وكبروها على ما هي
عليه اليوم من الجامع المعمور بذكر الله تعالى.

وسكنها (دمشقش) واستمر بها الى أن مات فيها وبه عرفت وسميت، غير أن طول
الازمنة وتغير الاحوال واختلاف الألسنة حذفت شينه وسكنت قافه فقيل (دمشق) وقيل
انما اسمه دمشق وبه سميت.

وقال الجوهري دمشق المراد به السرعة، ويجمع على دماشق ومنه قول الهذلي:

دماشق يعفقن عفق السعالى

خفاف التوالى طوال الجزور

وناقة دمشق أي سريعة جدا، ومثالها حَضْبُجْر. ومنه قول الزبيان «وصاحبى ذات هباب دمشق» قال الجوهري: و(دمشق) هي قصبة الشام. انتهى.

وقال ابو مسهر عبد الأعلى راوي الحديث المتقدم: ان الذي بنى حصن (دمشق) هو الذي حول أبواب (بيت المقدس) الى مسجدها وجعله على مساحته.

واليونان هم الذين وضعوا الارصاد، وتكلموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها، وبنوا (دمشق) في طالع سعيد، واختاروا هذه البقعة الى جانب الماء الوارد بين هذين الجبلين، وصرفوا أنهاراً تجري الى الاماكن المرتفعة والمنخفضة، وسلكوا الماء في أبنية الدور بها، وبنوا هذا المعبد، وكانوا يصلون الى القطب الشمالى فكانت محاريبه تجاه الشمال، وبابه يفتح الى جملة القبلة حيث المحراب اليوم، كما شاهدنا ذلك عياناً لما نقضوا بعض الحائط القبلى وهو باب حسن مبني بحجارة منحوتة عن يمينه ويساره بابان صغيران بالنسبة اليه وكان غربي المعبد قصر منيف جدا تحمله هذه الاعمدة التي بباب البريد وشرقيه باب قصر جيرون وهي «إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد». انتهى.

بَنَاءُ قَصْرِيَّ حَيْرُونَ وَالْبَرِيدِ

وقال بعض المؤرخين: الذي بنى (باب جيرون) سليمان عليه السلام، بنته له الشياطين وكان الذي تكفل بعمارته اسمه (جيرون) فسمي به.

وقال بعض المؤرخين: بناه (عاد) وقيل: بل ولده (سعد) كان له ولدان احدهما اسمه (جيرون) والآخر (بريد) فبنى لهما هذين القصرين على أعمدة، وفتح لكل قصر منهما بابا الى المعبد، فسمي كل واحد باسم صاحبه، وهو أول من صنع المدينة، وأحدث بها البناء، وعمل لها الابواب.

أبواب دمشق

الاول (الباب الصغير) وهو الذي نزل عليه (يزيد بن أبي سفيان) في حصار المسلمين الروم ودخل منه . سمي بذلك ، لأنه كان أصغر أبوابها حين بنيت . وقيل يسمى (باب الجابية الصغير) وهو في قبلة البلد .

الثاني (باب كيسان) وهو من شرقيه ، وينسب الى (كيسان مولى معاوية) لنزوله عليه قلت : وهو الآن مسدود .

ويليه الثالث وهو (باب شرقي) لانه شرقي البلد وعليه نزل (خالد بن الوليد) رضي الله عنه ، ومنه دخل عنوة كما في التواريخ المطولة .

ويليه الرابع وهو (باب توما) من شام البلد ينسب الى عظيم من عظماء الروم ، وسمي باسمه ، وكان له عليه كنيسة .

ويليه الباب الخامس وهو المسمى (بباب الجنيق) منسوب الى رومي اسمه (الجنيق) وبه تعرف (محلة الجنيق) كانت خارج البلد تسمى (الفراديس) والفراديس بلغة الروم البساتين .

ويليه السابع وهو (باب الجابية) منسوب الى (قرية الجابية) وكانت في الجاهلية مدينة عظيمة . انتهى .

وقال الحافظ بن عساكر رحمه الله : كان باب الجابية ثلاثة ابواب ، الاوسط منها كبير ، ومن جانبيه بابان صغيران ، وكان الباب الشرقي بهذه الصفة ، لكونه مقابله ، وكان من الثلاثة ابواب ثلاثة أسواق ممتدة من الباب الشرقي الى باب الجابية .

وكان الأوسط من الأسواق الثلاثة للمشاة من الناس ، وأحد السوقين [لمن] يشرق بدابة ، والآخر لمن يغرب بدابة حتى لا يلتقي فيهما راكبان .

والأبواب صوروها على الكواكب ، فزحل على باب كيسان ، وعلى الباب الشرقي صورة الشمس ، وعلى باب توما الزهرة ، وعلى باب الجنيق القمر^(١) ، وعلى باب

(١) في ابن عساكر (١: ١٦) وباب الفراديس الآخر المسدود للقمر .

الفراديس عطار، وعلى باب الجابية المشتري، وعلى الباب الصغير المريخ^(٢).
وكان من حكماء اليونان من اتخذ على باب الجابية صورة انسان مطرق الرأس
كالمتفكر، ومن أعماله أنه اذا دخل أحد يريد بدمشق سوءا أو بأهلها، فان ذلك الانسان
يصير لأنينه الباب، فيعلم به خدمة الباب وقوامه. انتهى.

والمرحوم نور الدين محمود بن زنكي الشهيد افتتح لها بابا وسماه باب السلام؟ وأحدث
باب الفرج، وسماه بذلك، لما وجد الناس به من الفرج.

قال ابن عساكر: وكان بقربه باب يسمى باب العمارة فتح عند عمارة القلعة، فسد
وأثره باق الى يومنا هذا، وأول من بنى القلعة اقسر بن آوق، ولما جدد الملك العادل أبوبكر
بن أيوب القلعة أذهب باب العمارة والله أعلم.

ويليه الباب الجديد وهو الآن خاص بالقلعة، والذي أحدثه الأتراك في دولتهم ثم
صحفته العوام بالحديد^(٣) وهو يفتح الى القلعة، يليه من الغرب باب السر، سمي بذلك
لكونه يفتح الى القلعة أيضا، وكان الأتراك ينزلون منه سرا، ويطلعون منه، ويجوز الخارج
منه على جسر من خشب، من تحته الخندق الدائر بالقلعة، ينيف عمقه على مائة ذراع
بالعملة به يتخزن الماء وينبت البوص وغير ذلك وهو غير خندق المدينة.

واصطلح في آخر دولة ابن قلاوون أن من يولى نيابة دمشق أن يصلي عند هذا الباب
ركعتين مستقبل القبلة، بحيث يبقى الباب على يساره، ويقف أجناد القلعة وأرباب
الوظائف والأتراك في منازلهم على حسب العادة متحملين السلاح الى أن يفرغ من صلاته
ودعائه، فان أريد به شربض عليه ودخلوا به من ذلك الباب، ويقفلون الجسر بينهم وبين
أعوانه، فان الجسر بلوالب يحيل بينهم. وان أريد به خير، ركب في عزه، ووجوه الدولة في
خدمته الى أن ينزل بدار العدل التي أنشأها المرحوم نور الدين الشهيد، وهي التي تسمى
اليوم بدار السعادة وهي تلي باب السرور وعلى بابها باب النصر فتحة الملك الناصر بن
أيوب للمدينة وهذه الخمسة الابواب الحادثة جميعها فيما بين بابي الجابية والفراديس الا

(٢) في ابن عساكر الباب الصغير للمشتري وباب الجابية للمريخ.

(٣) قال ابن عساكر (١٦: ١) باب الحديد في سوق الاساكفة.

باب السلام وفي السور أبواب صغار تفتح عند الحاجة اليها غير ما ذكرنا، وغالب هذه الأبواب القديمة بنى عليها منائر نور الدين الشهيد رحمه الله على مساجد، وجعل لكل باب باشورة كالسويقة، بها حوانيت مملوءة بالبضائع فاذا حصنت المدينة وقفلت الأبواب، يستغني أهل كل باب من هذه الأبواب بما عندهم وهو مقصد جميل والله أعلم.

الفتح العربي

ومن محاسن الشام افتتاحها على يد الصحابة رضي الله عنهم قال الحافظ ابن عساكر: لما فتح الله تعالى على المسلمين الشام بكماله ومن جملة (دمشق) المحروسة بجميع اعمالها، وانزل الله عز وجل رحمته فيها، وساق بره اليها، كتب أمير المؤمنين^(٤) وهو إذ ذاك أبو عبيدة رضي الله عنه كتاب أمان، وأقر بأيدي النصارى أربع عشرة كنيسة، وأخذ منهم نصف هذه الكنيسة، وأخذ منهم التي كانوا يسمونها كنيسة ماريوحنا بحكم أن البلد فتحه خالد بن الوليد رضي الله عنه من الباب الشرقي بالسيف، وأخذت النصارى الأمان من أبي عبيدة وهو على باب الجابية، فاختلفوا ثم اتفقوا على أن جعلوا نصف البلد صلحا، ونصفه عنوة، فاخذ المسلمون نصف هذه الكنيسة الشرقي فجعله أبو عبيدة رضي الله عنه [مسجدا وكانت قد صارت اليه إمارة الشام فكان أول من صلى فيه أبو عبيدة رضي الله عنه] ثم الصحابة بعده في البقعة التي يقال لها محراب الصحابة رضي الله عنهم، ولم يكن الجدار مفتوحا بمحراب محني، وإنما كان المسلمون يصلون عند هذه البقعة المباركة.

وكان المسلمون والنصارى يدخلون من باب واحد، وهو باب المعبد الاصيل الذي كان في جهة القبلة مكان المحراب الكبير الذي هو اليوم حسبا سلف لنا ذكره، فينصرف النصارى الى جهة الغرب لكنيستهم، ويأخذ المسلمون يمنا الى مسجدهم. ولا يستطيع النصارى أن يجهروا بقراءة كتابهم، ولا يضربون بناقوس اجلالا للصحابة رضي الله عنهم ومهابة لهم وخوفا منهم.

(٤) أي الأمير على من شهد هذا الفتح من المؤمنين.

ولما ولي امارتها معاوية رضي الله عنه بنى دار الامارة وسمها ﴿الدار الخضراء﴾
كنها معاوية أربعين سنة والأمر على ذلك . والله أعلم .

فضل مسجد دمشق

ومر: محاسن الشام ما ورد في فضل مسجدها . نقل عن بعض المفسرين في قوله تعالى
«الزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين» عن قتادة أنه قال : لقد أقسم الله تعالى
بأربعة مساجد، فان التين هو مسجد دمشق ، والزيتون مسجد بيت المقدس ، وطور
سينين حيث كلم الله عز وجل موسى عليه السلام ، والبلد الامين مكة المشرفة ، وعن يزيد
بن ميسرة قال : أربعة أجبل مقدسة بين يدي الله تعالى : طور زيتا ، وطور سينا ، وطور
تينا ، وطور تيماننا . قال فطور زيتا بيت المقدس ، وطور سينا طور موسى عليه السلام ،
وطور تينا مسجد دمشق ، وطور تيماننا مكة المشرفة .

وعن محمد بن شعيب قال : سمعت غير واحد من قدمائنا يذكرون أن التين مسجد
دمشق . وأنهم قد أدركوا فيه شجرا من تين قبل أن يبنيه الوليد .

وعن عمرو بن الدونس الغساني في تفسيره والتين قال : التين مسجد دمشق ، كان بستانا
لهود عليه السلام ، وفيه تين قديم .

وعن القاسم بن عبد الرحمن قال : أوحى الله تبارك وتعالى الى جبل قاسيون أن هب
ظلك وبركتك لجبل بيت المقدس . قال ففعل . فأوحى الله عز وجل اليه : اما وقد فعلت
فاني سأبني لي في حضنك بيتا . قال الوليد بن مسلم : في حضنك أي وسطك وهو المسجد
أعني مسجد دمشق أعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاما ، ولا تذهب الايام والليالي حتى
أرد عليك ظلك وبركتك . قال فهو عند الله بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرع .

ويقال ان أول من بنى جدران هذا الجامع الاربعة هود عليه السلام ، وكان هود قبل
ابراهيم الخليل عليهما السلام بمدة طويلة .

وقد جاء في الاخبار ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قاتل شمالي دمشق عند (برزة)

قوما من أعدائه فظفريهم ، وكان مقامه لمقاتلتهم عند قرية برزة ، وبه سميت عند بروزه على أعدائه وبها متعبده بسفح الجبل ينسب اليه . وكانت دمشق عامرة إذ ذاك .

وعن مسلم بن الوليد قال : لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق ، وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحا من حجر منقوش ، فأتوا به الوليد ، فلم يجد من يحسن قراءته ، فدلوه على وهب بن منبه ، فبعث اليه ، فلما قدم أخبره بموضع ذلك اللوح فقرأه وهب فاذا فيه موعظة ^(٥) وفي آخرها كتب في زمن سليمان بن داود عليها السلام . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(٥) هذه الموعظة في تاريخ ابن عساكر (١: ١٩٧) .

بناء الوليد المسجد

ومن محاسن الشام بناء معبدها . قال ابن عساكر : لما صارت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك عزم على أخذ بقية هذه الكنيسة وإضافتها الى ما بأيدي المسلمين ، وجعل الجميع مسجدا واحدا ، وذلك لتأذي المسلمين بسماع قراءة النصارى في الانجيل ورفع أصواتهم في الصلاة ، فأحب أن يبعدهم عن المسلمين ، فطلب النصارى وسألهم أن يخرجوا عن بقية الكنيسة ويعرضهم اقطاعات كثيرة عرضها عليهم ، وان يقر لهم اربع كنائس لم تدخل في العهد وهي كنيسة مريم وكنيسة المصلبة وكلتاها داخل الباب الشرقي وكنيسة تل الجبن وكنيسة حميد بن درة ^(٦) التي بدرب الصيقل ، فأبوا ذلك أشد الإباء فقال اثتونا بعهدكم الذي بأيديكم في زمن الصحابة فقريء بحضرة الوليد فاذا كنيسة توما التي كانت خارج باب توما لم تدخل في العهد وكانت فيما يقال أكبر من كنيسة مار يوحنا فقال أنا أهدمها وأجعلها مسجدا فقالوا بل يتركها أمير المؤمنين وما ذكر من الكنائس ونحن نرضى بأن يأخذ بقية كنيسة مار يوحنا فاقرهم على تلك الكنائس وأخذ منهم بقية الكنيسة .

ثم امر الوليد بالهدم فجاءت اساقفة النصارى وقساوستهم وقد ندموا فقالوا يا أمير المؤمنين : إنا نجد في كتبنا أن من يهدم هذه الكنيسة يحن ، فقال : انا أحب أن اجن في الله والله لا يهدم فيها أحد قبلي ، ثم صعد المنارة الغربية وكانت صومعة عظيمة ، فاذا فيها راهب فأمره بالنزول منها فأبى الراهب فأخذ بقفاه وحذره منها ، ثم وقف على أعلى مكان منها فوق المذبح الاكبر الذي يسمونه الشاهد وأخذ فأساً وضرب أعلى حجر فالتقاء فتبادر الامراء والاجناد الى الهدم بالتكبير والتهليل والنصارى تصرخ بالعويل على درج باب البريد وجيرون وقد اجتمعوا فامر الوليد صاحب الشرط أن يضربهم وهدم المسلمون جميع ما كان من آثارهم من المذابح والأبنية والحنايا حتى بقي صرحه مربعة .

ثم شرع في بنائه بفكرة جيدة على هذه الصفة الحسنة التي لم يشهد مثلها من قبلها ولا من بعدها .

^(٦) قال ابن عساكر (١: ٢٤٢) : هو حميد بن عمرو بن مساحق القرشي العامري ، وأمه (درة) بنت أبي هاشم خال معاوية بن أبي سفيان ، وهو أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة وكان لدرب اقطاعا له فنسبت الكنيسة اليه .

واستعمل الوليد في هذا المسجد خلقا كثيرا من الصناع والمهندسين والمرخين . وكان المستحث على عمارته أخوه سليمان بن عبد الملك ، ويقال ان الوليد بعث الى ملك الروم يطلب منه صناعا في الرخام والاحجار وغير ذلك ليعماروا هذا المسجد على ما يريد وأرسل يتوعده إن لم يفعل ليغزون بلاده بالجيش ، وليخربن كل كنيسة في بلاده حتى القيامة التي بالقدس الشريف ، ويهدم كنيسة الرها وجميع آثار الروم . فبعث ملك الروم صناعا كثيرة جدا وكتب اليه يقول له : ان كان ابوك فهم هذا الذي تصنعه وتركه فانه لوصمة عليك ، وان لم يفهمه وفهمته انت فانه لوصمة عليه . فاراد ان يكتب اليه الجواب ، واذا بالفرزدق الشاعر دخل عليه فاخبره بما كتبه ملك الروم فقال : يا امير المؤمنين انت جعلت اخاك سليمان هو القائم بأمر العمارة والجواب بنص القرآن «ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما» فاعجب ذلك الوليد وارسل به جوابا لملك الروم .

ولما اراد الوليد ان يبني القبة التي في وسط الرواقات التي يقال لها قبة النسر (قلت وهو اسم حادث على ما اظن كأن العوام شبهوها بالنسر في شكله لأن الرواقات عن يمينها وشمالها كالأجنحة لها) حفر لأركانها حتى وصل الى الماء وشربوا منها ماء عذبا زلالا ثم وضعوا فيه جراز الكرم وبنوا فوقها بالحجارة فلما ارتفعت الاركان عقدوا عليها القبة فسقطت . فقال الوليد وقد أعياه أمرها لبعض المهندسين اريد أن تبني لي أنت هذه القبة . فقال على أن تعطيني عهد الله وميثاقه أن لا يبني فيها أحد غيري وان لا يعارضني فيما أرومه . ففعل ذلك . وبنى الاركان ثم سترها بالبواري والحصر واختفى سنة لا يعلم الوليد أين ذهب ولا يستطيع أن يدع أحدا يتمها . فلما كان بعد العام حضر على الوليد فقال له : كيف حتى عطلت البناء . قال لأمر خفي على أمير المؤمنين وعلى البنائين ، ثم قال يا أمير المؤمنين احضر معي حتى أوقفك على ذلك ، فلما حضر الوليد وكشف الحصر والبواري عن الأركان فاذا هي هبطت بعد ارتفاعها حتى ساوت الارض . فأعجب الوليد و[رجال] الدولة ونخلع عليه . ثم أكمل بناءها وعقدتها على الهيئة المعلومة الآن .

وأراد الوليد أن يجعل بيضة القبة من ذهب خالص ليعظم بذلك شأن المسجد فقال له بعض المعلمين : انك لا تقدر على ذلك . فضربه خمسين سوطا وقال له : ويلك أنا أعجز

عن ذلك . فقال له المهندس الذي بناها : صدق يا أمير المؤمنين وأنا اوضحه لك . فأمر أن يسبك له لبنه على القدر الذي يطلبه . فلما أحضرها قال أمير المؤمنين : احسبوا القدر الذي دخل فيها . فوجدوه عدة من الالوف فقال : يا أمير المؤمنين اريد مثل هذه كذا وكذا الف لبنه فان كان عندك ما يكفي عملناه . فلما تحقق الوليد صحة قوله أطلق المضروب ورسم له بخمسين دينارا واعتذر اليه .

ولما سقف الوليد الجامع جعلوا أسقفه جملونات وباطنها مسطحا مقرنصا بالذهب . فقال له بعض أهله : أتعبت الناس بعدك بتلييس سطح هذا الجامع في كل عام . فأمر الوليد أن يجمع ما في بلده وباقي معاملته من الرصاص ليجعله عوض الطين ويكون أخف على السقف ، فجمع ذلك . فلم يكفه . ثم بلغ الوليد ان امرأة عندها من الرصاص القناطير المقنطرة ورثته من ابوها ، فساوموها في بيعه فأبت وقالت : لا ابيعه الا بثقله فضة . فقال لهم : نشتره لحاجتنا بزنته فضة . فلما اخبروها ان أمير المؤمنين سمح لك بزنة ما قلت . قالت : حيث كان صادقا في حب الله فانا احب ان يكون لي في هذا الجامع شيء في حب الله خذوه باجمعه ، فكفاه وفضل . وذكر بعض المؤرخين ان هذه المرأة كانت اسرائيلية .

وقال ابن عساكر اشترى الوليد هذين العمودين تحت قبة النسر من خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار .

قال وكان في مسجد دمشق اثنا عشر الف مرخم واشترى لوحين [من] رخام فستقي من الاسكندرية بمائة اشرفي ونقلهما ووضعهما على محل الغار التي فيها رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام . وقيل انها كانا في عرش بلقيس مع الستة شبابيك التي في مشهد المؤمنين على الباب والمشهد الذي تجاهه .

وعن يزيد بن واقد قال وكلني الوليد على العمال في بناء الجامع فوجدنا فيه مغارة فعرفنا الوليد . فلما كان الليل وافى وبين يديه الشمع فنزل فاذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة اذرع في ثلاثة اذرع واذا فيها صندوق ففتح الصندوق فاذا فيه سبط وفي السبط رأس يحيى بن زكريا .

وكبروا وحمدوا الله وأثنوا على أمير المؤمنين ودعوا له وشكروه على ذلك . ثم قال الوليد «يا أهل دمشق انكم تفخرون على الناس بأربع : بهوائكم ومائتكم ، وفاكهتكم ، وحماماتكم ، فاحببت أن أزيدكم خامسة وهي هذا المعبد» فحمدوا الله تعالى وانصرفوا شاكرين له . انتهى .

وصف جامعها شعرا

ومن محاسن الشام ما وصف جامعها به بدر الدين حسن بن حبيب الحلبي في كتاب سماه (تشنيف المسامع في وصف الجامع) قال : واما دمشق فانها في وجنة الدنيا كالشامة ، وزينة البلاد كريش الطاووس أو طوق الحمامة . وفي دائرة الاقطار كالنقطة المعلمة ، وفي جيش الامصار كالملك الذي ينطق بالحكمة . وفي قلادة الاقليم كالواسطة ، وفي سماء الليل كالشمس التي بدت أشعتها في الوجوه باسطة . وهي الربوة المباركة . والغوطة التي جلست عن المماثلة والمشاركة . والمعدودة من جملة مدائن الجنة ، والمأهولة بالأهلة من أرباب الكتاب والسنة . والمعروفة بإرم ذات العماد ، والموصوفة بلم يخلق مثلها في البلاد . وأما جامعها ففيه أقول :

يا جامعاً في دمشق في حسنه قد تفرّد
لم تطرب الناس طراً ألا لأنك معبد^(٨)

وقلت أيضاً :

معبد الشام يجمع الناس طراً
واليه شوقاً تميل النفوس
كيف لا يجمع الورى وهو بيت
فيه تجلى على الدوام العروس^(٩)

(٨) فيه تورية باسم (معبد) الموسيقى العربي الشهير.

(٩) فيه تورية باسم منارة العروس التي مر ذكرها.

وقلت:

يا راغباً في غير جامع (جلّق)
هل يستوي الممنوع والمنوح
اقصر عناك وفي غلوك لا تزد
إن الزيادة بابها مفتوح^(١٠)

قلت: وهذا الباب المفتوح في بيت ابن حبيب سرقة من بيتي الشيخ جمال الدين محمد بن
نباة لكن ركه في محله أحسن تركيب وهما:

أرى الحسن مجموعاً بجامع (جلّق)
وفي صدره معنى الملاحاة مشروح
فان يتغالى في الجوامع معشر
فقل لهم باب الزيادة مفتوح
ونقلت من خط الشيخ صلاح الدين الصفدي قوله فيه:
تقول (دمشق) اذ تفاخر غيرها
بمعبدها الزاهي البديع المشيد
جرى لتناهي حسنه كل معبد
وما قصبات السبق الا لمعبد
والاصل في ذلك قول الشيخ برهان الدين القيراطي رحمه الله:
سقى بدمشق الغيث جامعاً نسكها
وروضاً به غنى الحمام المغرد
إذا ما زهى في العين من ذاك معبد
لذكر حلا في السمع من ذاك معبد
ومن معانيه البديعة قوله فيه:

الجامع الأموي اضحى حسنه
حسناً عليه في البرية أجمعا

(١٠) فيه تورية باسم (باب الزيادة) الذي مر ذكره.

فأمر الوليد برده الى مكانه وقال : اجعلوا العمود الذي فوقه معينا بين الاعمدة . فجعلوا عليه عمودا مسقط الرأس .

وذكر بعض المؤرخين ان ارض الجامع كانت مفروشة بالفصوص المزمكة بالذهب المسماة بالفُسيّفساء . وان الرخام كان في جدرانها سبع وزرات . ومن فوقه صفات البلاد والقرى وما فيها من العجائب . وان الكعبة المشرفة وضع صفاتها فوق المحراب . ثم فرق البلاد يمينا وشمالا وما بينهما من الاشجار المثمرة والمزهرة وغير ذلك . وجعل سلاسل المصابيح من نحاس محلى بالذهب . ورتب له من الشموع ما يوقد منه في اماكن مختصة . واصطنع في صحنه صفة مجامر على اعمدة برسم البخور ووكّل بذلك خدمه لا يفترون ليلا ولا نهارا حتى كان يشم روائح البخور من مسيرة فرسخين وسبك له سرجا من نحاس كل سراج يوضع فيه قنطار زيت وجعل على كل باب سراجا . وجعل في محراب الصحابة رضي الله عنهم اجمعين حجر بلور ، وقيل بل درة لا قيمة لها وكانت اذا طفت المصابيح يقوم نورها مكانها وان الامين بن الرشيد ارسل الى صاحب دمشق ان يسيرها اليه فاختلسها وسيرها اليه ، وقيل انه لما رآها امر بردها . وقال الحافظ بن عساكر : ثم ذهبت بعد ذلك فجعل مكانها برنية من زجاج وقد رأيتها ، ثم انكسرت بعد مدة فلم يوضع مكانها شيء .

مآذن المسجد

وبنى الوليد المنارة التي يقال لها (العروس) وجعل عدة من المصابيح توقد عليها في كل ليلة ورتب لها ثلاث نوب كل نوبة اربعون مؤذنا وهي باقية الى يومنا هذا . واما (الغربية) و(الشرقية) فهما على ما كانتا عليه من غير عمل ادوار ودرازين ، وهما من بناء اليونان كالصوامع لضرب النواقيس والرصد . وقال بعض المؤرخين ان الشرقية احترقت في سنة اربعين وسبعمائة فنقضت وجددت من اموال النصارى لكونهم اتهموا بحرقها واقر بعضهم بذلك فقامت على احسن الاشكال . وقال بعض العلماء في المنارة الشرقية البيضاء التي ينزل عليها بن مريم عليه السلام في آخر الزمان بعد خروج الدجال كما ثبت

في صحيح مسلم عن النواس بن سميان والله أعلم .

ويقال انه كان في الركنين الشماليين صومعتان كالمقابلة فهدمهما الوليد ، وجعل من بعض آلتها قبتان على اعمدة في صحن الجامع ، وجعل فيهما خلوتان من فوق الاعمدة وادع بهما كتب اوقاف هذا الجامع ومصاريفه ، ويقفل عليهما بالاقفال الحديد المانعة^(٧) وكانت فيه طلسمات اصطنعتها اليونان لعدم دخول الحشرات كالحية والعقرب والخنفس والعناكب وغير ذلك من الطيور كالحمام والعصافير والوطايط وما اشبه ذلك . قال ابن عساكر : وذهب بعض طلسماته . قلت : بل كلها بسبب المحن التي توالى وتعددت على دمشق آخرها محنة تمرلنك .

نفقات البناء

وقال عمرو بن مهاجر الانصاري رحمه الله : ضبط الكتاب ما انفق على الكوة التي في قبلة المسجد فكانت سبعين الف دينار . وقال ابو قصي : انفق في عمارة مسجد دمشق خمسة آلاف الف دينار وستمائة الف دينار . فلما بلغ امير المؤمنين الوليد ان عمرو بن مهاجر والناس قالوا «أنفذ الوليد بيت مال المسلمين في غير حقه وكان يعمر هذا الجامع ببعض ذلك» جمع الناس ، ونودي بالصلاة جامعة ، ثم صعد المنبر وحمد الله واثني عليه فقال «يا ايها الناس ، قد بلغني عنكم انكم قلتم بأني انفقت بيت مال المسلمين ، في غير موضعه بغير حق» فأطرقت الناس ثم قال «يا عمرو- يعني ابن مهاجر- قم فأحضر اموال بيت المال» فحمل على البغال . وبسطت الأنطاع تحت القبة وصب عليها المال ذهباً وفضة حتى كان الرجل لا يرى الآخر وجيء بالقبايين ووزنت فاذا هي تكفي الناس ثلاث سنين مستقبلة .

وفي رواية سبع سنين مستقبلة لو لم يدخل الناس شيء بالكلية ففرح الناس وهللوا

(٧) توجد الى الآن في الشمال الغربي من صحن المسجد قبة على أعمدة فتحت في أواخر عهد السلطان عبد الحميد بطلب من الحكومة الألمانية بناء على اقتراح بعض مستشرقها . وكان من العلماء الذين حضروا فتحها باسم الحكومة العثمانية الشيخ طاهر الجزائري ، فوجد فيها بعض الصكوك والوقفيات والمصاحف وامثال ذلك من المكتوبات القديمة . أما الشمال الشرقي من صحن المسجد ففيه الآن قبة الساعات وهي على جدران لا على أعمدة .

حلوه اذ حلوه فانظر صحنه
تلقاه أصبح للحلاوة مجمعا
ومن تحريره البديع قوله فيه:

(دمشق) في الحسن لها منصب
عال وذكر في الورى شائع
فخلّ من قاس بها غيرها
وقل له ذا الجامع المانع
ومن محاسنه قوله في الساعات رحمة الله تعالى:

في الجامع الأموي الحسن مجتمع
ويابه فيه للأحداق لذات
دقائق الحسن يحويها له درج
فحبذا منه بالساعات ساعات
وحبذا معبداً كم أطربت اذنا
فيه من الذكر نغمات وأصوات
جلا العروس على الرائي فطلعتها
تزفها من بدور التم طارات
ومن لطائفه قوله فيه وفي (النسر) تغمده الله برحمته:

يقول لنا نسر بجامع (جلق)
أنا الطائر المحكي والآخر الصدى
وقد أطرب الاسماع مطرب جنكها
وغنى به من لا يغني مفردا

دمشق والقاهرة

ومن محاسن الشام ما وصفها [به] الشيخ بدر الدين محمد الدميامي الاسكندري

المالكي قال : «فتأملها المملوك فاذا هي جنة ذات ربوة قرار ومعين ، وبلدة تبعث محاسنها الفكر على حسن الوصف وتعين . وحسبها بالجامع الفارق بينها وبين سواها ، والانهار التي اذا قبل المحل فمأجراها ، واذا سمع حديث الخصب فماأرواها . وما أقول ومتنزهات مصر عارية عن المحاسن وهذه ذات الكسوة^(١١) ، وان النيل ما احترق^(١٢) الا من الأسف حيث لم يسعده الدهر بالصعود الى تلك الربوة . وما أظنه احمر إلا خجلا من صفاء أنهارها ، ولا ناله الكسر الا لتأله بالانقطاع عن الوصول الى سقي أزهارها . فلورأى العاشق جبهتها لسلا بمصر معشوقة ، ونسى ظهور جوانبه المنحنية بقامات غصونه المشوقة . ولو تناولت المجنونة الى المفاخرة لتأخرت الى خلفها مستحيية ، وأحجمت عن الاقدام حين تحركت لها بدمشق السلسلة . وحق لمصر ألا يجري حديث المفاخرة في وهما ، وأن تتقي شر المنازعة قبل أن تصاب من هذه البلدة بسهما . فسقى الله متنزهاتها التي طرب المملوك برؤية جنكها ولطالما اهتزت له المعاطف على السماع ، ورأى بها كل نهر ذاب عنه الجليد فانعقد على حلاوة شكره الاجماع»

وما أحسن قول الشيخ برهان الدين القيراطي :

ما فيه إلا جوسق أو روضة
أو جدول أو بلبل أو ربرب
وكأن ذاك النهر فيه معصم
بيد النسيم منقش ومكتب
واذا تكسر ماؤه أبصرته
في الحال بين رياضه يتشعب
وشدت على العيدان وُرقُ أطربت
بغنائها من غاب عنه المطرب

(١١) فيه تورية بقرية (الكسوة) وهي ضاحية جنوبي دمشق ، سميت باسم كسوة الحمل الذي كان يسافر منها الى مكة المكرمة كل عام .

(١٢) فيه اشارة الى (تحريق النيل) ايام انخفاضه

فالورق تنشد والنسيم بها فكم
اضحى له من بيننا متطلب
ولكم طربت على السماع بجنكها
وغدا بربوتها اللسان يشبب
فمتى أزور معالما ابوابها
بسماحها كتب الكرام تبوب

وصف مسجد دمشق

ومن محاسن الشام ما وصف جامعها به العلامة اليعقوبي قال «مدينة دمشق جليلة قديمة . وهي مدينة الشام ، في الجاهلية وفي الاسلام . وليس لها نظير في جميع بلاد الشام في انهارها ومبانيها وكثرة عمارتها . افتتحت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة اربع عشرة وبانيها اسمه دماشق بن عمرو بن كنعان . وقيل دمشق بن قاني بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام . وقيل سعد بن عاد ، وبني فيها قصرين لولديه بريد وجيرون ، ولما بني دمشق سماها إرم وعلى هذا نقلت الاخبار ان ارم ذات العماد هي دمشق ، يقال انه كان فيها اربعمائة الف عمود . واما جامعها فليس في مدائن الاسلام احسن منه ، بناه الوليد في خلافته بالرخام والذهب سنة ثمان وثمانين ، فرشته بالرخام الابيض المختم بالأرزق ، وسقفه لاخشب فيه ، مذهب كله من اعلاه الى اسفله ، وبه ثلاثة منابر» انتهى .

ومن محاسن الشام وصف الاستاذ ابن جبير لجامعها . نقلت من خط الشريشي قال : أملى علي شيخنا ابن جبير في وصف جامع دمشق ما صورته قال «الجامع الاموي من اشهر جوامع الاسلام حسناً واتقان بناء ، وغرابة صنعة ، واحتفال تنميق وتزيين . ومن عجيب شأنه انه لا ينسج فيه عنكبوت ، ولا تدخله ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف .

ووجه الوليد الى ملك الروم بالقسطنطينية فأمر باشخاص اثني عشر الف صانع من جميع بلاده وتقدم اليه بالوعيد في ذلك ان توقف . فامثل امره مدعنا فشرع في بنائه وبلغت

الغاية في التأني فيه [وانزلت جدره كلها] بالفصوص الملونة المذهبة المعروفة بالفسيفساء ومثلت به الاشجار مفرعة الاغصان بانواع الازهار، فجاء يغشى العيون وميضاً وبصيصاً.

وبلغت النفقة عليه احد عشر الف الف دينار ومائتي الف دينار.

وكان ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه لما دخلها صالح النصاري بان اخذ نصف الكنيسة الشرقي فصيره مسجداً وبقي النصف الغربي للنصاري فاخذه الوليد وادخله في الجامع بعد ان ارغبهم في التعويض عنه فأبوا فاخذه قسراً . وكانوا يزعمون ان من يهدم كنيستهم يحن ، فبادر الوليد وقال أنا أول من يحن في حب الله وبدأ الهدم بيده فتبادر المسلمون للهدم ثم ارضاهم عمر بن عبد العزيز في خلافته عن الكنيسة بمال عظيم .

وطول هذا الجامع من الشرق الى الغرب مائتا خطوة وهي ثلاثمائة ذراع وذراعه في السعة من القبلة الى الشمال مائة وخمس وثلاثون خطوة وهي مائتا ذراع وتكسيره من المرجع الغربي اربعة وعشرون مرجعاً وهو تكسير مسجد النبي ﷺ غير ان طوله في مسجد رسول الله ﷺ من القبلة [الى الشمال] . وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من الشرق الى الغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة [والخطوة] ذراع ونصف وقامت البلاطات على ثمانية وستين عموداً منها [اربع وخمسون سارية] وثمانية ارجل واربع [ارجل مرخمة ابدع ترخيم ، مرصعة بفصوص من الرخام ملونة ، قد نظمت خواتيم وصورت] يتخللها اثنتان مرخمة ملصقة في الجدار الذي يلي الصحن واربعة محاريب واشكال غريبة قامت في البلاط الأوسط دور كل رجل منها اثنان وسبعون شبراً ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهات سعته عشر خطوات عدد قوائمه سبع وأربعون منها اربعة عشر رجلاً والباقي سواد .

وسقف الجامع كله من خارج ألواح من رصاص واعظمها ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالمحراب هي قائمة في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم وهو غارب لها يتصل من المحراب الى الصحن والقبة قد اقيمت في الهواء فاذا استقبلتها أبصرت مرأى عظيماً هائلاً .

ومن أي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء كأنها معلقة في الجو وعدد شمسيتها الزجاجية الملونة المذهبة أربع وسبعون فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل ذلك بالجدار القبلي وتتصل بالابصار منها أشعة ملونة هائلة لا تبلغ العبارة بعض صورها.

ومحاربه من أعجب المحاريب الاسلاميه حسناً وغبابة صنعة يتقد ذهابا كله قد قامت في وسطه محاريب صغار ومتصلة بجدار تحفها اسورة مفتولات قبلي الأجدرة كأنها مخروطة بعضها أحمر كأنها مرجان ولم ير شيء أجمل منها.

وفيه ثلاث مقاصير: مقصورة معاوية رضي الله عنه وهي مقصورة وضعت في الاسلام طولها اربعة وأربعون شبرا وعرضها نصف الطول . ويليها لجهة الغرب المقصورة التي احدثت عند زيادة الكنيسة فيه وهي أكبر . والثالثة بالجانب الغربي تجتمع السادة الحنفية فيها للتدريس .

وله أربعة أبواب باب قبلي يعرف باب الزيادة ، وباب شمالي يعرف باب الناطفين ، وباب غربي يعرف باب البريد ، وباب شرقي يعرف باب جيرون وهو أعظمها . وله وللغربي [وللشمالي أيضا] دهاليز متسعة يفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل الى الكنيسة فبقيت على حالها .

وفي صحنه من عجائب الابنية والقباب والصوامع الثلاث والمياه المدبرة ما يحير العقول وتكل عنده الافهام . وهذا الصحن من أجمل المناظر وأحسنها وفيه يجتمع أهل البلد [هو] متفرجهم كل عشية تراهم فيه ذاهبين راجعين من باب البريد الى باب جيرون لا يزالون على هذا الحال الى انقضاء العشاء الآخرة . منهم من يتحدث مع صاحبه ، ومنهم من يقرأ . فهذا دأبهم بالعشي والغداة ، والاحفل بالعشي . وأهل البطالة يسمونهم الحراثين» وما أحسن قول الشاب الظريف محمد بن العفيف في غلام يمشي في صحن الجامع :

تمشّى بصحن الجامع الشادن الذي
على قده أغصان بان النقى ثني

فقلت وقد لاحت عليه حلاوة

الا فانظروا هذي الحلاوة في الصحن

وقال ابن جبير: «وللجامع الاموي اربع سقايات في كل جهة.

سقاية باب جيرون، وباب جيرون مفروش بالبلاط الطويل العريض وهو خمسة ابواب مقوسة لها ستة أعمدة. وفي جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه رأس الحسين رضي الله عنه قبل أن ينقل الى القاهرة. وبازائه مسجد صغير لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. قد انتظمت أمام البلاط أدراج ينحدر عليها الى الدهليز وهو كالخندق العظيم يتصل الى باب عظيم الارتفاع ينحسر الطرف دونه سموا قد حفته أعمدة كالجدوع طولاً وكالاتواد ضخامة. وبجانبى هذا الدهليز أعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوانيت العطارين وغيرهم وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت. وفي وسط الدهليز حوض بانبوب صفر يزعج الماء بقوة فيرتفع الى الهواء أزيد من القامة وحوله أنابيب صغار ترمي الماء علواً فيخرج عنها كقضبان اللجين وكأنها تلك الدوحة المائية، ومنظرها ابدع من أن يوصف.

وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه شبه غرفة لها هيئة طاق كبيرة مستديرة فيها طيقان من صفر وقد فتحت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار ودبرت تدبيرا هندسيا فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمي بازيين من صفر قائمين على طاستين من صفر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدان اعناقهما بالبندقتين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة وتدير عجيب تتخيله الاذهان سحرا فعند وقوعهما يسمع لهما دوي فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى الغرفة وينغلق الباب للحين بلوح صفر فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات فتغلق الابواب كلها ثم تعود الى حالاتها الاولى.

ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرمة في كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وأفاض على الدائرة شعاعا

فلاحت دائرة محمرة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وقد وكل بها من يدبر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصنج الى موضعها وهي التي تسمى الميقاتية»

وصف قلعة دمشق

ومن محاسن الشام قلعتها وحسن بنائها واتساعها فانها قدر مدينة. وبها ضريح السيد الجليل ابي الدرداء رضي الله عنه. وبها جامع وخطبة كالمدينة فانها بفرد خطبة لا غير وخارج المدينة الخطب الكثيرة يعسر الآن علينا تعدادها. وبها حمام وطاحون وبعض حوانيت لبيع البضائع. وبها دار الضرب التي تضرب فيها النقود. وبها الدور والحواصل وبها الطاولة التي ليس على وجه الأرض أحسن منها كأنها افرغت بقالب من شمع ينظر الرائي اعلاها فيحسن نظره وان طال مرآه.

وهي تسامت رؤوس الجبال. يقال ان تيمورلنك لما حاصرها وعجز عنها امر أن ينقب تحتها وتقطع الاشجار وتعلق بها وحتى اذا انتهى تعليقها اطلق النار فيها تحتها من الاخشاب وظن انها تفسخ بذلك وتسقط شذر مذر فيبلغ مراده من أخذ القلعة. فلما عمت النار فيها تحتها بركت بصوت أزعج الوجود كما يبرك الاسد فمن ثم سموها بالاسد المبارك وهي الآن على الثلثين من علوها.

وبالقلعة آبار ومجار للماء ومصارف بحيث اذا وقع الحصار وقطع عنهم الماء تقوم الآبار مقامه.

وبها يمر نهر بانياس وينقسم فيها قسمين يستمر احدهما على حاله طاهرا للمنافع والاستعمال والآخر تنسحب عليه الاوساخ والقاذورات وهو المسمى بقليط يمر تحت الارض بنحو من قامتين لتشعب الماء الطاهر فوقه يمينا وشمالا، حتى في بعض الاراضي يبلغ سبعة مجاري من الماء العذب ليس لأحدها اختلاط بالآخر.

ومصارفهم تسقط على نهر قليط ويمر في المدينة الى أن يخرج من الباب الصغير ويتصل بمحلة المراز فيضمحل فيها يليها من الاراضي التي تزرع الكرسة والفصة والبيقية والقنب وما أشبه ذلك. وغالب ما يسقى به القنب وهو أبيض أملس كالرماح في الطول مجوف لا

عقد به يصب الماء من رأس الواحدة فيجري من آخرها وقشره يعمل منه الخيوط والحبال وتورى بالقنب النار وهو يقوم مقام الشعشاع والطرفاء لكنه ألطف منها وأسرع وقيدا . كما أن الشيخ أحسن من الحلفاء بعرفه الذكي أخضر وناشفا . ويقال ان القنب هذا يعمل من ورقه الحشيش اذا اضيف اليه الورق البري . وقد ذكرنا ذلك مفصلا في كتابنا (راحة الارواح ، في الحشيش والراح) فليراجع . انتهى .

حي تحت القلعة بدمشق

ومن محاسن الشام تحت قلعتها فانها منهل للغريب ومرتع للقريب وهي ساحة سماوية كبركة الرظلي^(١٣) في الوسع لاجتماع البرية تحقها الدور وتعلوها التصور ويلحقها كل ما يرومه الانسان ، وتشتهيه الشفة واللسان ، لا يحتاج فيها سكانها لحاجة من المدينة ولا لجيرانها . فيها دار البطيخ الذي يباع فيه جميع فواكه البلد . وبه العين المشهورة بالمجمع على برودة مائها وعذوبته وخفته . وتحت القلعة سوق للقماش المذروع وسوق قماش للمخيط . أحدهما للرجال والآخر للنساء . وبها سوق للفرا والعبي وغير ذلك . وبها سوق السقطيين وسوق النحاس وبها سوق السكاكينيين وبها سوق القريبين وبه للارمين وبها سوق قماش الخيل والبغال والبهاائم والاغنام وبها سوق القشاشين وبها سوق المدهون والخضريين وبها سوق المحايريين والنجارين والخراطين . وبها سوق النقلين وبها دار الخضر وبها سوق المناخليين والزجاجيين .

واما ساحة تحت القلعة فانك لا تستطيع أن ترى ارضها لكثرة ما به من المتعشين والوظائفية . ويتخلل بينهم أرباب الحلق والفالاتية والمضحكون وأصحاب الملاعب والحكوية والمسامرون وكل ما يتلذذ به السمع ويسر العين وتشتهيه النفس صباحا ومساء على هذا لا يفترون ، لكن المساء أكثر اجتماعا ويستمرون الى طلوع الثلثين . وهو عبارة عن ثلاثة طبول متفرقة بأعلى القلعة يضربون الثلث الاول كل واحد منهم ضربة والثلث

(١٣) بركة الرظلي حي من أحياء القاهرة .

الثاني من الليل يضرب كل واحد ضربتين والثالث الآخر من الليل يطلع المؤذن على منارة العروس بالجامع الاموي ويعلق لهم قنديل الاشارة فيضرب كل واحد منهم ثلاث ضربات ويسوق الثلثين من التسبيح والأذان الاول الى السلام ينتهي الضرب .

وبها خطبتان الاولى بآخرها بالمدرسة المؤيدية . والثانية بصدرها في جامع يلبغا . وهو من أحسن الجوامع ترتيباً ومتنزهاً ، بصحنه بركة ماء مربعة داخلها فسقية مستديرة بها نافورة يصعد منها الماء قامة ومن فوقها مكعب عليه عريشة عنب ملون يصل الماء الى قطوفها الدانية . وبجانبيها حوضان فيهما من أنواع الفواكه واجناس الرياحين . وله شبابيك تطل على جهاته الثلاث الاولى على تحت القلعة من جهة الشرق والجهة الثانية تطل على بين النهرين وهي الغربية والجهة القبليّة تنظر الى نهر بردى وما هناك من الاشجار والازهار وهناك شجرة حور يحتاط بها اربعة رجال فلا ينظر الواحد لمن يقابله لعظم ساقها . وللجامع ثلاثة أبواب الأول الشرقي وهو في صدر تحت القلعة ويسمى باب الحلق ، والثاني شمالي يخرج الى الميضا ويسمى باب الفرج ، والثالث غربي ينحدر منه في درج الى اول الوادي ويسمى باب المنزه . انتهى .

بين النهرين

ومن محاسن الشام (بين النهرين) وهو مبتدأ الوادي يشتمل على فرجة سماوية بها دور وقصور وسويقة بها حانوت طباخ وصاجاتي وقطفاني وفقاعي وحواضري وفاكهاني وشوا وقلاجين وسكرداني ونقلي وقاعة لبن وعدة للجلبية وحمام يشرح صدور البريد وقنطرة يتوصل منها الى جزيرة لطيفة من رأسها ينقسم نهر بردى فيصير نهرين والمقسوم منه نهر الصالح المعتقد الشيخ ارسلان أعاد الله علينا من بركاته وعلى المسلمين طول الزمان وبها مقصفان ^(١٤) للبطالين فيما بين المقسمين وقبالهما زاوية للشباب التائب يقام بها السبت والثلاثاء من الاوقات بالوعاظ والدواخل ما يصير الحاضر غائباً . ويتوصل الى زقاق الفرايين المشتمل على قاعات واطباق وغرف وكم رواق ، الجميع يطل على بين النهرين .

(١٤) المقصف المنزه الظليل على شاطئ نهر

وصف النواعير

ولكل مكان من ذلك ناعورة يستلذ صاحبها بانسها وتجلب له الماء اذا سمع حسها.
ومن أحسن ما قاله الشيخ ابو الفضل بن القدوة احمد بن العارف محمد وفاء:

نواعير نعت لي رشاً للقلب راعي
فهام القلب مني على حس النواعي

ومن محاسن الشيخ زين الدين عمر بن الوردي قوله فيها:

ناعورة مذعورة ولهانة لي حائرة
الماء فوق كتفها وهي عليه دائرة

ابن نباتة:

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها
واضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبي لاني فقدته
وأما دموعي فهي تجري على جسمي

ومن بديع مجير الدين محمد بن تميم:

ناعورة قالت لنا بأنينها
قولاً ولن تدري الجواب ولا تعي
كم في من عجب يرى مع انني
أبدأ أسير ولا أفارق مصجمي
لا رأسي في جسدي وقلبي ظاهر
لناظرين وأعيني في أضلعي

ومن اغراضه قوله:

وناعورة شبهتها اذ رأيتها
وما زال فكري بالغرائب يسمح

بطائرة غضرة كل ريشة
لها تحتها عين من الدمع تسفح
ومن بدائع ابن خطيب الاندلس:
وناعورة تحسب من صوتها
متيما يشكو الى زائر
كأغا كيزانها عصابة
رموا بصرف الزمن القاهر
قد منعوا ان يلتقوا فاغتنى
أولهم يبكي على الآخر

ومن تحرير القيراطي قوله:
وناعورة قد ضاعفت بنواحيها
نواحي وأجرت مقلتي دموعها
وقد ضعفت مما تئن وقد عدت
من السقم والشكوى تعد ضلوعها
التقي ابن حجة قوله فيها:
وناعورة قد سلسلت دور انسنا
وأهدت لنا روحاتها نفحة الصور
إذا ما سقت دورا تحرك عودها
لنا وتغني في البسيط على الدور

شيخه علا الدين بن القضايمي:
وذاش شجو أسالت
مدامعا لم تصنها
تبكي بفرط دموع
ويضحك الروض منها

ابن نباتة رحمه الله تعالى:

وناعورة قسمت حسنها
على واصف وعلى سامع
وقد ضاع نشر الربا فاغتدت
تدور وتبكي على الضائع
ومن محاسن شعره قوله فيها:

اعجب لها ناعورة قلبها
للماء منشى العيش والعشب
تعبانة الجسم ولكنها
كما ترى طيبة القلب

الامير مجير الدين بن تميم رحمه الله:
أبدت لنا بالعدر ناعورة
أدمعها في غاية السكب
تقول لما ضاع قلبي وقد
ضعفت بالنوح وبالنذب
صيرت جسمي كله اعيينا
تدور في الماء على قلبي

ومن تضامين ابن تميم قوله:
وناعورة شبهتها حين ألست
من الشمس ثوبا فوق اثوابها الخضر
كطاوس بستان تدور وتنجلي
وتنفض عن ارياشها بلل القطر

ومن لطائفه قوله فيها:
ناعورة مذ ضاع منها قلبها
دارت عليه بأنة وبكاء

وتعللت بـلقائه فلأجل ذا
جعلت تدير عيونها في الماء

الشرفان

ومن محاسن الشام شرفاها وما حويا من المناظر والقصور، وما فيها من الولدان والخور. وتقرب الى الله تعالى أهلها ببناء المدارس، رغبة في جوار المجرد الفقير البائس. ورتبوا له من الخبز واللحم والطعام، والزيت والحلو والصابون والمصروف في كل شهر على الدوام. فيجلس الطالب في شباكها ينظر الى الماء والخضرة والوجه الحسن، فيكف لا ينبعث الى طلب العلم ويتحرك من فهمه ما سكن. ويقال ان بمدرسة الكججانية قبة بها طاقات بعدد أيام السنة، والشمس دائرة على تلك الطيقان ولا تدخل اليها وهذا من حسن الهندسة.

وأما جامع تنكز فانه في الشرف الادنى وهو من الغايات هندسة وبناء فيه عشرون شباكاً على خط الاستواء يشرف على الانهار ومرجة الميدان وما حوى. وبوسط صحنه يمر نهر بانياس يتوضأ منه الناس وبه ناعورتان يملآن ويفرغان الى حوضين بها سائر الاشجار، وجميع الرياحين والازهار. وبينهما بركة مربعة بها كأس في غاية التدوير، يجري الماء اليها من النواعير. فهو متنزه يقصد، وللمصلي معبد. وفي كل شرف منها عدة من المدارس والمساجد، ولكل واحد ما يكفيه من الاوقاف استولت عليها ايدي المتشبهين بالفقهاء فظهروا فيها انواع المفاسد. فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

وكل شرف يطل على (الشقرا) و (الميدان)، و (القصر الابلق) و (المرجة) ذات العيون والغدران. وما أحسن قول الشيخ شمس الدين محمد النواجي الشافعي في وصف الشرف الاعلى:

الا ان وادي الشام أصبح آية
محاسنه ما بين أهل النهى تتلى

وان شرفت بالنيل مصر فلم يزل
دمشق لها بالغوطة الشرف الاعلى
ونقلت من خط العلاء علي بن المشرف المارديني في غلام اسمه علي في الشرف
الاعلى:

جنى علي ولكن وجهه حسن
وفعله المرتضى يحلو به الشغف
بدر من الشرف الاعلى له نسب
وهل لغير علي ينسب الشرف
الامير مجير الدين محمد بن تميم يصف الميدان:
عجبا لميداني دمشق وقد غدا
كل له شرف اليه يثول
والنهر بينهما لغير جناية
سيف على طول المدى مسلول
وقال ابن الشهيد في (الشقراء و(الميدان):
ولم تحك جلق في المحاسن بلدة
قول صحيح ما به بهتان
ولئن غدوت منافسا في غيرها
ها بيننا (الشقراء و (الميدان)
ومن تحرير القيراطي قوله في وصف الشقراء:
سربي الى الشقراء من جلق
واثن الى الخضراء منك العنان
فيها جنان لو رأى حسنها
ابو نواس لها عن (جنان)
وانزل بواديها الذي تربه
مسك وحصبا النهر منه جمان

المرجة

ومن محاسن الشام مرجتها قرأت كتاب وقف تربة السلطان الملك الظاهر (برقوق) سقى الله عهده الكائنة بالصحرا خارج (باب النصر) من (القاهرة) المحروسة وهو متصل الثبوت الى آخر وقت تسجيلي على بعض القضاة الشافعية، من جملة طاحون الشقراء بمرجة (دمشق) المحروسة ظاهر قصر الملك الظاهر ابي الفتوحات (بيبرس) سقى الله عهده بالقرب من (زاوية الاعجام) ويليهما قصبة سوق عدة حوانيتها احد وعشرون حانوتا وعلوها الطباق المطلة على المرجة المذكورة وبآخرها المسجد المطل على نهر بردى. انتهى.

قلت وأدركت الطاحون غير دائرة. ولقد هدمها وكيل المقام الشريف (برهان الدين النابلسي) المعروف بابن ثابت في أوائل دولة السلطان الملك الاشرف (قايتباي) خلد الله تعالى ملكه. فعلى هذا كانت المرجة عامرة أهلة وهي من المحاسن التي لا تدرك وبعضهم يشبهها بصدر الباز^(١٥) كأنه شبهها به لان الوادي ينضم من رأسها ويعلوه جبلان وشبه هذين الشرفين بالاجنحة.

ونقلت من خط التقي ابن حجة قوله فيها:

ذكرت احبتي بالمرج يوما

فقوت ادمعي نيران وهجي

وصرت اكابد الاحزان وحدي

وكل الناس في هرج ومرج

ومن بديع القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قوله فيها:

ومرجة في واد يروكك روضها

ولا سيما ان جاد غيث مبكر

(١٥) لا يزال منتهى (المرجة) في جهة الغرب يدعى الى اليوم (صدر الباز).

بها فاض نهر من لجين كأنه
صفائح اصبحت بالنجوم تسمّر
تلاحظها عين تفيض بادمع
يرقرقها منه هنالك محجر
وكم غازلته للغزاة مقلّة
تسارق اوراق الغصون فتتنظر
إذا فاخرته الريح ولّت عليلة
بأذيال كشبان الربا تتعثّر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا
به الروض يحیی وهو لا شك جعفر^(١٦)

حي المنبيع

ومن محاسن الشام محلّتا (الخلخال) و (المنبيع) فمحلة (الخلخال) بها سوقة
وحوانيت وفرن وحمام وهي مسكن الاتراك وكذلك المنبيع والشرفان وبه يدق
طبلخاناتهم وبها زاويتا الادهمية والحضود وهي تحف بالناس والاعيان ومن أحسن
قول الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة في وصف الخلخال:

يا حبذا يومي بوادي جلق
ونزهتي مع الغزال الحالي
من اول الجبهة قبلته
مرتشفاً لآخر الخلخال
(والمنبيع) محلة وسوقة وحمام وافران وبها مدرسة (الخاتونية) وهي من اعاجيب
الدهر يمر بصحنها نهر (بانياس) ونهر (القنوات) على بابها ولها شبابيك تطل على المرجة
وبها الواح الرخام لم يسمح الزمان بنظيرها وعدة من خلاوي الطلبة وبجوارها دار

(١٦) فيه تورية بآل برمك.

الامير الاصيل (ابن منجك) رحمه الله تعالى وبها سكن القاضي بهاء الدين بن جحي
الشافعي رحمه الله تعالى. وهذه المحلة من محاسن دمشق وشرفها. انتهى.
نقلت من خط الشيخ شمس الدين محمد النواجي في وصف المنيع:
يا سادة اهدوا محاسن جلق
لطرفي ففاضت بالبكا عبرات
منيع جفني فوق ربوة جبهي
يزيد ودمعي بعدكم قنوات (١٧)

منتزه الجبهة

ومن محاسن الشام المنتزه المسمى بالجبهة وهي أرض مربعة قدر فدانين عليها
سقائف تظلها من غير طين بين شجر الصفصاف والجوز والخور وكل مفرش حصير
تحيط به جداول الماء من اربع جهاته مع البرك والبحرات بالنوافر وهي على جنب نهر
(بردى) وبه النواعير وبها حوانيت للشراعية والجزارين والطباخين والخواضرية
والاقسماوية والنكاهين وغير ذلك. وبها مسجد ومدرستان ومربط الدواب،
ومقاصفية واقفون في خدمة الناس. وعندهم اللحف والانطاع والعبي لمن يبات.
وفيها يقول التقي ابن حجة الحموي (دوييت):

لما ملأ (الجبهة) بالانوار
لنأه على ذلك خوف العار
قال انصرفوا سئمت من بلدتكم
و «الجبهة» من منازل الاقمار

وفيها يقول علي بن سعيد صاحب (المرقص والمطرب) وقد رآها عند شمس
الاصيل قبيل المغرب:

(١٧) فيه تورية بمحلة (المنيع) ومتنزهي (الربوة) و(الجبهة)، ونهري (يزيد) و(القنوات).

ان للجبهة في قلبي هوى
لم يكن عندي للوجه الجميل
يرقص الماء بها من طرب
ويميل الغصن في الظل الظليل
وتود الشمس لو باتت بها
فلذا تنصفر في وقت الاصيل

ويعلوها نهرا (القنوات) و (بانياس) المنحدر الماء اليها منه ومن فوق النهر حمام
النزه والى جانبه مقصف بحوانيت فيها البضائع ويمر بوسطه نهر القنوات . ويتوصل
منه الى زاوية الحريري المشهورة وليس أبداع من منظرها وينحدر منها الماء الى المتنزه
المسمى (قطية) وهي مقصف على نهر بردى وعليه النواعير متشعبة اراضيه بجداول
الماء والبرك والبحرات . وبه قصبة ذات حوانيت يعلوها اربعة أطباق ومربط
للدواب . وعند المقاصفي العبي واللحف والانطاع حتى الاطباق والملاعق لمن يأكل
وهذا مما لا يوجد في بلد من البلاد.

انشدني قاضي القضاة عزالدين احمد الكتاني الحنبلي فيها:

أيا حسن سلسال على نهر قطية
إذا ما جرى فيها نخوض ونلعب
تهده اغصانها برؤوسها
فينظر من طرف خفي ويهرب

وقال ابن عماد الاندلسي وابدع:

نهر يهيم بحسنه من لم يهم
ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
فكأنه وكأن خضرة شطه
سيف يسل على بساط أخضر

متنزه النيرين

ومن محاسن الشام المتنزه المسمى بالبهنسية . وهو روض يجمع بين الاشجار، والفواكه والازهار، مع عيون الماء، وتظهر منه الى (مرجة جسر ابن شواس). به مقاصفي وبيع وشراء ويتوصل منه الى اراضي (حمص) مابين رياض وغياض. ويعلوها محلة (النيرين). وهي أعظم المحلات وأخضرها وأنظرها- حسنة الاثمار كثيرة الازهار وبها سويقة وحمام يقال له (حمام الزمرد) وجامع بخطبة وهي مسكن الرؤساء والاعيان وبها دار قاضي القضاة نجم الدين يحيى بن جحى وفيها قتل رحمه الله تعالى ومنها تدخل الى أرض الربوة.

وأعجب من هذا ان السالك الى الربوة من حين يخرج من باب (جامع يلغا) يمشي بين اشجار، وأثمار، ومياه، وظل ظليل. لا يمكن ان يرى الشمس. إلا إن يقصد رؤيتها. انتهى.

وفيها يقول بدر الدين بن لؤلؤ الذهبي يصف النيرين:

رعى الله (وادي النيرين) فاني
قطعت به يوما لذيذا من العمر
درى انني قد جبته متنزها
فمد لاقدامي ثيابا من الزهر
واوحى الى الاغصان قربي فارسلت
هدايا مع الارياح طيبة النشر
وأخدمني الماء القراح وحيثما
سنحت رأيت الماء في خدمتي يجري

واجاد الوداعي بقوله ثم افاد:

ويوم لنا بالنيرين رقيقة
حواشيه خال من رقيب يشينه

وقفنا وسلمنا على الدوح بكرة
فردت علينا بالرؤوس غصونه
سيف الدين المشد وأبدع:
وصباً صَبَّتْ من (قاسيون) فسكّنت
بهبوبها وصبّ الفؤاد البالي
خاضت مياه (النيربين) عشية
وأتونك وهى ليلة الاذبال

ربوة دمشق

ومن محاسن الشام محلة (الربوة) قال بعض المفسرين الربوة احدثها بنو كنعان
وابتدأوها. وهي المذكورة في قوله تعالى «(وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين)» يعني
مريم وعيسى عليهما السلام. وانما قيل لها ربوة لانها مرتفعة مشرفة على غوطتها
ومياهاها. وكل راب مرتفع على ما حوله يقال له ربوة ومنه تربية الصبي لترفعه في
النفس والجسم. والمعين الماء الذي يخرج من الارض.

وقال ابن مطرف في ترتيبه: الربوة فيها ثماني لغات. رُبوة. ورَبوة. ورِبوة.
ورُباوة. ورَبَاوة. ورِبَاوة. ورابية ورُبى والجمع رُبى.

والربوة معارة لطيفة بسفح الجبل الغربي وبه صفة محراب يقال انه مهد عيسى
عليه السلام يزار وينذر له. وبها جامع وخطبة ومدارس وعدة مساجد، وبها قاعات
وأطباق وفيها عين ماء يقال لها (الملثم) ومرابط للدواب وبها سويقتان قاطع بينهما نهر
(بردى) وبها صيادو السمك يصطادون، والقلايون على جبل النهر يقلونه ويذبح فيها
كل يوم خمسة عشر رأسا من الغنم خلاف ما يجيئها من اللحم من المدينة، وبها عشرة
شرايحية ليس لهم شغل غير الطبخ والغرف في الزبادي والصحون وكل ما تشتهي
الانفس فيها وبها فرنان وثلاثة حوانيت برسم عمل الخبز الشوري واما الفواكه فلا

قيمة لها فاني اشتريت الرطل بربع درهم^(١٨). وكذلك الرطل الدمشقي من المشمش
مثله والتفاح كذلك وبها حمام ليس على وجه الارض نظيره لكثرة مائه ونظافته وله
شبابيك تطل على النهر وهو مبني ما بين الانهر من فوقه ومن تحته . وبها طارمة المسجد
الديلمي الذي جددته نور الدين الشهيد وله اوقاف على قراء ووعاظ وقراءة البخاري
وغير ذلك كالمؤذن والفراش والبواب والوقاد وفيه يقول تاج الدين الكندي :

ان (نور الدين) لما أن رأى
في البساتين قصور الاغنياء
عمر (الربوة) قصرا شاهقا
نزهة مطلقة لفقراء
وقال الامير مجير الدين محمد بن تميم وأحسن رحمه الله :
يا حسن طارمة في الجو شاهقة
ما ان تمل بها العينان من نظر
نزّه لحاظك في طاقاتها لترى
اصناف ما خلق الرحمن للبشر
ترى محاسن واد يحتوي نزها
لذاذة السمع والابصار والفكر
وربوة قد سمت حتى تحال لها
سرا تحدثه للانجم الزهر
ما بين روض وأنهار مسلسل
تجري وتحمل انواعا من الثمر
كم بتّ فيها وخدني شادن غنج
حلو التثني كغصن البانة النضر
اشكو اليه الذي ألقى ومقلته
تشكوالي الذي يلقي من السهر

(١٨) وزن الرطل الدمشقي ثمانمائة درهم

حتى رأيت نجوم الليل قد غربت
عنا وهبت علينا نسمة السحر
قمنا نجرّر أذيال العفاف بها
والله يعلم منها صحة الخبر
لا خير في لذة تمضي ويعقبها
خطيئة تسلك الانسان في سقر

ومن لطائفة قوله:

موضع القس جنة الخلد اوضحت
مهجتي كل ساعة تشتهيها
طوقني بفضلها فلهذا
كلما زرتها أغرّد فيها

وهذه القاعة التي بناها نور الدين الشهيد هي على شعب جبل جميعها متخّطة
بالواح من خشب سقّفها (نهر يزيد) وأساسها من تحتها (نهر ثورا) ومنظرها من
الغايات التي لا تدرك وقبالها في الجبل الغربي ضريح العاشق والمعشوق وعليهما
صومعتان مبيضتان وبينهما سبعة مقاصف كل مقصف فيه من الثريات والمصابيح
والغطاء والوطاء ما لا يحتاط به الوصف حتى ان بعض الناس يطلع اليها ليتنزه فيها
يوما فيقيم بها شهرا، وجبالها متقابلان متلاقيان عليها الجبل الغربي بذيله دف
الزغفران والجبل الشرقي رأسه مثل الجنك. ولهذا اطنب الشعراء في وصفها.

وقال الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة في وصفها:

بالجنك من مغنى دمشقي حمائم
في دف اشجار تشوق بلطفها
فاذا اشار لها الشجي بكاسه
غنت عليه بجنكها ويدفها

وقال الشيخ صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي:

انهض الى (الربوة) مستمتعا
تجد من اللذات ما يكفي
فالطير قد غنى على عوده
في الروض بين الجنك والدف
ومن محاسن الشيخ عمر بن الوردي قوله:
دمشق قل ما شئت في وصفها
واحك عن (الربوة) ما تحكي
فالطير قد غنى على عوده
في الروض بين الدف والجنك
ومن لطائفه قوله وقد اغار الصفدي على بيت ابن الوردي:
يا ربوة أطربتني وحسنت لي هتكي
اذ لست أبرح فيها ما بين دف وجنك
ونقلت من خط الشيخ شعبان الأثاري^(١٩):
كم تحت جنك الربوة الفيحاء من
دف زهت اشجاره بشنوفها
سقى لها من ربوة من حل في
ها أطربته بجنكها ودفوفها
ونقلت من خط الشرف القواس قوله:
بربوة الشام ربث منيتي
وقر قلبي وهي دار القرار
وطيرها المطرب في جنكه
غنى على ناي وعود وطار
ونقلت من خط الشرف القواس قوله:

(١٩) في الأصل (شيان الاماري).

أود بنائي لو أرى الجنك ساعة
وأنفق فيه كل ما أنا أملك
فليس لنفسي في سوى الجنك مطلب
فدعهم يقولوا فيه للصب مهلك
ونقلت أيضا من خطه:

سرى إلى الوادي وقف متنزها
فالجنك غنت فوقه الاطيار
لو لم يكن هو جنة المأوى لنا
ما كان تجري تحتها الأنهار
ونقلت من تحرير الشيخ برهان الدين القيراطي قوله:
سقى الجنك منهل الرباب فشوقنا
لطيب مغاني أرضه ماله حصر
وحيا بقطر الشام أنهارها التي
على شهادها للدمع من مقلتي قطر
وجادت سماء الغيث أرضا سماؤها
غصون رياض الزهر آفاقها زهر
فكم جاءني منها نسيم ممسك

وعرفها للقاربين بها العطر
وطلع الشيخ شمس الدين محمد بن الخياط الشهير بضفدع مع ابن خلكان إلى
الربوة فوجدا غلمانا يعومون ويلعبون في نهر (ثورا) الذي تحت التخوت المعروف
بالمنيقية فأنشد ضفدع قوله:

لربوتنا واد حوى كل بهجة
فعيش الورى يحلو لديه ويعذب
ترق لنا الأنهار من تحت جنكة
فلا عجب أنا نخوض ونلعب

فانشد ابن خلكان رحمه الله :

وسرب ظباء في غدير تخالهم
بدورا بأفق الماء تبدو وتغرب
يقول خليلي والغرام مصاحبي
اما لك عن عهد الصبابة مذهب
وفي دمك المطلول خاضوا كما ترى
فقلت له دعهم يخوضوا ويلعبوا

ومن محاسن الشام (المقسم) الذي تنقسم منه السبعة أنهار وأصله من ينابيع
(عيون التوت).

واليها يشير برهان الدين القيراطي بقوله:
عندي لأرض دمشق فرط صبابه
فسقى حماها الرحب صوب غيوث
وعيوننا لفراق ممشها حكي
جريان ادمعها (عيون التوت)

ويعر (بردى) على قرية الزبداني كالبحر الى ان يلتقي على قرية (الفيجة) الفيحاء
(بمياه ينبوعها).

وما احسن قول الشيخ برهان الدين القيراطي في وصف الزبداني:
دمشق وافي بطيب نسيمها المتداني
وصح قول البرايا من عاشر الزبداني

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في (الملقط) ان ماء العيون بارد رطب، وجيده من
العيون الشرقية ينفع الكبد الحارة، وضرره احداث الترهل، ودفع ضرره بالحمام
والرياضة. يصلح للامزجة الحارة.

وقال ابقراط الماء يحفظ على البدن رطوبته ويقمع الحرارة ولا يغذو ولكن يرقق

الغذاء وينفذ الى العروق، وهو يضر اصحاب الرطوبات والبلغم، الا انه اذا طبخ في اناء جديد كخزف أو قوارير قلت رطوبته ونفخة. وأفضل المياه مياه العيون الحارة الارض، التي تخرج من الاودية بشدة على مقابلة الشمال، وتجري على الطين الحر مكشوفة للشمس والرياح، ولا تمر على بطائح، ويكون ماؤه صافيا براقا، وأجوده أخفه وزنا، وأسرعه قبولا للسخونة والبرودة، وأعذبه طعما.

ويقال من ظاهر (باب السلام) الى ظاهر (باب توما) ثلاثمائة وستون عينا تجري الى القبلة. قلت: ورأيت غالبها وارتويت من عذبتها. انتهى.

وتنقسم هذه الانهار السبعة منها (يزيد) و (ثورا) بذيل الجبل الشرقي. ويشق نهر (بردى) ببطن الوادي ونهر (بانياس) ونهر (القنوات) ونهر (القناية) ونهر (الداراني) بذيل الجبل الغربي.

وآخر ما يتصفى من هذه الانهار ويفضل منها هو نهر (بردى) وينزل في (المقسم) على نحو من عشرين درجة كالشادروان؛ فرويته تذهب الهم وتزيل الحزن.

وما أطف قول القاضي صدر الدين بن الآدمي رحمه الله :

قالوا فؤادك برّد عن محبتهم

فقلت نار الهوى لا تنطفي ابدا

برّدت قلبي عن الاحباب مذ رحلوا

بما (يزيد) على (ثورا) وما (بردا)

وقال صاحب دواوين الانشاء العلاء بن فضل الله :

انزل بباناس ففي نهرها

سرّ به تجلى عروس السرور

واسمع حديث الماء في جريه

فانه يشفي عليل الصدور

وجمعها الشيخ شعبان الأثاري في قوله وأجاد:

شوقي (يزيد) وقلب الصب ما (بردا)
و (بان يآسي) من المعشوق حين غدا
ومدمعي (قنوات) والعذول حكي
(ثورا) يلوم الفتى في عشقه حسدا
على مغنية بالجنك جاوبها
شبابه كم بها من عاشق شهدا
فالبدر (جبهتها) والردف (ربوتها)
وخلها مات من خلخالها كمدا
ومن محاسن الامير ابن درياس قوله:
والنهر قد عشق الغصون ولم يزل
ابدا يمثل شخصها في قلبه
حتى اذا فطن النسيم فجاءها
من غيرة فأمالها عن قربه
وأق عليه مهيمنا بعتابه
سرا فجعد وجهه من عتبه
ومن عقود ابن لؤلؤ الذهبي قوله:
ما فتح النور الا اشرف النور
فما اشتغالك والمنثور منشور
يا حبذا ودروع الماء تنسخها
انامل الريح لولا انها زور
وقال ابن قرباص:
وتحدث الماء الزلال مع الحصى
فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
فكان فوق الماء وشيا ظاهرا
وكان تحت الماء درّا مضمرا

وقال:

أيا حسنها من رياض غدا
جنوني فنوناً بأفنانه
جشى الماء وفيها على رأسه
لتقبيل أقدام اغصانها

وقال القاسم بن علي في خيال الاغصان في الماء:
انظر الى الغدران كيف ترقرت
فبدا بها شبح الغصون الميس
معكوسة الاشكال تحسب أنها
قامت على الأيدي له والأرؤس
وأبدع منه قول المناذري:

وقانا لفحة الرمضاء واد
وقاه مضاعف النبت العميم
نزلنا دوحه فحننا علينا
حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالاً
الذ من المدامة للنديم
يصد الشمس اتى واجهتنا
فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى
فتلمس جانب العقد النظيم

وما احسن قول ابن المشد:

والروض بين تكبر وتواضع
شمخ القضيبي به وخر الماء

ويعجبني قول ابن النبيه:

تبسم ثغر الزهر عن شنب القطر
ودبّ عذار الظل في وجنة النهر
فان رقّ واعتلّ النسيم صبايةً
اذا مر في تلك الرياض فعن عذر
توسوست الاغصان عند هبويه
فما برئت الا على رقية القمرى
يخادعني الورد الجني وانني
بوجنة من اهواه قد حرت في امري
ويبسم عن ثغر الاقحاح بنفسج
فألثمه شوقا الى لعس الثغر

ومن محاسن ابن تميم قوله:

والنهر مذ علق الغصون محبة
اضحت تطيل صدوده وجفاه
فتراه يجري لاثما اقدامها
وخريره شكوى الذي يلقاه

ومن لطائفه قوله:

ونهر حالف الاهواء حتى
غدا طوعا لها في كل امر
اذا سرقت حلى الاغصان القت
اليه بها فيأخذها ويجري

وقال ابن لؤلؤ رحمه الله تعالى:

وحديقة مطلولة باكرتها
والشمس ترشف ريق ازهار الربا

يتكسر الماء الزلال على الحصى
فاذا جرى بين الرياض تشعبا
وقال أيضاً:

والنهر كالمبرد يجلو الصدى
ببرده عن قلب ظمآنه
ومن نكته البديعة قوله:

ونهر يحب الدُّوح أصبح مغرماً
يروح ويغدو هائماً بوصالها
إذا بعدت عنه شكاً بخيريه
جفاها وامسى قانعاً بخيالها

ومن اغراضه قوله:
ونهر اذا ما الشمس حان غروبها
عليه ولاحت في ملابسها الخضر
رأينا الذي أبقت به من شعاعها
كأننا أرقنا فيه كاساً من الخمر

ومن معانيه قوله:
وحديقة ينساب فيها جدول
طرقي برائق حسنه مدهوش
يبدو خيال غصونها في مائه .
فكأنما هو معصم منقوش

ومن ملحه قوله:
يا حبذا النهر الذي أمواهه
تسبي العقول بحسن ما تبديه

هو في الحقائق غير أن عيوننا
ان لا حظته تر الحقائق فيه
وقال محيي الدين بن قنّاص:

فديتك ائت روضتنا تجدها
تميل الى لقائك بالصدر
يعانقك القضيبي بها سرورا
ويخفق فرحة قلب الغدير
ومن لطائفه قوله:

لما تبدى النهر عند عشية
والروض يخضع للصبا والشمال
عابنته مثل الحسام، وطله
مثل الصدا، والريح مثل الصقل

وقال ايضاً:

يا حسنه من جدول متدفق
يلهي برونق حسنه من ابصرا
ما زلت أنذره عيوننا حوله
خوفنا عليه أن يصاب فيعثرا
فأبى وزاد تماديا في جريه
حتى هوى من شاهق فتكسرا

ابن قنّاص الحموي:

سرق النسيم حلى الغصون بلطفه
لما أتاها وهي في اطرابها
ورمى بها نحو الغدير فضمها
من خوفه في صدره وجرى بها

وقال جالينوس : الماء الذي يجري في الأنهار، وتعلوه الأشجار؛ حار غليظ يعظم الطحال والكبد، ويقمح اللون ويفسد المعدة، ويولد الحميات. وكذلك ماء البشر لأنه يتحرك الى البروز حركة بطيئة ويطول تردده في الأرض العفنة. وجميع الماء العفن كماء الآجام والبطائح رديء؛ واردة منه ماء البشر والقنا لانه لا يخلو من تعفن. وأردأ من الجميع الماء الذي يجري في مسالك من رصاص. واقرى الماء المعتدل البرودة فانه يقوي الشهوة والمعدة ويحسن اللون، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات الى الدماغ، ويحفظ الصحة. ومن اعتاد شرب الماء المبرد في الهواء لم يحتج الى الثلج لأن مضرة الثلج تتبين بعد وقت فانها تتجمع قليلا قليلا واذا صار اصحابها الى سن الكهولة عرفوا شرها. على ان الماء المثلوج يبرىء، وينهض الشهوة، ويقوي المعدة؛ ويصلح الأمزجة الحارة، ويأمن الترهل إلا انه يضر الصدر والحنجرة والدماغ والأسنان والعصب. واصحاب الاحشاء الورمة تدفع مضرته بالرياضة والحميص. انتهى

حواكير دمشق ورياحينها

ومن محاسن الشام «الحواكير» وهي كالحدائق في سفح (جبل قاسيون) فان الفاصل بينه وبين (جبل الربوة) عقبة قرية (دمر) التي بحد (قبة سيار) يقال ان سياراً هذا وبشاراً كانا يتعبدان على رأس هذين الجبلين اللذين للربوة وكأنهما كانا من أصحاب الخطوة فاذا أراد احدهما الاجتماع بالآخر يضع قدمه على جانب الجبل والآخر عند صاحبه فكانهما كانا يمشيان في الهواء فبنوا لهما هاتين القبتين على هذين الجبلين.

رجع * وكان حكماء اليونان اذدروا هذه الرياحين والازهار في سفح (جبل قاسيون) لحكمة وهو أنه يقيها البرد كونها في داره، وان النسيم اذا مر بها يحمل منها [من طيب الريح] ما استطاع ويسري به الى من تحتها من أهل المدينة والسكان. ولهذا قال (ابقراط) ينبغي للمعتني بصالح بدنه ان لا يدع حظه من الاستمتاع بروائح الازهار والرياحين فانها تقوي الروح وتنعش الحرارة الغريزية التي بها قوام

الحياة، والعليل احوج اليها من الصحيح لانه قد عجز عن الأخذ من المطاعم والمشارب فهي تنوب عن فعلها في التقوية. انتهى

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ «من عرض بريحان فلا يردّه، خفيف الحمل طيب الروح» يعني عليه السلام بالريحان كل ذي رائحة زكية من الازهار.

وقال ابن سينا: ينبغي للمرء ان لا يستعمل من المسمومات الا ما كان موافقا لمزاجه وطبعه فان كان مزاجه حارا يستعمل البارد وان كان باردا يستعمل الحار ويجعلها اصنافا مختلفة من حار وبارد فيعتدل لكل مزاج.

وينبغي ان لا يتناول المسموم الا غباً وعند توقان نفسه اليه فانه أشهى والدّ موقعا وكذلك جميع المحسوسات اذا احجم نفسه عنها ثم تناولها مشتها لها فانه يجد لذتها على الكمال. الا ترى العطارين تمل خياشيمهم من الروائح الطيبة وتكل فلا تجد لها رائحة وكذلك مدمنو الروائح القذرة المتنة فان خياشيمهم تألف ذلك التّن حتى لا يكاد أحدهم يتأذى به. وينبغي ان لا يدني شيئا من المسمومات الى انفه فانه أشهى وابقى لزهرة الرياحين. انتهى

ورد دمشق

ومن محاسن الشام «الورد» وهو جنس تحته ستة أنواع بدمشق خلا الاسود، وهو بارد يابس قابض يقوي القلب والأسنان.

جيده «الجوري» يصلح للدماغ الحار والكبد، يسكن الصداع ويضر أكله الباه وشرابه يبرد الدماغ؛ دفع مضرته خلطه بالكافور. واذا ربي بالعسل او بالسكر جلا ما في المعدة من البلغم؛ واذهب العفونات. وهذا يكون من الورد النصيبي؛ وماؤه بارد لطيف، والاكثر منه يبيض الشعر

ونقلت من (الفردوس) للامام الحافظ أبي شجاع شيرويه بسنده عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «ان الله عز وجل خلق الورد من بهائه، وجعل

له ربح انبيائه ؛ فمن أراد أن ينظر الى بهاء الله ، ويشم رائحة انبيائه فليتنظر الى الورد
الاحمر ويشمه» .

وكتب الشيخ جمال الدين محمد بن نباته ورقة : «سطرها المملوك ومنظر الروض
قد شاق ، ودمع الغيث قد رقا ووجه الارض قد راق ، والغصون المتعطفة قد ارسلت
أهواء القلوب بالاوراق ، وحائتها المترنمة قد جذبت القلوب بالاطواق . والورد قد
احمر خده الوسيم ، وفكت ازراعه من أجساد القضب انامل النسيم ، وخرجت اكفه
من اكمامه تأخذ البيعة على الازهار بالتقديم . انتهى .

ومن محاسن الخوارزمي قوله :

أما ترى شجرات الورد مظهرة
لنا بدائع قد ركين في قضب
كأنهن يواقيت أضيف بها
زبرجد وسطها شذر من ذهب

ومن لطائف محمد بن عبد الله بن طاهر قوله فيه :
أما ترى الورد يدعو للورود على
عذراء صافية في لونها صهب
ترى صداهن ياقوت مركبة
على الزمرد في أوساطها ذهب

ومن بديع ابن المعتز بالله قوله فيه :

ووردة في بنان معطار
حيى بها في خفى اسرار
كأنها وجنة الحبيب وقد
نقطها عاشق بدينار
وأوضحه ابن خطيب داريا بقوله :

انظر الى الورد ما أحلى شمائله
سبحان خالقه من يابس الخطب
كأنه وجنة المحبوب نقطها
كف المحب بدينار من الذهب
صاغه اللغوي الاندلسي في انضمامه بعد الفتح فقال:

ورد تفتح ثم انضم منطقته
كما تجمعت الافواه للقبل
وما ألطف قوله القائل:

أهدى إليّ معذبي ورداً ولم يك وقته
فسأله عنه فقا ل من الخدود قطفته
قبلته فكأنني في خده قبلته
أبو الوليد الشاطبي:

فوق خد الورد دمع
من عيون السحب يذرف
برداء الشمس أضحى
بعد ما سال يجفف

ومن التشابه البديعة ما كتب إلي بعض اللطفاء:
ودونك يا سيدي وردة
يذكرك المسك انفاسها
كعذراء ابصرها مبصر
فغطت باكمامها راسها

وأنشدني فيه ذو الوزارتين صاحب الصناعتين أحمد الخلوف:

حكت شجرات الورد في الروض اذ غدا
يقبلها في خدها مبسم القطر
سقاة محل ابرزت في أكفها
كؤوس نضار قد ترصعن بالدر

ومن مقاصد أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز بالله قوله:

وترى الغصون تميل في أوراقها
مثل الوصائف في صنوف حرير
والورد في خفر النقموع كأنه
حمر الخدود بخضرة التعذير

واحسن القائل فيه:

الورد احسن منظراً تتمتع الألحاظ منه
فاذا انقضت أيامه ورد الخدود ينوب عنه

وقال ابن العفيف رحمه الله:

قامت حروب الزهر ما
بين لرياض السندسيه
وأنتُ باجمعها لتغ
زو روضة الورد الجنيه
لكنها انكسرت لأن
الورد شوكته قويه

نقلت من خط زين الدين عبد الرحمن الخراط في الورد على الماء:

عجبت وقد رأيت عيناى ورداً
يسير بجدول عذب الشروع

فلم ير ناظري ابداً خدوداً
 جرت من قبلهن مع الدموع
 وما أطف قول برهان الدين القيراطي :
 ان للروح في دمشق لمأوى
 ذا قرار وذا معين وربوة
 وبروضاتها بساتين ورد
 لي بأزراها صباية عروه (٢٠)
 وأبدع الشريف الرضي بقوله :
 كم وردة تحكي بسبق الورد
 طليعة تسرعت من جند
 قد ضمها في الغصن قرص البرد
 ضم فم لقيلة من بُعد
 دخل مجير الدين بن تميم الى حديقة هذه الوردة وجمعها :
 سبقت اليك من الحقائق وردة
 وأنتك قبل أوانها تطفيلاً
 طمعت بلثمك إذ رأتك فجمعت
 فمها اليك كطالب تقبيلاً
 ونقلت من خط ابن حجة له :
 ارى الورد عند الصبح قد مد لي فما
 يشير الى التقبيل في ساعة اللبس
 وبعد زوال الصبح يبدو كوجنة
 وقد أثرت في وسطها قبلة الشمس
 ومن نكته البديعة قوله :

(٢٠) هو (عروة بن حرام)، الذي تضرب الأمثال بكائه الديار.

قالوا لزهر الخلاف عرف
يضع في ساعة القطاف
فضيع الورد قلت كلا
الورد أذكى بلا خلاف
وتلطف القائل:

كتب الورد الينا في قراطيس الحدود
يا بني اللهو صلوني قد دنا وقت ورودي

ونقل النواجي في كتابه (تأهيل الغريب) عن المتوكل أنه كان يقول «انا ملك
السلطين والورد ملك الرياحين فكل منا أحق وأولى بصاحبه» حتى حرمه على الناس
واستبد به وقال «لا يصلح للعامة» فكان لا يرى الورد الا في مجلسه . ولهذا قال علي
ابن الجهم في رثائه:

وبات اللهو وهو سخين عين

وصار الورد بعدك في انتها^(٢١)

وكان لا يلبس في أيام الورد الا الثياب الموردة ويجلس على الفرش والاسانيد
الموردة ويورد جمع الآلات وينشد قول جحظه .

عزيز علي بان يمسك ساقط أو ان تراك نواظر البخلاء

ويقال أن كسرى مر بوردة ساقطة على الارض فقال «أضاع الله من اضاعك»
ونزل وهو في موكبه ووضعها على رأسه .

قلت: وكل من تعرض الى وصف الورد وتشبيهه شغل عن علو رتبته وبديع
حسنه ، ولو سكتوا عن ذلك كان اليق بهم لانهم لم يتأدبوا معه مع علمهم بانه سلطان
الرياحين . ومن هذا القول بعضهم:

للورد عندي محل ورتبة لا تمْلُ
كل الرياحين جند وهو الأمير الأجل

(٢١) لعله في «انتها» .

ولعمري ان مثل هذا النظم السافل يمشي على كثير من الناس، وما احمرت
وجنات الورد الا خجلا من نسبة هذا الشعر اليها بين الندماء والجلال. انتهى
كلامه.

ومن النكت اللطيفة ما يحكى عن الفضل قال: دخلت على الرشيد يوما وبين يديه
طبق ورد عند جاريته ماردة. وكانت تحسن الشعر والادب مع الحسن والجمال. فقال
يا فضل قل في هذا الورد شيئا، فانشدته بديهة:
كأنه خد محبوب يقبله

فم الحبيب وقد ابدى به خجلا
فقال الرشيد قم يا فضل فاخرج عنا فقد هيجتني هذه الماجة، وقد ارخيت الستور
عليهما.

ونقلت من خط المرحوم مجد الدين عبد الوهاب بن سحنون خطيب النيرين
وطبيب بيمرستان الصالحية انشد في ضعف موته سنة اربع وتسعين وستمائة، وقد
عاده بعض أصحابه، ومعه وردة بيضاء فقال:

ووردا أبيضاً قد زاد حسنا
فعند الضد للخجل احرار
يمثله النديم اذا رآه
مداهن فضة فيها نضار
ونقلت من خط التقي ابن حجة قوله فيه:
كم وردة بيضاء قد حكنا لنا مذ ازهرت
طلعة بدر كامل والشمس فيها كوّرت
وقد ولّده من قول السري الرفاء فيه:

بدا أبيض الورد الجنيّ كأنما
تنسمه الناشي بمسك وكافور
كان اصفراراً منه وسط ابيضاضه
برادة تبر في مداهن بلور

وقال سعيد بن حميد في الورد الاحمر والايض معا:

يا حسنها من وردة بيضاء جاءت بالعجب
كجام بلور به قراضة من الذهب
وقال سعيد بن حميد فيه وما تقدمه ليس لسعيد بل للوأواء الدمشقي:
أتاك الورد محجوبا مصونا كعمشوق تكففه صدود
كأن عيونه لما توافت نجوم في مطالعها سعود
بياض في جوانبه احمرار كما احمرت من الخجل الخدود
ومن لطائف بلدينا ابن المعتز بالله قوله فيها معا:

أهدت إلي يد نفسي الفداء لها
الورد نوعين مجموعين في طبق
كان أبيضه في وسط أحمره
كواكب أشرقت في حمرة الشفق
الشريف الرضي في وصف الورد الثالث وهو الاسود:

وورد أسود خلناه لما توضع نشره ملك الزمان
مداهن عنبر غض وفيها بقايا من سحيق الزعفران

وقال ابن عين بصل يصف الورد الأصفر:

شجرات ورد أصفر بعثت في قلب كل متيم طربا
يا من رأى قبلها شجرا وسقي اللجين فانبث الذهبا
ومن محاسن الطغرائي قوله فيه:

ألم تر أن جيش الورد وافي بخضر من مطارفه وصفر
أق متلثما بالشوك أو في نصال زبرجد وتروس تبر
الرابع قال المطوعي في الورد القحاي الذي باطنه أحمر وظاهره أصفر:

ووردة جمعت لونين رائقة
خدي حبيب وخدي هائم عشقا

تعانقا فبدا واش فراعهما
فاحمرُّ ذا خجلا واصفر ذا فرقا
قحايي الورد في البستان يدعو
تبرجها الرجال الى الرحيق
لها نوعان ظاهرها كتبر
ولكن البواطن كالعقيق
تخال الجلنار على بهار
وتبريُّ الرياض على شقيق

ابن المعتز :

وذي لونين نشر المسك فيه يروق بحمرة فوق اصفرار
كمعشوقين ضمهما عناق على حدثان عهد بالمزار
ومن لطائف أبي بكر الخالدي قوله فيه :
وردة بستان قحابية زينت من الحسن بنوعين
باطنها من قشر ياقوتة وظهرها من ذهب عين
قبلتها حبا لها اذ بها حياني البدر على عين
كأنها خدي على خده يوم اجتمعنا غدوة البين

والخامس الورد الجوري وفيه قال الشيخ عمر بن الوردى :

قالت اذا كنت ترجو أنسى وتخشى نفوري
صف ورد خدي وإلا أجور، ناديت جوري

والنوع السادس من الورد هو الأصفر المطبق

وقرية الزبداني هي قلعة الورد يستخرجون بها ماورد القاهرة المحروسة ومكة
المشرفة وغيرهما من البلاد. وكذلك فاكهتها هي المنقولة الى القاهرة المحروسة
وغيرها.

وفيه يقول نجم الدين صاحب ديوان الانشاء بحماه :

وورد أتينا النار تقبض روحه
ونبعثها نحو الحبيب تكرما
فلما رآها احمرَّ واصفر قائلا
خذي نفسي يا ريح من جانب الحمى
وفيه يقول شهاب الدين بن الشبلي:
يا سيدي والذي خلّثقه كالروض أيدي الصبا تدمثها
بعثت وردا اليك عسى تقبض لي روحه وتبعثها
وقال آخر:

لم أنس قول الورد حين جنّيته
والنار لاستقطاره تتسعر
ناشدتكم نفسي خذوه وإنما
لا تعجلن بقبض روحي واصبروا
ومن رقيق شعر بلدنا محمد بن المزين الدمشقي قوله:
شاب ورد الرياض من ورد خديك وانفرك
فله الناس أثبتوا وانتفى الورد للكرك^(٢٢)

ومن محاسن الشام الورد السريني وهو نوار أبيض وأصله بري يمتد ويعرش
كالكرم وله أغصان برؤوسها الورد كل غصن فيه مائة وردة وأكثر . قال ابن البيطار
في مفرداته: وبعض الناس يسميه بالورد الصيني وأكثر ما يوجد بالشام بعد انفراك
الورد المتقدم.

وقال ابن سينا: الورد حار يابس في الثانية يقوي القلب اذا اديم اشتمامه، ويحلل
الرياح الكائنة في الرأس والصدر ويخرجها بالعطاس، واذا تدلك به في الحمام
مسحوقا بعد تنشيفه طيب رائحة البشرة والعرق. انتهى.

(٢٢) الكرك بلدة في منطقة (شرقي الاردن) الآن؛ وكان الحكام في القرون الوسطى قد اتخذوها منفى لمن يريدون
ابعداه عن الشام أو مصر. وفي تلك المنطقة (الخميمة) التي كانت منفى آل العباس رضي الله عنه قبل قيام دولتهم.

وقال السامري : هو من خصوصيات الشام ، وبالديار المصرية نسرين ليس هو.
هذا ، انما هو ورد سياج بساتين الشام . وهو نوار ابيض شديد العرق يجمعونه بمصر
ويبيعونه ولا يجمع في الشام ولا يباع لكثرتة . وهو يطلع في الغالب من عند الله تعالى
بدمشق وخروجه بالشام مع النسرين . انتهى .

ونقلت من خط الشيخ شمس الدين الدماميني :

أقول لصاحبي والروض زاه

وقد ابدى الربيع بساط زهر

تعال نباكر الروض المفدى

وقم نسعى الى ورد ونسري

ومن رقيق شعر ذي الوزارتين :

ابان لك النسرين أو خلت أنه

أكف سقاة حملت اكؤسا صفرا

مداهن عاج حشوها التبر اذ علت

رؤوس زنوج ألست حلا خضرا

نرجس دمشق

ومن محاسن الشام النرجس وهو جنس تحته أنواع : الاول اليعفوري ، الثاني
البري ، الثالث المضعف . قال ابن البيطار : في الرابعة ، وهو نبات له ورق مجوف
وليس عليه ورق . طولها اكثر من شبر وعليها زهر ابيض مستدير ، في وسطه شيء
لونه اصفر ومنه ما لونه اسود وثمرته سوداء كأنها في غشاء مستطيل . وهو طيب
الرائحة واذا أكل أصل النرجس مسلوقا أو شرب هيج القيء فاذا شم زهره نفع من
وجع الرأس ويفتح سدد الدماغ . وشمه ينفع الزكام الباردة ، وفيه تحليل قوى
الرطوبات ويخفف ويلطف ويحلو.

وقال جالينوس : ان النرجس راعي الدماغ والدماغ راعي القلب .

وقال ابقرط: كل شيء يغذو الجسم والنرجس يغذو العقل.

والنرجس المحدث وهو البري اذا شق بصله وغرس صار مضعفا. ومن أدمن شم النرجس في الشتاء أمن البرسام في الصيف. وهو معتدل في الحرارة واليبس.

وفي (اسنى المطالب في مناقب علي بن ابي طالب رضي الله عنه) للحافظ شمس الدين ابي عبدالله محمد بن الجزري الشافعي رحمه الله تعالى حديث مسلسل بالقضاة الى القاضي شريح قال حدثنا اقضى قضاة الأمة امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «شموا النرجس ولو في اليوم مرة ولو في الجمعة مرة ولو في الشهر مرة ولو في السنة مرة ولو في الدهر مرة فإن في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها إلا شم النرجس» ورواه أيضا صاحب (الفردوس) مسلسلا بالقضاة الى اقضى الامة امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ولقظه «شموا النرجس فانه ما منكم احد الا وله شعبة بين الصدر والفؤاد من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها الا شم النرجس».

وقال ابن سينا: من كان له رغيغان فليجعل احدهما في ثمن النرجس، لان الخبز غذاء الابدان والنرجس غذاء الارواح.

وكان كسرى يقول: اني لاستحي ان اغازل من احب بمجلس فيه النرجس. أخذه بعضهم وقال:

غضي لحاظك يا عيون النرجس

فعسى افوز بنظرة من مؤنسي

فلقد يحير اذا رآك شواخصا

ترمينه بلواظ المتفرس

ومن لطائف امير المؤمنين ابن المعتز قوله في النرجس:

عيون اذا عاينتها فكأنما

دموع النداء من فوق اجفانها در

محاجرهما بيض واحداقها صفر
واجسادها خضر وانفاسها عطر
مجير الدين بن تميم:

ولما أتى النرجس المجتنى بقرب الريح وإيناسه
نثرنا على رأسه فضة وتبرا فراق لجلالسه
وأصبح يخطر ما بيننا وذاك النثار على رأسه
ومن تشابيه ابن قلاقس قوله:

وشادن اهيف حيا بنرجسة
كأنها اذ بدت في غاية العجب
كف من الفضة البيضاء ساعدها
زبرجد حملت كأسا من الذهب
ومن مقاصد ابن وكيع قوله:

ما نظرت عيناى في روضة احسن من نرجسة غضه
كزعفران وسط كافورة أو ذهب أفرغ في فضه
ومن مقاصد عبدالله بن المعتز قوله:
نرجسة لاحظني طرفها تلوح في بحر دجى مظلم
كأنما صفرتة في الدجى صفرة دينار على درهم
ومن اغراضه قوله:

كأنما جفنه بالغنج منفتحا
كأس من التبر في منديل كافور
ومن مداعبات أمين الدين جوبان قوله:

نفس غصن البان اذنا به
وماس عند الصبح زهوا وفاح
وقال هل في الروض مثلي وقد
تعزى الى مثلي قدود الرماح

فحدّق النرجس يزهو به
وقال حقاً قلتَ ذا او مزاح
بل أنت بالطول تجامقت يا
مقصوف عمر بالدعاوي القباح
فقال غصن البان من تيهه
ما هذه الا عيون وقاح
ومن مداعبات ابن تميم قوله:

ولما اتى النرجس المجتنى
بشير الربيع بقرب المزار
نثرنا على رأسه فضة
ولم يخل في بعضها من نضار
فاصبح يخطر ما بيننا
وفي رأسه بعض ذاك النثار
ومن تضامينه قوله:

غدير دار نرجسه عليه
ورق نسيمه فصفا وراقا
تراه اذا حللت به لورد
«كأن عليه من حدق نطاقا»
ومن تضمين ابن حجة قوله:

الى الحمى نسمات الصبح مذ بعثت
ندى به ذيل ثوب الزهر مبلول
قالت نراجسه مذ حدقت ورنّت
«مهما بعثتم على العينين محمول»

ابن الرومي واستحيى من هجوه للنرجس (٢٣)
انظر الى نرجس تبدت
صبحاً لعينيك منه طاقه
واكتب اسامي مشبهيه
بالعين في دفتر الحماقه
واي حسن لطرف شاك
من يرقان يحمل ماقه
كرائة ركبت عليها
صفرة بيض على رقاقه
وفي تصحيفه قول الميكالي:

اهلا بنرجس روض يزهو بحسن وطيب
يرنو بعيني غزال على قضيب رطيب
وفيه معنى خفي يزينه في القلوب
تصحيفه ان نسقت ال حروف برء حبيب
وقال ايدمر المحبوي وابدع:

وكأن نرجسه المضاعف خائض
في الماء لف ثيابه في رأسه
ومن غرائب ابي عبدالله الحداد الاندلسي قوله:
انظر الى النرجس الوضاح حين بدا
كأنه نابظر عن جفن مبهور
كاذرع الغيد في خضر البرود حك
على أناملها أصفى اليواقيت
ومن دقائق ابن وكيع قوله رحمه الله:

(٢٣) هذه الأبيات ليست لابن الرومي الذي اشتهر بمدح النرجس وذم الورد، بل هي لأي العللاء السروري، وقد أوردها النواجي في (حلبة الكميت). ص ٢٠٣.

اشرب فلست على صحو بمعذور
واطرب على صوت نايات وطنبور
أما ترى النرجس الريان يلحظنا
كأن أجفانه أجفان مغمور
كأن أصفره في وسط أبيضه
قراضة أودعت أحشاء بلور
أما تراه ومرُّ الريح يعطفه
كأنه زعفران وسط كافور
إذا بدا في اختلاف من تلونه
أراك كيف امتزاج النار بالنور

ومن تشابهه أمير المؤمنين المأمون قوله :

وياقوتة صفراء في رأس درة
مركبة في قائم من زبرجد
كأن جمان الطل في جنباتها
بقية دمع فوق خد مورد

ومن جيد السبك قول ظافر الحداد الاسكندري :

كأنما النرجس لما بدا
لناظر في ساحة (المأزمين)
زبرجد قد جعلوا فوقه
أقداح تبر في صواني لجين

وقال أيضا رحمه الله :

كأنما النرجس الطافي حين بدا
قعب تبر على جامات بلور

كأن أوراقه والشمس تقصرها
أوراق شمع فمن خام ومقصور^(٢٤)

ومن بديع ابن تميم قوله فيه:
شبهت نرجسة أهدي إلي بها
خلي وقد جئت في التشبيه بالعجب
كفا من الفضة البيضاء ساعدها
زمرّد وسطه كأس من الذهب

ومن محاسنه قوله فيه:
كيف السبيل لأن أقبل خدّ من
أهوى اذا نامت عيون الحرس
واصابع المنشور توميء نحونا
حسدا وتغمزها عيون النرجس

ومن لطائفه قوله فيه:
لا تمش في أرض وفيها نرجس
او أقحوان غب كل مقام
ان اللواظ والثغور أجلها
عن وطئها في الروض بالاقدام

ومن نكته البديعة قوله:
اني لأشهد للحمى بفضيلة
من أجلها قد صرت من عشاقه
ما زاره أيام نرجسه فتى
الا واجلسه على أحداقه

(٢٤) الخام قماش أبيض ويكون مقصوراً اذا غسله القصار ودقه.

ومن أغراض الشبلي قوله :

ونرجس قابل في مجلس
وردا غلا في نعمته الناعت
فخدُّ ذا ينجل من لحظ ذا
وطرف ذا في خد ذا باهت

ومن تضامين ابن حجة قوله :

حدائق الروضة الغناء نرجسها
عيونه بدموع الطل مذ رمقت
همنا الى رشف ثغر الكاس من فرح
«فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت»

والطف ما سمعت، قول القائل :

يغض من فرط الحيا طرفه
ما أحسن الغض من النرجس

ومن عقود ابن لؤلؤ قوله :

باكر الى الروضة تستجلها فثغرها الاشنب بسام
وبلبل الدوح فصيحاً غدا في الأيك والشحرور تتمام
والغصن فيه الف قد بدا والنهر في أرجائها لام
والنرجس الغض اعتراه الحيا فغض طرفا فيه أسقام

ويعجبي قول ابن مكناس :

وجداول الماء يجري بين نرجسه
لدى البصائر جري الطيف في المقل

ومن المعاني التي اقتنصها ابن قرناص قوله :

من لي بروضة نرجس فاقت على
انواع أزهار الربيع المبهج

كقواعد من فضة قد ذهبت
تعلو على عمد من الفيروزج

وقال علي بن سعيد صاحب (المرقص) في تفضيل الورد عليه:
من فضل النرجس وهو الذي
يرضى بحكم الورد اذ يرأس
اما ترى الورد غدا قاعداً
وقام في خدمته النرجس

بنفسج دمشق

ومن محاسن الشام البنفسج وهو العراقي وقلبي وأبيض . وهذا النبات له ورق
قابل التدوير له ساق يخرج من اصله عليه زغب أصفر وعلى طرف ساقه زهر طيب
الرائحة جداً ولونه لون الفيروز ينبت في المواضع الظليلة الحسنة .

وهو بارد رطب ينفع الدماغ الحار ويسكن صداعه واذا ربي مع السكر ينفع من
السعال الكائن من حرارة .

وقال جالينوس : في السادسة ورق هذا النبات جوهره جوهراً ماء بارد قليلاً ولذلك
صار متى صنع ورقه كالضماد إما مفرداً وإما مع دقيق الشعير سكن الاورام الحارة
وقد يوضع على العين اذا كان فيها لهيب وينفع من التهاب المعدة والاورام الحارة وفتق
المعدة ويقال ان زهره اذا تشرب بالماء نفع من الخناق العارض للصبيان وهو المسمى
«ام الصبيان» وينوم نوما معتدلاً ويسكن الصداع العارض من المرة الصفراء والدم .
والبنفسج الناشف يسهل المرة الصفراء المحتبسة في المعدة والامعاء أيضاً . والشربة
منه ثلاثة دراهم الى سبعة دراهم مدقوقة منخولة مع مثله بالسكر ويشرب بالماء الحار
والله اعلم . انتهى .

ومن لطائف ابن تيم:

عائنت ورد الروض يلطم خده
ويقول وهو على البنفسج محنق
لا تقربوه وان تضوّع نشره
ما بينكم فهو العدو الازرق
ومن عقود ابن لؤلؤ الذهبي قوله:

ان البنفسج ترتاح النفوس له
ويعجز الوصف عن تحديد معجبه
اوراقه شعل الكبريت منظرها
وريحها عنبر تحيا النفوس به
والاصل فيه قول عبد الله بن المعتز:

بنفسج جمعت اوراقه فحكت
كحلا تشرب دمعا يوم تشتيت
كأنه فوق قامات يلوح بها

اوائل النار في اطراف كبريت
قال النواجي في كتابه (تأهيل العريب) رأيت لبعض صيارفة الادب على هذا التشبيه
نقدا حسنا فانه قال «ان كانت النار في اوائل الكبريت قد وافقته في اللون فقد خالفته
في الرائحة، وشرط المشبه ان يكون اعلى رتبة في التشبيه، والبنفسج يحل علو قدره
عن ذلك، فانه من اهل الجنة والكبريت من اهل النار.

وقد زاحمه عليه ابو العلاء عطاء بن يعقوب في رسالته فقال «وحديقة سماوية
اللباس، مسكية الانفاس، كبقايا النقش في بنان الكاعب، أو النقش في اصابع
الكاتب. لازوردية فاقت بزرقها اليواقيت، كأوائل النار في اطراف الكبريت»

قال وقد قل من وفاه حقه من المتأدين حسنا، واتى في تشبيهه بما يلائمه صورة
ومعنى. وقلت:

وياسمين قد بدت ازهاره لمن يصف
كمثل ثوب اخضر عليه قطن قد ندف

خليلي هبا ينقض عنكما الهوى
وقوما الى روض وكأس رحيق
فقد لاح زهر الياسمين منورا
كاقراط در قمعت بعقيق
بلدنا العلاء بن ابيك الدمشقي في الياسمين الاصفر قوله:
كأثما الياسمين حين بدا اصفره في جوانب الكشب
عساكر الروم نازلت بلدا وكل صلبانها من الذهب
وقال الزحاري:

ولفاء خلناها سماء زبرجد
لها انجم زهر من الزهر الغض
تناولها الجاني من الارض قاعدا
ولم ار من يجني السماء من الارض
ونقلت من خط ابن حجة قوله فيه:
الياسمين يقول مذ ولي الشتاء
ومضى الربيع بأعين ومباسم
دين المصيف علي أن أوانه
وقد استحق اليوم قبض دراهمي

منثور دمشق

ومن محاسن الشام المنثور. وهو أصفر وأبيض وبنفسجي وازرق. والازرق فيه.
حراقة، وطعمه يشبه طعم الفجل يدشيء ويهضم. انتهى.
ومن لطائف الامير مجير الدين محمد بن تميم قوله:
ومذ قلت للمنثور اني مفضل
على حسنك الورد الجليل عن الشبه

تلون من قولي وزاد اصفراره
وفتح كفيه ومال الى وجهي
ومن محاسنه قوله فيه :
انعم على المنثور منك بضرورة فلقد أراه والسقام حليفه

ما اصفراً الا حين غبت ولم يزل
يسدعو بان يأتي اليك كفوفه
ومن مقاصده قوله :
من قال ان الورد كالمنثور في عظم المكانة جد فيه تعنيفه
ما احمر وجه الورد الا اذ غدا المنثور يلطم خده بكفوفه
ومن اغراضه قوله فيه :

يشير بتوبة الندماء جهلا وللمنثور عندهم نصيب
وكيف وقد عقدنا كل كف بكف منه انا لا نتوب
ومن محاسنه قوله فيه :

مولاي للمنثور حق وهو أن
تلقاه اذ يلقي بكأس رحيقه
اكرمه أو فاعلم بان كفوفه
تدعو على من لم يقم بحقوقه

ونقلت من خط الشيخ بدر الدين الدماميني فيه :
لله منثور بروضك نشره
يطوي عبير المسك والكافور
قطر الندى فيه جواهر نظمت
يا حبذا المنظوم في المنثور

ونقلت من خط القاضي زين الدين عبد الرحمن بن الخراط فيه:

دع المنشور شمسُ الور د غشت نوره نورا
ألم تره اذا يبدو هباء فيه منشورا

وقال عرقلة في المنشور الاحمر واجاد:

انظر الى المنشور ما بيننا
وقد كساه الطل قمصانا
كأنما صاغته أيدي الحيا
من أحمر الياقوت صلبانا

ومن نكته البديعة قوله فيه:

حاذر أصابع من ظلمت فانها
تدعو بقلب في الدجى مكسور
فالورد ما ألقاه في حجر القضا
الا دعاء اصابع المنشور

ومن لطائفه قوله فيه:

مذ لاحظ المنشور طرف النرجس الـ
مزورٌ قال وقوله لا يدفع
فتح عيونك في سواي فأنما
عندي قبالة كل عين اصبع

ومن محاسنه قوله فيه:

لما ادّعى المنشور ان الورد لا
يأتي وان يصلى بنار سعير
ودّت ثغور الاقحوان لو انها
كانت تعض اصابع المنشور

ونقلت من خط التقوى ابن حجة قوله فيه رحمه الله:

رأيت مع المنثور بعض وقاحة
ولم ادر ما بين الغدير وبينه
تلوّن منه ثم مدّ أصابعها
الى وجهه عمدا وخضّر عينه
ومن بدائع قوله فيه:

صافح منثور الربا وردة
فلامه القمري في الأيكه
قالت ورود الروض في غيضة
هل جاز في اصبعه شوكة

ويعجبني قول الحاجبي وابدع:
ولقد نثرت مدامعي ودمي معا
يوم الوداع وخاطري مكسور
لا تعجبوا لتلّون من ادمعي
لا بدع ان يتلّون المنثور

صاعد اللغوي قوله فيه وابدع:
قد اقبل المنثور ياسيدي كالدّر والياقوت في نظمه
ثناك لا زال كأنفاسه ورأس من عاداك مثل اسمه

سوسن دمشق

ومن محاسن الشام السوسن، وهو ابيض واصفر وازرق.

قال العلامة ابن الجوزي في كتابه (لقط المنافع) هو ضرب من الرياحين وجيده
الاسم نجوني الطري، حار يابس، يلين قصبة الرئة وينقيها، وينفع الحلق ووجع
الطحال، ويصفي الصوت وينفع التهاب المعدة وحرقة البول وقروح الكلى والمثانة،

ويزيد في المني، ويقوي الذكر، وينفع جميع علل السودا والبلغم. والشربة منه ثلاثة دراهم.

وقال ابن سينا: في الرابعة ومن الناس من سماه اسيرس ومنهم من سماه ايرس^(٢٥) اخربا وأهل رومية يسمونه غلاديون وهو نبات له ورق شبيه بالخناجر في عرضها محدد الطرف، وله ساق خارج من وسط الورق وطوله ذراع. غليظ جدا عليه غلف ذات ثلاث زوايا وعلى الغلف زهر لونه الى الفرقين ولون وسط الزهر احمر قان وله ثمر في غلف شبيه في شكله بالقثاء والثمر مستدير اسود وحريف وله أصل كثير العقد طويل احمر. يصلح للخراجات العارضة في الرأس والكسر العارض بقحف الرأس. واذا تضمد به مع الخل ابرأ الاورام البلغمية والاورام الحارة وقد شرب بالشراب الحلو المعمول بماء البحر للشدخ وعرق النساء وتقطير البول والاسهال واذا شرب بالخل حلل ورم الطحال.

ومنه البري وفيه يقول ابن المعتز بالله في الابيض:

والسوسن الابيض منثور الحلل

كقطن قد مسه بعض البلل

وقال ابن تميم وابدع:

وكان سوسنة بدت في روضها

بيضاء ضاعف نشرها وقع النداء

نؤارة برد النسيم وهب في

وقت الصباح بثوبها فتجردا

ومن التشبيه المقلوب قوله فيه:

يا حسن نوفرة بدت في بركة

ابدا يفيض الماء فيها ديدنا

(٢٥) يسمى زهر السوسن Iris بالفرنسية والانكليزية

ما ان بدت الا وظلتُ مفكرا
في نوفر وراح ينبت سوسنا

ومن محاسن القاضي الفاضل قوله فيه :
وأبيض السوسن في رياضه يسبي قلوب الزهر بالتجرد
يظل مسرورا به كأنه اقداح بلور على زبرجد

وقال ابن تميم فيه وكأنه تلميح الى معنى ابن المعتز :
يا حسنها من روضة ازهارها ابدت لعيني لؤلؤا وزبرجدا
والسوسن المبيض في ارجائها كالقطن بلله الندى فتلبدا

وقال ابن المطرزي في السوسن الاصفر :
يا رب سوسنة قبّلتها كلفاً
ومالها غير نشر المسك في السوق
مصفرّة الوسط مبيضّ جوانبها
كأنها عاشق في حجر معشوق

وقال ابن المعتز في السوسن المشرب بالحمرة :
سقيا لأرض اذا ما نبهت بنهى
على الهدوّ بها قرع النواقيس
كان سوسنها في كل شارفة
على الميادين اذئاب الطواويس

وقال ابن حجة فيه مضمنا :
بدا سوسن الروض المدبج ازرقا
وأصفر يعلو طوله فوق مبيض
كان الربا ارخت ذيول غلائل
مصبغة والبعض اقصر من بعض

زنبق دمشق

ومن محاسن الشام الزنبق وهو من خصوصياتها . وهو قضبان خضر دون الذراعين عليها ورق عرض ورق الطرخون واطول منه وفي رأسه زهر ابيض شبيه قبل تفتحه بالمكاحل فاذا انفتح تلفيه مسدسا وبوسطه شيء كالابر في رفعها واطول منها وعلى رؤوسها نقط صفر تصبغ كالزعفران ، عطر الرائحة شديد العرف وله دهن حار .
شعر

وقال كل الزهر في خدمتي	قد نشر الزنبق اعلامه
ما رفعت من دونها رايتي	لو لم اكن في الزهر سلطانها
وقال ما تحرز من سطوتي	فقهقه الورد به هازئاً
يقول ذا الاشيب في حضرتي	وقال للازهار ماذا الذي
وقال للازهار يا عصبي	فانفتح الزنبق من قوله
ويضحك الورد على شيتي	يكون هذا الجيش بي محدا

معين الدين عصرون قوله فيه :

منعمة شقت عليها الغلائل	وزهراء هيفاء القوام رشيقة
وقد اوقدت منهن تلك الفتائل	كأن اعاليتها قناديل فضة

المنقول من خط ابن حجة الحموي قوله فيه رحمه الله :

لقرص خد الورد من بعد القبل	اصابع المنشور لما مدها
فالراية البيضاء عليه لم تزل	هز له الزنبق رحا عالياً

بهار دمشق

ومن محاسن الشام البهار . قال ابن البيطار وهو الاقحوان الاصفر عند بعض الناس في الثالثة وهو نبات له ساق رخصة وورق شبيه بورق الرازبانج وزهره أكبر من زهر البابونج أصفر اللون اسود الوسط شبيه بالعيون ولهذا يسميه بعض المغاربة بعين

البقرة وينبت في الدمن وله حدة وحراقة وتحليل ويشفي من الاورام الصلبة اذا خلط
بشمع مذاب ودهن .

وقال التميمي في كتابه (المرشد) ومنه نوع صغير الشكل جدا يسمى في الشام
«عين الحجل» اذا جمع نواره وجفف وسحق وجعل في بعض أكحال العين جلا ظلمة
البصر العارضة له وجلا البياض الكائن من الماء المنصب اليها المفسد لحسن البصر
وأحد نورها

وفيه يقول ابن اسرافيل

حكاني بهار الروض حين ألفته
وكل مشوق للمشوق يصاحب
فقلت له ما بال لونك أصفرا
فقال لأنني حين أعكس راهب

اقحوان دمشق

ويضارعه الاقاح:

ولو كنت حيث الروض قد مده الثرى
بسلطان امواه الجداول معلما
ومن فوقه زهر الاقاح منورا
رأيت السما كالارض والارض كالسما

ومنه الاقحوان:

وقد لاح زهر الاقحوان كأنه
يميس به خضر ارق من العضب
رؤوس مسامير من التبر رصعت
دوائرها الصواغ باللؤلؤ الرطب

ظافر الحداد قوله فيه:

والاقحوانة تحكي ثغر غانية
تبسمت فيه من عجب ومن عجب
في القد والبرد والريق الشهى وطيب
ب الريح واللون والتغنيج والشنب
كشمسة من لجين في زبرجدة
قد أشرقت تحت مسمار من الذهب

ومن مرقص ابن حمديس الصقلي قوله فيه:
من قبل أن ترشف شمس الضحى
ريق الغواذي من ثغور الاقاح
باكر الى اللذات واركب لها
سوابق الهو ذوات المراح
ومن لطائف الخالدي قوله فيه:

يا رب ربع مقفر موحش
خال نزلناه قبيل العشي
كأنما نور الاقاحي به
ثغر فم عض على مشمش

ومن محاسن ابن عباد الاسكندري:
والاقحوانة تجلو وهي ضاحكة
عن واضح غير ذي ظلم ولا شنب
كأنها شمسة من فضة حرست
خوف الوقوع بمسمار من الذهب

أذريون دمشق

ومن محاسن الشام الأذريون . هو صنف من الاقحوان ومنه ما نواره اصفر ومنه ما

نواره احمر فالاصفر ذهبي وفي وسطه رأس صغير اسود.
وقال الغافقي هو نبات يدور مع الشمس، وينضم نواره بالليل. وزعم قوم ان
المرأة الحامل اذا امسكته بيديها مطبقة احدهما على الاخرى نال الجنين ضرر عظيم
شديد وان أدامت امساكه واشتداده اسقطت.

وقال صاحب (الفلاحة) ان دخانه يهرب منه الفأر والوزغ وهو نبات حار رديء
الكيفية، اذا شرب من مائه اربعة دراهم قياً بقوة وان جعل زهره في موضع هرب منه
الذباب وان دق وضمد به أسفل الظهر أنعظ انعاظا موسطا.

وقال هرمس: الأذريون حار في الثالثة يابس فيها، ويقال المرأة العاقر اذا احتملته
حبلى. انتهى.

وما ابلغ قول ابن المعتز فيه:

وأذريون شبهه	والشمس فيه كاليه
مداهن من ذهب	فيها بقايا غاليه

وما احسن قول الصنوبري فيه:

كان أذريونها	من فوق تلك القصب
خيام مسك فوقها	سرادق من ذهب

وقال ابن حجة فيه:

كان اذريونها	ونوره قد اهجبا
وميض برق لامع	في جنح ليل قد دجا

وقال ابن تميم:

وكان اذريونها في روضة
سرج تضيء على صفا انهارها
والسرج تخفيها الشموس وهذه
سرج تزيد الشمس في انوارها

بابونج دمشق

ويلحق به البابونج . قال ابن الجوزي في (لقط المنافع) افضل ما كان أصفر طريا طيب الرائحة ، وهو حار يابس يحلل الاخلاط الرديئة ويقوي الاعصاب وينفع الصداع والوسواس واليرقان . واذا جلست المرأة في مائه المطبوخ أدرّ الطمث وأخرج الأجنة ويدر البول ويفتت الحصى الذي في الكلى والشربة منه ثمانية دراهم . وكذلك زهر الكركيش قال الشاعر:

انظر الى الكركيش وهو محقق
كالتبر محتاط عليه يدار
فكأنه فم شادن متبسم
من فوق رأس لسانه دينار

آس دمشق

ومن محاسن الشام الآس . قال ابو حنيفة خواصه عظيمة وخضرته دائمة وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمرته سوداء ومنها ما هو أبيض كاللؤلؤ بين ورق كالزبرجد يباع مجموعا بالرطل وباغصانه من غير ميزان ويحلو اذا ائنع وعصارة ثمره رطبة تفعل فعل الثمرة وهي جيدة للمعدة مدرة للبول موافقة اذا خلطت بشراب لمن عضته الرتيلاء وللسع العقرب وطبخ الثمر يصبغ الشعر .

وقال (ديسقوروس) : الآس اذا دق ورقه وسحق وصب عليه ماء وخلط به شيء يسير من دهن ورد وتضمده به وافق القروح الرطبة والمواضع التي يسيل اليها الفضول والاسهال المزمن والنملة والجمرة والاورام الحارة العارضة للانشين والثدي والبواسير واذا دق يابسا ودر على الداحس نفع منه وقد يجعل في الآباط ودر بارد يابس .

وقال جالينوس : في السابعة هذا النبات من قوى متضادة والأكثر فيها الجوهر الارضي وفيها مع هذا شيء حار لطيف فهو لهذا يجفف تجفيفا قويا وورقه وقضبان

وثمرته وعصارتها ليس بينها في القبض كثير خلاف لكنه يولد السهر، ورفع مضرته
بالبنفسج الطري ويصلح الامزجة الباردة والله اعلم.

وما احسن قول ابن طباطبا فيه :

الآس فرد بديع في محاسنه ما مثله في معانيه بموجود
يبدو باغصانه خضراء تلبسه كألسن الطير تشوى بالسفايد

وانشدني فيه شيخنا المرحوم العلامة برهان الدين الباعوني الشافعي :

وروضة بانها يهتز من طرب

شبيه مرتشف من خمرة الكاس

يثني النسيم على الآس النضير بها

فهو العليل الذي يثني على الآسي

قال بعض المفسرين في قوله تعالى «روح وريحان» انه الآس. وهو باليونانية
المرسين.

عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اهبط آدم من الجنة بثلاثة اشياء الآسة وهي
سيدة الرياحين الجنة.

وتلطف سليمان بن محمد الطرابلسي بقوله :

احبب بقضبان آس في سائر الدهر توجد

كأنها حين تبدو سلاسل من زبرجد

وقال ابن حجة : تتبعته ما قيل في وصف الآس فلم اقف على ما أرضاني الا قول
القائل رحمه الله واجاد :

خليلي ما للآس يعبق نشره

اذا شم أنفاس الرياح الهوا

حكى لونه اصداغ ريم معذر

وصورته الآذان قبل النوا

وقال :

عوارض الآس ابدت في موشحها
نظما باغصانه للنبت خرجات
وقد حلا لي بأوراق ملوزة
وللملوّز في الدنيا حلالات

ونقل الحافظ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بسنده عن الحسن رضي الله عنه قال
حياتي رسول الله ﷺ بكلتا يديه بوردا فلما أدنيت من أنفي قال ﷺ «انه سيد رياحين
الجنة بعد الآس». انتهى .

ويلحق به الريحان وهو جنس تحته انواع ترنجي وحماحمي وطري وطراطرو حمام .
ونقل الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة في كتابه (شرح العيون في شرح رسالة ابن
زيدون) عند ذكر كسرى انوشروان انه كان جالسا واذا بحية قد دنت من عرش حمامة
في بعض شرف الايوان لتأكل فراخها فرمى الحية بسهم قتلها وقال «هكذا نفعل بعدو
من استجار بنا» فلما كان بعد ايام جاءت الحمامة بحب في منقادها فالتقه اليه فأخذه
وقال «ازرعوه» فنبت ريحانا لم يكن رآه ولا عرفه فقال «نعم ما كافأتنا الحمامة . نسأل
الله تعالى الذي اهتمها ان يلهمنا الاحسان الى رعيته والشكر على نعمته». انتهى .
قال ابن وكيع في الريحان الترنجي :

لم ادر من قبل ريحان مررت به
ان الزمرد اغصان واوراق
من طيبه سرق الاترج نكهته
يا قوم حتى من الاشجار سراق

ومن محاسن ابي القاسم بن العطار في الحماحمي قوله :
اما ترى الريحان أهدي لنا حماما منه فأحيانا
نحسبه في طله والندى زمردا يحمل مرجانا
وأنشدني ذو الوزارتين الشهابي أحمد بن الخلوف في الريحان الطراطري :

وريجان نضير غض جفنا
وأسبل فوق قامات ذوائب
حكّت قضب الزمرد في اخضرار
وأثار الخضاب بكف كاعب
ومن غزل السري الرفا قوله في الريحان الحمام:
قضيّب من الريحان شاكل لونه
إذا ما بدا للعين لون الزبرجد
تشبّهته لما بدا متجعّدا
عذاراً تبدى في سوالف أغيد
ومن مطرب أبي القاسم بن العطار قوله:
أعددت محتفلاً ليوم فراغي
روضاً غدا أنسان عين الباغي
روض يروض هموم قلبي حسنه
فيه لكأس اللهو أي مساغ
وإذا انثنت قضبان ريجان به
جاءت بمثل سلاسل الاصداغ
وقال ابن عبد ربه:

وريجان يمس على غصون
يطيب بشمه شرب الكؤوس
كسودان لبسن ثياب خز
وقد شطحوا بها شيب الرؤوس

ونقلت فيه من خط ابن حجة قوله:
بقول ريجان روضي للنسيم وقد
تمطر الكون منه حين وافاني

سرقت نشري وهاديت الأنام به
وليس تحمل مني عود ريحان
وريحان هذا الذي استعمله ابن حجة أخذه ابن المعمار وهو:
لما تبدى عذار الحب قلت له
رفقا ومهلا عليه أيها الجاني
لا تخش شيئا فما في الخد محتمل
بأن يحط عليه عرق ريحان
ويضارعه النمام. قال ابن الجوزي انه حار يابس قوي التحليل لما في الدماغ من
الفضول البلغمية والصداع البارد.

ونقلت من خط البدر البشتكي قوله فيه:
اني أرى البستان فيه ثلاثة
عندي بها حسناته آثام
العين صافية به ونسيمه
واش وزهر رياضه نمام
ومن لطائف الصفي الحلي قوله فيه:
ومجلس راق من واش يكدره
ومن رقيب له باللوم ايلام
ما فيه ساع سوى الساقى وليس به
بين الندامى سوى الريحان نمام
ويعجبني قول ابن تميم:

ولم أنس اذ زار الحبيب بروضة
وقد غفلت عنا وشاة ولوام
أقول وطرف النرجس الغض شاخص
الينا ولنمام حولي إلام

أيا رب حتى في الحقائق أعين
علينا وحتى في الرياحين نمام

شقائق النعمان

ومن محاسن الشام شقائق النعمان. قال صاحب المفردات: في الثانية وهو صنفان: برى وبستاني. ومن البستاني ما زهره أحمر ومنه ما زهره الى البياض وله ورق شبيه ورق الكزبرة الا انه أدق تشريفا وساقه أخضر رقيق ورقه منبسط على الأرض وأغصانه شبيهة بشظايا القصب رقاق على أطرافها الزهر مثل زهر الخشخاش وفي وسط الزهر رؤوس لونها أسود وكحلي الى السواد وأصله في عظم زيتونة أو أعظم. وأما البري منه فإنه أعظم من البستاني وأعرض ورقا وأصلب ورؤوسه أطول وله زهر أحمر قان وفيه ما بعضه أحمر وبعضه أصفر وله أصول دقاق كثيرة وهو أشد حرافة من غيره.

ومن الناس من لم يفرق بين شقائق النعمان البري وبين النبات الذي يقال له «ارغماموني» وزهر الصنف من الخشخاش الذي يقال له روااس. وهورمان السعال لتشابه لون زهرهما في الحمرة. وهذا غلط فان زهر الارغماموني وزهر الصنف من الخشخاش المسمى بالرواس اقل اصباغا في الحمرة من شقائق النعمان. غير ان ظهورها في الزهر كظهور الشقيق. وقوى الشقيق حارة جاذبة فتاحة. وكذلك الشقيق اذا مضغ اجتذب البلغم. وعصارته تجلو الآثار الحادثة في العين عن القرحة، والاكتحال بها يسود الحدة ويمنع الماء النازل ويحدر الطمث اذا احتملت به المرأة ويدبر اللبن. واذا خلط زهره مع قشور الجوز الرطب صبغ الشعر وقلع القوباء والله اعلم. انتهى.

وفيه يقول الشريف الرضي:

جام تَكُونُ من عقيق احمر
ملئت دوائره بمسك أذفر

خط الربيع قوامه فأقامه
بين الرياض على قضيب اخضر
بلدينا العلاء بن ابيك الدمشقي قوله فيه:
وشقيقة حمراء ذات توقد
مطوية في اليوم تنشر في غد
فكان حمرتها وحسن سوادها
نجد الحبيب زها بخال أسود
وانشدني فيه ذو الوزارتين صاحب الصناعتين الشهاب الخلوف:
خلت الشقيق وقد يرى في زرعه
شققا تقطع في سماء زمرد
وكأن اسوده اذا لاحظته
آثار كحل في لواظ أرمد
ونقلت من خطه وانشدني:
ما للشقائق اذ ابدى الربا زهرا
يفتر عن مبسم كالدر منتضد
اسود باطنها من نوره حسداً
حتى الشقائق لا تخلو من الحسد
وانشدني ونقلت من خطه:
وزوضة أنف ابدى الغمام بها
شقائقا شكلها يبدى لمن رمقا
غيرى بكت وأبانت شعرها وذوت
فضل النقاب وأدمت خدها حنقا
ونقلت من كتاب (خمائل العطار) للدنيسري احمد العطار قوله:

كفى الروض حسنا ان بين زهوره
شقيقة نعمان تلوح وتبتدي
كجام عقيق وسطه قرص عنبر
ونخذ به خال ومقلة أرمـد
ونقلت من خط ابن حجة قوله :

سألت الشقيق الغض عن نقطة بدت
على خده والروض منها تعطرا
فقال سواد المسك هام بوجنتي
وقد أكثر التقبيل فيها فائرا
وقال أيضا التقوى ابن حجة :

انهض الى جنة روض زاهر
لا يعتريك في مقالي شك
وانظر الى كأس شقيق ملئت
رحيق طل والختام مسك
ونقلت من خط القاضي بدر الدين الدماميني المالكي الاسكندري :
سوادك يا زهر الشقائق قد زها
بحمرة أوراق يروق سناؤها
يحاكي قلوبا بالصدود تسودت
وجرحها لحظ فسالت دماؤها
ومن بديع اكتفائه قوله :

شقائق النعمان ألهوها
ان غاب من أهوى وعز الـلقا
والخذ في القرب نعيـمي وان
خاب فإني أكتفي بالشقا

ومن غزل ابن منقذ قوله:

الا عجب صاغ الربيع من الزهر
مداهن تبر لم يصغن من التبر
شقائق في اغصان تبر كأنها
خدد بدت فيها عوارض من شعر

ومن غزل ابن وكيع:

شقيقة جاءتك من روضة
يقصر عنها كل مشموم
سوادها في صبغ عمرها
كشامة في خد ملطوم

وقال بعضهم:

وبين الرياض الجون زهر شقائق
مطاردها حمر أسافلها سحم
كما طرحت في الفحم نار ضعيفة
فمن جانب جمر ومن جانب فحم

أخذه ظافر الخداد الاسكندري:

وللشقائق جمر في جوانبه
بقية الفحم لم يستره بالهب

وما ارشق قول ابن رشيق:

رأيت شقيقة حمراء باد
على اطرافها لطح السواد
يلوح بها كأحسن ما تراه
على شفة الصبي من المداد

وقال آخر:

شامتك السوداء يا قاتلي
في خدك الأحمر تحكي الشقيق
شقت قلبي مع سويدائه
فصار قلبي في هواها شقيق
وقال الميكالي وابدع:

تصوغ لنا كف الربيع حدائقا
كعقد عقيق بين سمط لآلي
وفيهن نوار الشقيق وقد حكى
خدود عذارى نقطت بغوالي

ومن محاسن ابن حمديس الصقلي قوله:
ولم تر عيني بينها كشقائق
تبلبلها الأرواح في الورق الخضر
كما مشطت غيد القيان شعورها
وقامت لرقص في غلائلها الحمر

قوله:

وترى شقائقه خلال رياضها
أوفت مطاردها على أزهارها
فكأنها والريح يصقل خدها
والسحب تملأها بماء نضارها
أقداح ياقوت لطاف اترعت
راحاً فبات المسك حشو قرارها
وكأنها وجنات غيد أهدقت
بخدودها حمرا خطوط عذارها

ونقلت من خط الجمالي علي بن الكمالي ظافر الخزرجي من كتابه (التشبيهات):

انظر الى حسن شقيق الربا
تنظر الى ما يحمل الزهرا
من كل حمراء بها نقطة
سوداء طابت بيننا نشرها
كمثل خد فوقه شامة
مسودة قد انبتت شعرا
او قطعة المسك اذا القيت
في وسط كأس ملئت خمرها
ومن مخترعاته قوله:

ولاح لنا زهر الشقائق تابعا
كمثل زنج ضرجتها دماؤها
ومن دقائق ابن وكيع قوله:

قم فاسقني يا رفيقي من السلاف الرحيق
اما ترى الطل يحكي على احرار الشقيق
لآثا ضمننتها مداهن من عقيق
واحسن منه:

والشمس لا تشرب خمر الندى
في الروض الا بكؤوس الشقيق
ومن أهاجي جمال الدين الخزرجي قوله:

اني لا بغض في الشقائق منظراً
سمجاً لان اديمه لون الدم
فكأنما هي جرح طعنة اسمر
قد شد اوسطها بقطعة مرهم

وقال أبو النصر سالم بن سعاد الحمصي في الشقيق والنرجس:
وروض اريض من شقيق ونرجس
لنورهما من تحت قضب الزبرجد
خدود عقيق تحت خيلان عنبر
واجفان در تحت أحداق عسجد
ومن بليغ الارجاني قوله:

لما تباشر اصباحا شقائقها
بانت وكانت قمصها حمرا
ردت على رأسها الأذيال من طرب
لجعلهن على من بلغ الخبرا

وقال الصنوبري في الورد والشقيق:
قد أحرق الورد بالشقيق فاشرب عقيقا على عقيق
كأنه حوله وجوه مستشرفات على حريق
وقال ابو نصر في الشقيق والسوسن:

وروضة زهرها عند الصباح غدا
يدعو الندامى الى شرب بتغليس
شقائق مثل أعراف الديوك بها
وسوسن مثل اعراف الطواويس

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى:
انظر الى الزرع وجماته
تحكي وقد هبت عليها الرياح
كتيبة خضراء مهزومة
شقائق النعمان فيها جراح

ومن محاسنه قوله فيه :

شقيقة شق على الورد ما
قد كسيت من خالص الصبغ
كأنها لما بدت وجنة
قد بان فيها طرف الصدغ

نيلوفر دمشق

ومن محاسن الشام النيلوفر . وهو أصفر وازرق وبنفسجي واحمر . قال ابن الاثير في عجائبه يسمى «حب العروس» . وهو نبات هندي واكثر ما ينبت بنفسه في مستنقعات الماء وراكدها ولا ينبت الا في الماء العذب الواقف من أرض طيبة ومن شأنه أنه يحول وجهه الى الشمس اذا طلعت ، ويزيد انفتاحه بزيادة علو الشمس ، فاذا اخذت الشمس في الهبوط اخذ في الانضمام حتى يكمل انضمامه عند غيوبة الشمس ويغطس في الماء . ويقال ان طائرا لطيفا يدخل في الزهر وينضم عليه ويغيب في الماء ليله فاذا أصبح طلع وتفتح فيخرج الطير .

وهو بارد رطب مسكن للصداع الحار ويكسر شهوة الجماع وينفع من الاحتلام اذا شرب منه درهم بشراب الخشخاش ويجمد المني . قال ابن البيطار : في الرابعة هو نبات له ورق شبيه بورق القلقاس الا أنه أرق واسمه فارسي معناه النيل له اجنحة تنبت في المياه الراكدة والآجام وورقه من أصل واحد . وقال ابن الجوزي : شبه البنفسج في قوته ومنفعته إلا انه ابرد وأرطب يذهب وجع الاسنان اذا استعمل مضغه وينقي السواد والبلغم وانفعه الأصفر وهو من خواص الشام . انتهى . وفيه يقول المطوعي وابدع :

وبركة حفت بنيلوفر
قد جمعت من كل لون عجيب

كأن نيلوفرها عاشق
نهاره يرقب وجه الحبيب
حتى إذا الليل دنا وقته

وانصرف المحبوب خوف الرقيب
اطبق جفنيه عسى في الكرى
ينظر من فارقه عن قريب

وقال فيه :

حناجر من حناجر ترعت
وهي على الماء من دم حمر

ومن لطائف الباخري قوله فيه :

اشرب على بركة نيلوفر
مخضرة الاوراق حمراء
كأنما ازهارها اخرجت
السنة النار من الماء

ومن تشابه ابن حمديس الصقلي قوله :

ونيلوفر أوراقه مستديرة
تفتح فيما بينهن له زهر
كما اعترضت خضر الفراش وبينها
عوامل ارماع أسنتها حمر

ومن مقاصده قوله فيه :

لا تغفلن عن الصبح وقم بنا
ننعم بطيب لذادة للأنفس

في بركة تبدي لنا نيلوفرا
خضلا تضاحكه عيون النرجس
كأسنة من فضة قد خضبت
بدم ولفت في عصائب سندس

ومن محاسن ابن سحنون خطيب النيرين قوله:
يا حسنه نيلوفرا في مائه
طاف وفي احشاه نار تشعر
يحكي أنامل غادة مضمومة
جمعت وزينها خضاب أخضر

ومن غراميات عبد الجليل بن دهبول قوله:
وبركة تزهو بنيلوفر نسيمه أشبه ريح الحبيب
حتى اذا الليل دنا وقته ومالت الشمس لحين المغيب
اطبق جفنيه على إلفه وغاص في الماء حذار الرقيب

ومن تشابه ابن تميم قوله:
ونيلوفر كالزهر شكلا ومنظرا
محاسنه فيها اللواظ تترتع
وكلّ نجوم لكن الفرق انها
تغيب صباحا وهي في الصبح تطلع

وقال فيه:

وناظر نحو عين الشمس يرقبها
حتى اذا غربت اغضى بتنكيس
كأنه ودروع الماء تشمله
تحت الشعاع اكاليل الطواويس

ومن بدائع قوله:

نيلوفر النيل قد أبدى تلونه
واحمر وازرق من شامينا وشكا
قلنا له ذاك لون واحد وبه
يسمو وانت بليد وهو فيه ذكا

وقال فيه:

ونيلوفر حاكي النجوم جهالة
ولم يدر أن الزهر يعنو لها الزهر
فلما بدا في الليل نكس رأسه
حيّاً واختفى في الماء حتى بدا الفجر

ومن بدائع قوله:

ونيلوفر يحكي النجوم وماؤه
يحاكي سماء لا يغيرها وصفا
يغيب كما غابت ويبدو كما بدت
ويشبهها شكلا ويفضلها عرفا

ومن مقاصده قوله فيه:

يا حسن نوفرة (٢٦) صفراء حين بدت
أبدت محاسنها عن منظر عجب
كأنها حية في الماء سابحة
يبدو على رأسها تاج من الذهب
أحمد بن الخلوفا رحمه الله تعالى:

ونيلوفر شبهته في غديره
بقايا سلاف في كؤوس زجاج

(٢٦) قال الزبيدي في التاج ان العوام يسمون النيلوفر «نوفر» كجواهر.

تمثل أذنب الطواويس اذ غدا
يموء بالياقوت صفحة عاج
بلدنا العلاء بن ابيك الدمشقي قوله :
يا حسنه في بركة قد أصبحت
محشوة مسكا يشاب بنده
وكأنه اذ غاب عند مسائه
في الماء واحتجبت نضارة قد
صب تهده الحبيب بهجره
ظلم فغرق نفسه من وجده

وقال الامير مجير الدين محمد بن تميم فيه :
لما حكى زهر الكواكب نوفر
واقام وهو على المطال حريص
خاف الحريق وقد رمته بشبهها
فلذاك امسى في المياه يغوص
وقال فيه :

نيلوفر غصّ تلبس ماءه يوماً وتاه على النجوم بذوبه
لحظته أعينها فنكس رأسه خجلا وغاص من الحيا في ثوبه
بان دمشق

ومن محاسن الشام البان. قال ابن البيطار: شجره يسمو ويطول في استواء ،
وخشبه خوار خفيف وقضبانة سمجة خضر وهده ينبت في القصب وهو طويل
أخضر شديد الخضرة وثمرته تشبه قرون اللوبيا الا ان خضرتها شديدة وفيها حب
فاذا انتهى انفتق وانتثر حبه ، وهو ابيض أغبر نحو الفستق ومنه يستخرج دهن ويقال
لثمره الشوع^(٢٧) وهو مربع ويكثر على الجذب واذا أرادوا طبخه رض على الصلابة

(٢٧) في مفردات ابن البيطار «الشوع» وفي كتب اللغة «السياع» كسحاب

وغربل حتى ينعزل قشره ثم يطحن ويعتصر وهو كثير الدهن ودهنه ينفع من الكلف والنمش ومن الجرب والحكة والعلّة التي يتقشر معها الجلد، ويلطف صلابة الكبد والطحال وماؤه يستخرج في شهر كانون الثاني، يشد القلب وخشبه يعمل منه الخلالات وهو عطر الرائحة.

الشاب الظريف محمد بن العفيف التلمساني رحمه الله:

تبسم زهر البان عن طيب نشره
وأقبل في حسن يجل عن الوصف
هلموا اليه بين قصف ولذة
فان غصون البان تصلح للقصف

ومن لطائف ابن قرناص قوله:

مذا قبل الصيف وولى الشتا اذهب عني البرد والقرا
أما ترى البان على غصنه قد قلب الفرو الى برا
ومن اغراض ابن تميم قوله:

يا هاجرا روضا لاجل البان اذ ولى به والورد فيه مصان
أرايت روضا شب فيه ورده ينسى اذا ما شاخ فيه البان

قف وانظر وتمر الحنا

ومن محاسن الشام «قف وانظر» قال ابن البيطار: هذا من خواص (دمشق) وما والاها من أرض الشام، ويعرف بالآس البري. وهونبات له ورق شبيه بورق الآس البستاني الا انه اعرض منه وفي طرفه حد شبيه بطرف سنان الرمح وله ثمرة مستديرة في وسط الورقة بعرف اخضر يشبه الشريط واذا انضجت كان لونها احمر كالمرجان وفي جوفه حب صلب وله قضبان شبيهة بقضبان النبات الذي يقال له لوقس كثيرة مخرجها من اصل واحد طولها نحو من ذراع بواحد مملوءة ورقا [وأصله شبيه بأصل النبات الذي يقال له اعسطس، اذا ذيق كان اعفصا مائلا الى المرارة وورق هذا

النبات وثمره اذا شربا بالشراب ادرا البول وفتتا الحصاة وادرا الطمث وقد يبريء
اليرقان وتقطير [البول] والصداع وينبت في مواضع خشنة واجراف قائمة . انتهى .

وأما تمر الحنا فانه يطلع خارج البلد في الغور وفي الارض الحارة من قرى الشام
ويعمل منه دهن . وفيه يقول السراج الوراق :

ودوحة تامر لما تبدت كأذئاب الثعالب في المثال
عليه دق كافور سحيق تضمخ بالمسوك وبالعوالي

ومن تشابه تاج الدين الكندي فيه :

ودوح رياض كلما استقطر الندى
اعار بسيط الارض ثوب ظلال
تري تمر الحناء فيه كأنه
اكف عذارى في شباك لآلي

وانشدني فيه الشيخ علاء الدين علي البلاطنسي الشافعي :

سابق الى رشف الطلا بحديقة
فيها خدود قد زهت وثور
قد خلت فيها تمر حناء غدا
شبه الكفوف الى المدام يشير

الخيلائي

ومن محاسن الشام الخيلائي وهو شجر يشبه الصفصاف غير انه في اوائل الربيع
تصبغ جميع أغصانه بالاحمر كقضبان المرجان وله رؤية بديعة .

وفيه يقول الشيخ صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي :

لنا حيلانة قد حالفتنا

تسر بها الخواطر والعيون

فقلت لصاحبي لما تبدت
متى نبتت من الشفق الغصون

شجر الزنزلخت

ويلحق به شجر الزنزلخت وله زهر طيب الرائحة يخرج في أيام الورد. وفيه يقول
مؤلفه البدرى :

وزنزلخت أبيض مع أحمر في غصن
كالدرد والياقوت أو ثياب خام يمني

شجر السرو

وكذلك شجر السرو فان رؤيته حسنة وأكثر ما يوجد بدمشق
وفيه يقول احمد بن وضاح :

ايا سرو لا يجتزئ منابتك الحيا
ولا بُزَّ عن اغصانك الورق النضر
وقد كسيت اعطافك الملد مثلاً
تلف على الخطي راياته الخضر
وانشدني ذو الوزارتين احمد الخلوف التونسي المالكى :
وسروة شق النسيم رداءها
فابتدت فصوص التبر في الحلل الخضر
كزنجية ماست بغنج وشممرت
عن الساق ذيلاً واكتست حلة الشعر
اذا سقيت كأس الهنا قضب سوقها
امالت رؤوسا لا تمل من السكر
ونقلت من خطه وانشديه :

وسرو كزنج شمروا الذيل اذ غدوا
يهزم خفق الربابة للطرب
اذا مشطت ايدي النسيم فروعها
تري حلا خضرا تزرر بالذهب

وفيه من رسالة القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قوله «والاغصان قد اخضر
نبت عارضها، ودنانير الازهار ودراهمها تهيأت لتسليم قابضها. والخور قد حاور
السهي بالتباشير، والسرو قد كشفت عن سوقها وقالت لها الغدران بهديرها انه صرح
مرد من قوارير»

وانشدني شيخنا العلامة بقية السلف ابراهيم الملاح:
ولما رأيت السرو في الروض مائسا
وايدي الهوا فيه تزيد وتنقص
حسبت رفاعيا اتي قاعة الهنا
واسبل فيها شعره وهو يرقص

دواليب دمشق

قلت: وجميع هذه المحاسن بالخواكير، غير ان الماء لا يصل اليها الا بجهد كبير.
لعلوها عن (نهر يزيد)، فاصطنعوا لها الدولاب ودورانه بكل بهيم شديد. وفيه يقول
ابن لؤلؤ الذهبي:

حاكورة دولابها الى الغصون قد شكا
من حين ضاع زهرها دار عليه وبكى

ودار في دولابه الصلاح الصفدي حيث قال:
ابدى لنا الدولاب قولا معجبا
لما رأنا قادمين اليه

اني من العجب العجيب كما ترى
قلبي معي وانا ادور عليه

والاصل فيه قول ابن تميم فيه:

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى
ودمعهما بين الرياض غزير
وضاع النسيم الرطب والروض منها
فاصبح ذا يجري وذاك يدور

ومن معاني ابن دمرdash قوله فيه:

وَلَرُبُّ دَوْلَابٍ سَقَى دَوْحَ الْحُمَى
فاعادها سكرى على الاطلاق
وجدت كوجدي بالهوى فخمارها
مثلي وحقك من عيون الساقى

ومنه قول الشهاب الخفاجي:

حالة الدولاب دلت انه في فرط حزن
كان يسقى ويغنى صار يسقى ويغنى

ونقلت من خط احمد بن صالح قوله:

دولابنا صب طليق دمه
مأسور حب قلبه وضلوعه
يبكي على فقد الاحبة نائرا
من بعدهم جهد المقل دموعه

ومن لطائف ابن تميم قوله:

ودولاب روض كان من قبل اغصنا
تميس. فلما فرقته يد الدهر

تذكر عهدا بالرياض فكله
عيون على أيام عهد الصبا تجري

ومن معاني الأسعدي قوله:

شاهدت دولابا له ادمع
تكفلت للروض بالري
فاعجب له من فلك دائر
ما فيه برج غير مائي

أرض المزة واللوان

ومن محاسن الشام ارض (المزة واللوان) فان حكماء اليونان لما رأوا الجانب الشمالي يصلح لزراعة الازهار ورأوا طيبة ارض الجانب القبلي اختاروها لغرس الاشجار.

مشمش دمشق

فمنه المشمش وهو أحد وعشرون صنفا بدمشق: حموي، سندياني، اويسي، عرييلي، خراساني، كافوري، بعلبكي، لقيس، لوزي، دغمشي، وزيري، كلابي، سلطاني، حازمي، ايدمري، سيني، بردى، ملوح، فراط، النجاتي، جلاجل القلوع.

قال جالينوس في السابعة وهي ثمرة باردة أحسن من الخوخ وأجود منه لكونه لا يفسد كما يفسد الخوخ في المعدة ولا يحمض. واذا اكل المشمش بعد الطعام فسد وطفا في رأس المعدة وان كان فيها فضل رديء استحال الى طبيعة ذلك الفضل فلا يؤكل الا قبل الطعام ويشرب فوقه السكنجيين.
وقال ديسقوريدوس: في الاولى له طعم أحسن من طعم الخوخ وأجود للمعدة ويسهل الصفراء ويولد خلطا عظيما غليظا.

وقال الرازي في (الحاوي) اتاني رجل أبخر فحدثت أن المشمش يذهب بخره، فاطعمته من رطبه فذهب البخر. ثم كان يستعمل نقيعه دائما فلا أحسب أنه يوجد شيء أشد للتبريد منه. وقال أيضا في كتابه (دفع المضار) انه يبرد المعدة جدا ويورث الجشأ الحامض ويقمع الصفراء والدم. ولا سيما ان كانت معه ادنى مرارة. وينبغي أن يجتنبه من تكثر به الرياح ومن يسرع اليه الجشأ الحامض واذا اخذ عليه الشراب الصرف والجوارشن الكموني والكندري نفعه. فاما اصحاب المعدة الحارة والجشأ الدخاني والعطش الدائم فكثيرا ما ينتفعون به ولا سيما في يوم بعد يوم، ويوم يمسه في حر وعطش ولا ينبغي ان يشرب عليه ماء الثلج. ويؤخذ لمن يكثّر من أكله الاهليلج ثم بزر الرازيانج والسكر ليؤمن بذلك من المائبة التي تتولد عنه في الدم فانها تتعفن على الايام وتهيج الحميات ان لم تتدارك بما قلناه الا أن يكثّر من التعب حتى يجري منه العرق الكثير وتصيبه هيضة قوية أو يدمن شرابا قويا يغزر عليه بوله وعرقه وأقل ضررا من جميع اصناف المشمش الحموي لرقه حاشيته وحسن طعمه وحلاوته وعطر رائحة نواره.

وفيه يقول جحظة:

ومشمش زهره كالزهر مشرقة

بحسن ما فيه من نور ومن نور

كأن محمره في وسط أبيضه

حكى عقيقا على جامات بلور

وقال ابن سينا: المشمش له نوار ابيض مسدس مخضب بالحمرة عطر الرائحة، ثم يعقد مع اخراج الورق كاللوز الاخضر بقلب ابيض ويخشب ويطبخ منه الطعام المعروف بالمشمشية ثم يصفر ويأخذ في الانضاج حتى ينتهي فينشف ويحمل منه الى البلاد.

وفيه يقول محمد بن عطية بن حنان الكاتب القيرواني:

ومشمش ما بدا يوما لذي بصر

الا وأصبح بين العجب والعجب

كأن مخبره وصفا ومنظره
شهد تكنفه قشر من الذهب
ومن تشابه ابن وكيع قوله:

بدا مشمش الاشجار فيها كأنه
يلوح على تلك الغصون الموائل
قباب بمحمر الذبائح ضرجت
وقد زينت من عسجد بجلاجل

ونقلت من خط الشرف القواس الدمشقي:
خلت في الروض مشمشا جاء في الحمل بالعجب
كسما من زبرجد بنجوم من الذهب

ومن محاسن بلدينا العلائي بن ابيك:
ومشمش جاءني من أعجب العجب
اشهى إلي من اللذات والطرب
كأنه في هبوب الريح تنشره
بنائق خرطت من خالص الذهب

ومن تشابه الصلاح الصفدي قوله:
بدا مشمش الاشجار يذكي شهابه
على حسن أغصان من الدوح مُيِّدِ
حكى وحكت اشجاره في اخضرارها
جلاجل تبر في قباب زبرجد

ومن لطائف ابن تميم قوله وقد اهداه لبعض أصحابه:
امولاي عز الدين يا من جميله
الى قاصديه ما عليه عيار

جسرت وقد اهديت نحوك ممشا
وذلك شيء ما عليه غبار
وما كان هذا لونه غير أنه
علاه لخوف الرد منك صفار

قراصيا دمشق

ومن محاسن الشام القراصيا: وهي سبعة اصناف. رشيدية، بعلبكية، افرنجية رومية، طعامية، بزرة، وفيجية- نسبة لقرية عين الفيحة، وهي تحمل منها الى السلطان بالديار المصرية- وأحسنها البلدية المنسوبة لواد مكرم وهوبين الربوة الى تحت صحن المزة.

قال ضياء الدين بن البيطار: القراصيا أنواع، فمنها الحلو والمر والعفص والحامض. فالحلو منه حار رطب في الدرجة الثانية ينحدر عن المعدة سريعا ويثير التخم ويرخي المعدة ويستحيل مع كل طبع واذا أكل اسهل البطن ولين الطبيعة ولا سيما اذا ابتلع بنواه وهو مع ذلك يزيد في الانعاط.

وقال اسحاق بن عمران: خلط القراصيا غليظ مزلق فاسد الغذاء يولد السوداء، وحامضه الذي لم يطب قاطع للعطش عاقل للبطن.

وقال ديسقوريدوس: في الاندلس حب الملوك وفي بلاد الروم الكراز. وهي شجرة معروفة أغصانها سبطة مشوبة بحمرة ولها ورق أطول من ورق المشمش ولها ثمرة شبيهة بحب العنب في التدوير، تتدلى في شيء شبه الخيوط الخضراء اثنان اثنان في الغالب وازيد من ذلك، ولونها أحمر ومنها ما يكون اسود وأشقر، وفيها ما هو منصبغ ببعض حمرة.

وهو في الاولى، وان استعمل رطبا لين البطن، وان استعمل يابساً أمسك البطن، وصمغه- اذا خلط بشراب ممزوج بماء- يبرئ السعال ويحسن اللون ويحد البصر وينهض الشهوة وينفع من به حصة.

وقال جالينوس : في السابعة وفيه قبض ولكن ليس هو سواء والحامض اكثر قبضا .
وينفع المعدة البلغمية المملوءة فضولا لان الحامض يجفف اكثر من تجفيف العفص
والحلو . وصبغ هذه الشجرة فيه من القوة العامة الموجودة في جميع الادوية اللزجة التي
لا تلذع معها فهي كذلك نافعة من الخشونة الكائنة في قصبة الرئة . واذا شربت
بشراب نفعت صاحب الحصاة لان فيها قوة لطيفة .

وطعام القراصيا نافع ولذيذ ومسهل والله أعلم . وفيه يقول مؤلفه رحمه الله :

كأنما القراصيا لما بدت للنظر
حبة مرجان ترى في رأس خيط أخضر

وله أيضا :

تحكي القراصيا وقد لاحت بعرق نضر
كنجمة في شفق بدت بذيل أخضر

وله أيضا :

ان القراصية التي زهت بلون مورد
كعقيقة حمرا بدت بعلاقة تحكي الزبرجد

كمثري دمشق

ومن محاسن الشام الكمثري . وهو باليونانية الانجاص وهو أصناف : عثماني ،
عيلاني . خلاني . سمر قندي . صيني . ملكي . صقلاني . مغربي . يروودي .
رحبي . درسي . قناديلي . خنافسي . معنق . دهروري . عريب . بعلبكي .
ماوردي . عقرباني . شتوي . صيفي . سكري . قهلي .

قال ابن سينا : وفي بلادنا نوع من الكمثري يقال له شاه امرود كبير الحجم شديد
الاستدارة رقيق القشرة حسن اللون وكأنه ماء سكر منعقد جامد يميل الى الصفرة

يتكسر للجمود لا لغلظ الجوهر، طيب الرائحة جدا اذا سقط عن شجره اضمحل وهذا مما لا مضرة فيه ولا يحمل من بلده وهو معتدل رطب .

وقال جالينوس : ورق الكمثري واطرافها قابضة فاما ثمرتها ففيها مع قبضها حلاوة ومائية . واجزاء هذه الثمرة ليست متساوية المزاج وان منها ما هو أرضي ومنها ما هو مائي . وان شئت قلت من وجه آخر بعضها بارد وبعضها معتدل المزاج . من اجل ذلك متى اكل الكمثري قوى المعدة وسكن العطش ، ومتى وضع كالضماد جفف وجلا جلاء يسيرا ، وبهذا السبب أعلم اني قد ادملت به جراحات عندما كنت لا أقدر على دواء آخر .

والكمثري البري اكثر قبضا وتجفيفا من سائر الكمثري فهو لذلك يدمل ما هو من الجراحات ويمنع المواد من التحلب .

وقال (ديسقوريدوس) : في الاولى الكمثري وهي اصناف كثيرة وكلها قابض ، ولذلك يستعمل في الضمادات المانعة من مصير المواد الى الاعضاء . واذا أخذ أو شرب طبيخه بعد أن يجفف عقل البطن ، واذا اكل الكمثري والمعدة خالية اضر بآكله وورقه ايضا قابض ، ورماد خشبه قوي المنفعة للذين يعرض لهم خنق من اكل الفطر وهو ما يظهر بارض الشام على ضرب الكمأة . وقد قال قوم انه اذا طبخ الكمثري البري مع الفطر يمرض آكله .

واعترض اسحق بن عمران على قوله في ان الكمثري اذا اكلت على الريق تضر بآكلها ولم يخبر بالسبب في ذلك ولا أي الكمثري يفعل ذلك . فأقول انه ذم الكمثري على الريق اذا اخذ على سبيل اللذة والغذاء لا على سبيل الحاجة والدواء ، وخاصة اذا كان عفصا او قابضا وان كان العفص أخص بذلك لان من خاصيته ان الاكثار منه يولد النفخ فاذا اخذ على خلاء المعدة تمكن من جرمها وقام فعله فيها ولم يؤمن على صاحبه مع الادمان عليه أن يورثه قولنجا يعسر انحلاله . فأما على سبيل الحاجة للدواء فان استعماله على الريق لا محالة أفضل لان استعماله بعد الطعام مطلق وزائد في ضعف المعدة لانه بافراط قبضه يجمع أعلى المعدة وتقهر القوة المسكة التي في

أسفلها . وأما العفص من الكمثري فهو أقل غذاء واقطعها للاسهال والقيء المراري وأشدّها مثونة للمعدة والامعاء ، لانه لا فراط خشونته وغلظ جسمه وبعد انقياده مضر بعصب المعدة جدا . ولذلك وجب ان يتلطف له بما يرخي جسمه ويزيد غلظه ويلين خشونته مثل سلقه في الماء أو تعليقه على بخار الماء حتى ينضج أو يلبس عجينا ويشوى ويربى بسكر الطبرزد أو عسل على حسب مزاج المستعمل له .

وقال البصري : الكمثري الحلو بارد في الاولى يابس في الثانية والصيني منه بارد في الدرجة الثانية رطب في الدرجة الاولى وفيه عطرية وقبض وتقوية القلب والتفاح خير منه .

وقال اسحق بن عمران : الحامض منه دابغ للمعدة مدر للبول مشي للأكل . وقال ابقرط : ما كان من الكمثري صلبا فهو يبرد ويجفف ويعقل البطن وما كان لنا نضيحا حلوا فهو يسخن ويرطب ويطلق البطن .

قلت وخالف البصري في قوله «والكمثري ألد من التفاح وما يتولد منه في البدن احمد مما يتولد من التفاح وهو أسرع انهضاما»

وقال الرازي في (الحاوي) : الخالص من الحلاوة من الكمثري لا يبرد ، وأكله يعقل البطن الا أن يؤكل بعد الطعام فيسرع باحذار الثقل ثم تكون عاقبته عقل البطن . والصيني أقل ماء وأقوى فعلا وأشدّها عقلا وأكثرها في تسكين العطش .

وقال في كتابه المسمى بدفع مضار الاغذية : الكمثري كثير النفخ بطيء الانهضام . وينبغي أن يحذره من يعتريه القولنج ولا يشرب عليه ماء باردا ولا يأكل بعده طعاما غليظا ، واذا أكل منه فليكن على جوع صادق ، وليطل النوم بعده ويشرب عقيبه شرابا عقيقا صرفا أو يأخذ عليه زنجبيل مربى ثم يجعل ادامة في ذلك اليوم مرقة اسفيدباجة أو مرق مطجئة ويدع لحمها ولا يتعرض للمشوي وان اكل مع السمين المهري بالطبخ لم يضره ذلك والكمثري مقو للمعدة ضار للمبرودين ومن يعتريه القولنج وشره أفجه واقله حلاوة ونوار الكمثري ابيض مستدير مشرق اكبر من نوار الخوخ واعظم رائحة . انتهى والله اعلم .

وفيه يقول عبدالله بن برغش:

وكمثري تراه حين يبدو
على الاغصان مخضر الثياب
كثدي خريدة ابدته تيهها
له طعم الذ من الشراب
وما ارشق قول ابن رشيق فيه:

نظرت الى البستان احسن منظر
وقد حجب الاغصان شمس المشارق
به زوج رمان يلوح كأنه
قناديل تبر محكمات العلايق
ومن تشابه صرّ درّ قوله فيه:

حي بكمثراية لونها
لون محب زائد الصفرة
تشبه نهد البكر ان اعدت
وهي لها ان قلبت سره

تفاح دمشق

ومن محاسن الشام التفاح. وهو بدمشق اصناف كثيرة فلنذكر بعضها: سكري.
مسكي. فتحي. صيني. شتوي. بلدي. صيفي. قاسمي. فاطمي. قحاي.
فضي. حديثي. جناني. حرستاني. لبناني. حلواني. دهشاي. اخلاطي.
بربري. نبطي. ماوردي. بطيخي. مجهول.

قال البصري: نواره اشبه شيء بازرار الورد عند ظهوره ثم يفتح مع اخراج ورقه
برائحة طيبة الشدا

وفيه يقول ابن عمار:

وزهر تفاح اضحى الغصن منتظما
كأنه لؤلؤ يبدو وياقوت
وللرياض على ارجائها ارج
كان فيه ذكي المسك مفتوت

قالت الحكماء: جسم التفاح صديق الجسم، وريحه صديق الروح
وقال جالينوس: في السابعة ومنه حلو ومنه ما فيه عفوصة ومنه ما فيه قبض ومنه
حامض ومنه ما بين الحموضة والحلاوة مسيخ الطعم وما كان منه على هذه الاوصاف
فالاغلب عليه طبيعة الماء يكون مزاجه ابرد وارطب معا، وأما الذي فيه عفوصة
فالاغلب عليه المزاج الارضي البارد وأما القابض منه ففيه هذا الجوهر المائي البارد
كما أن في الحلو منه جوهر مائيا معتدل المزاج. وكذلك يمكنك أن تستعمل منه ما هو
أشد قبضا واكثر حموضة في ادمال الجراحات وفي موضع ما يتحلب في ابتداء حدوث
الاورام الحارة الى موضع الورم وفي تقوية فم المعدة عند استرخائها ويستعمل منه ما
هو مسيخ الطعم ولا طعم له. كالماء. في مداواة الاورام التي هي في ابتدائها أو التي في
تزايدها وفي جميع التفاح رطوبة كثيرة باردة، ومما يدل على ذلك انه ليس منه ولا
واحد تبقى عصارته، بل جميعه اذا عصر فسد عصيره خلا السفرجل فان عصارته
تبقى. واليونانيون يدخلونه في عداد التفاح المسمى نيطروما فان هذين النوعين لشدة
قبضهما ليس فيهما من الرطوبة الا اليسير، وأما تلك الانواع من التفاح فكلها ان
طبخت عصارتهما مع العسل صار منها رب يبقى وان تركت وحدها لم يبق.

وقال الرازي: التفاح مقولفم المعدة موافق للمحرورين الا انه بطيء الهضم
وينفخ ولا سيما الفج الحامض وكذلك ينبغي ان لا يشرب عليه من يجد منه ثقلا في
معدته ماء باردا ولا يأكل عليه طعاما حامضا بل يشرب عليه الشراب ويأكل امراق
المطجنات.

وقال الحكماء ان من خاصيته توليد النسيان ويكسل واذا اخذ اليسير منه نفع من
الوسواس السوداوي وأكل التفاح يحدث الخلط في البراز وشمه يقوي الدماغ
والنفس. والله أعلم بالصواب.

وفيه يقول الزين الخراط في جارية أهدى اليها تفاحة :

وعذراء أهديت تفاحة اليها فقالت تفكه بشاني
حديثي تفاحه سكري كفتحي وتفاح خدي جناني

واحسن منه قول صلاح الدين بن شاعر الكتبي :

وغادة تيمني حبها تقول صف خدي بالاحمر
فقلت فضي غدا مخضبا قالت حديثي قلت ذا سكري

ومنه قول جلال الدين بن خطيب داريا :

قالت العذراء لما شئت المنع بمنحي
هاك تفاح حديثي حلولا تطمع بفتحي

ومن محاسن صاعد اللغوي قوله :

تفاحة اذكرني نصفها خد حبيبي يوم عانقته
ونصفه الآخر شبهته بلون وجهي حين فارقته

ومن نفثات ابن حبيب قوله :

وتفاحة فيها احمرار وخضرة
مضمخة بالطيب من كل جانب
تكامل فيها الحسن حتى كأنها
تورّد خد فوق خضرة شارب

ومن مقاصد ابن نباته قوله :

كرات عقيق في غصون زبرجد
بكف نسيم الريح منها صوالج
نقلبها طورا وطورا نشمها
فهن خدود بيننا ونوافج

وبما أرشق قول ابن رشيق القيرواني :

تفاحه شامية من كف ظبي اكحل
ما خلقت مذ خلقت تلك لغير القبل
كأنما حررتها حمرة خد خجل

ومن لطائفه قوله:

تفاحه من كف ظبي أخذتها
جناها من الغصن الذي شبه قده
لها لمس ردفيه وطيب نسيمه
وطعم لما فيه وحمرة خده

ومن لطائف بشار بن برد:

وتفاحه من خالص التبر نصفها
ومن جلنار نصفها وشقائق
كأن الهوى قد رد بعد تفرق
لها خد معشوق الى خد عاشق

ومن أغراض الصاحب بن عباد قوله:

ولما بدا التفاح أحمر مشرقا
دعوت بكأس وهي ملأى من الشفق
وقلت لساقية أدرها فانها
خدود عذاري قد جمعن على طبق

ونقلت من خط جمال الدين أبي حسن علي الخزرجي قوله:

تفاحه حمرة قد بدت
يميلها الريح على غصن
كأنها خدان قد جمعا
يلوح فيها طابع الحسن

خوخ دمشق

ومن محاسن الشام الدراقن وهو أصناف بدمشق ويسمى في القاهرة الخوخ ولم يكن بها سوى الزهري والمشرع فنذكر من أصنافه ما يحصرنا الآن بدمشق: خواجكي، رصاصي، حمصي، نيرباني، لوزي، لزيق، لقيس، كلابي، صالحلي، ختمي، مظفري، مسافري، صوري، زهري، لحم الجمل، مجهول.

قال أبو حنيفة: شجره سريع الأخذ في الأرض، قصير المدة، أنهى مكثه عشر سنين، ويضمحل ثمره، وتنشف شجره، وله نوار احمر ينور من أصله الى آخر فرعه، زهي المنظر.

وفي زهره يقول محيي الدين بن قرناص الحموي:
مررت باشجار الدراقن سحرة
وقد رنحت اعطافه نسمة الفجر
فشبهته لما رأيت احراره
عيون غمامير أفاقوا من السكر

قال جالينوس: في السابعة وفي نفس شجرة الخوخ المسمى بالدراقن بدمشق وقضبانها وورقها مرارة ولذلك متى سحق وضمد به السرة قتل الديدان التي بالجوف وهو مع هذا يحلل. واما ثمرتها فمزاجها رطب يبرد.

وقال في كتاب اغذيته: ان الرطوبة المستكنة في هذه الثمرة وجرمها نفسه سريعا الفساد رديثان في جميع الخصال، ولذلك لا ينبغي أن يؤكل الخوخ بعد الطعام كما جرت عادة بعض الناس لانه اذا طفا في المعدة فسد .
وقال ابن ماسوية: يولد بلغما غليظا سريع الفساد والعفونة في المعدة.

وقال الرازي في (الحاوي): الخوخ يشهي الطعام جيد للمعدة الحارة والعطش واللهب منها ويزيد في الباه ويطفئ الحرارة.

وقال ابن سينا يشبه ان يكون زيادته في الباه للابدان الحارة اليابسة.

وقال ابن الجوزي في (لقط المنافع): الخوخ بارد رطب نضيجه ينفع المعدة ويشهي الطعام، غير أنه رديء الخلط سريع السلوك في فساد المعدة يصلح للشباب في البلاد الجنوبية ويؤكل بعده الزنجبيل المر.

وقال الرازي في (دفع مضار الاغذية): الخوخ ينفع المحموم وقت صعود الحمى الحادة اذا كانت غبا خالصة ويولد في الدم مائة يكمل استحالتها الى الدم يعفن ويهيج الحميات بعد شهر أو شهرين كما يفعل المشمش الا ان الحميات المتولدة من الخوخ اقوى نافضا واطول مدة والله سبحانه وتعالى أعلم.

وفي الخوخ الزهري يقول القيراطي:

حللنا ببستان به الدوح واقف
وجدول صافي الماء من تحته يجري
كان النجوم الزهر زهري خوخه
ولم أر مثلي شبه الزهر بالزهر

ومن محاسن العلائي الوداعي:

وخوخه قد حكت لونين خلتهما
خدّي حب ومحجوب قد التصقا
تعانقا فبدا واش فراعهما
فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

ومن لطائف النصر الحمامي قوله:

وخوخة يحكي لنا نصفها
وجنة معشوق رآها الكئيب
ونصفه الآخر شبهته
بلون صب غاب عنه الحبيب

آجاص دمشق

ومن محاسن الشام الآجاص ويسميه أهلها الخوخ وهو أصناف: صيفي، زجاجي، قبرصي، اسود، عين البقر، خوخ الدب، خوخ الطعام، اغبر، شقير، جايكي، برقوق، مجهول، بزرّة. وله نوار ابيض صغير دون نوار الكمثري.

قال ابن ماسويه الآجاص يغذي غذاء يسيرا ويرطب المعدة بلزوجة ويبردها ويلين الطبيعة ويسهل المرة الصفراء ويسكن العطش. وهو صنفان ابيض واسود فالاسود هو الآجاص على الحقيقة، والأبيض هو المعروف بالشاهلوج وهو بطيء الانهضام وليس بمسهل كغيره وكلاهما بالشام.

وقال ابن زهر: الآجاص رديء للمعدة ملين للبطن وأحسنه ما كان بدمشق فانه اذا خف كان جيداً للمعدة ممسكاً للبطن ويختار منه ما كان لحمياً رقيق البشرة والكبير الرخو القليل القبوضة وأرداه الصغير الصلب الشديد العبوضة الابيض وغالب عليه الزرقة المعروف عند أهل مصر بشقير. والبرقوق نوع منه صغير لكنه اذا نضج حلا.

وقال ابن الجوزي: الآجاص بارد رطب المختار منه الاسود الحلو الكبير يلين الطبيعة لكن خلطه غليظ بطيء الانهضام يطلق الصفراء والحامض أشد اطلاقاً وينفع الصداع والشقيقة وينقص اليرقان وينفع الشباب في الصيف بالبلاد الحارة. دفع مضرته معجون الورد أو العسل. انتهى والله أعلم. وفيه يقول مصنفه البدري:

يا حسن آجاص اتي يحكي لعين البصر
اكراً بدت من فضة قد ضمخت بعنبر

وقال ابن المعتز فيه:

لقد شاقني الآجاص لما رأيت
يميل مع الأغصان مع كل مائل

تطلعن من بين الغصون كأنها فقاح زنوج تحت خضر الغلائل

وكل هذه الاصناف والالوان بالمرزة وارض اللوان . وبها الدور الوسيعة الفناء ،
المليحة الاساس والبناء . وفيها أعيان الناس ، وهي الجامعة بين حسن الانواع
والاجناس مع الهواء الصحيح ، والاعتدال بالترجيح . وبها سويقتان ، فيهما سائر ما
يشتهى من الالوان . ومصلى بخطبة وخطبة بجامع جديد ، وفيها ضريح الولي المعتقد
الشيخ سعيد . أعاد الله علينا من بركاته ، وأمدنا بصالح دعواته .

ويتوصل منها الى قرية (كفر سوسة) وبها معصرة زيت وأشجار زيتون من زمن
عيسى عليه السلام ، مع الفواكه الكبيرة بطريق الانضمام .

زيتون دمشق

قال ابن البيطار: الزيتون في السادسة وورق هذه الشجرة وعيدانها الطرية فيهما
من البرودة بمقدار ما فيهما من القبض واما ثمرتها فما كان منها مدركا نضيجا فهو حار
حرارة معتدلة وما كان منها غير نضيج فهو أشد قبضا وبردا .

وقال اسحق بن عمران: الزيتون الاخضر دابغ للمعدة مقو للشهوة بطيء
الانهضام رديء الغذاء . واذا رمي في الخل كان أسرع انهضاما وأكثر عقلا للبطن .
واذا عمل بالملح اكتسب منه حرارة وكان ألطف من المنقع في الماء . والزيتون اذا
تضمض به شد اللثة والاسنان المتحركة . أما الزيتون الاسود النضيج فانه سريع
الفساد رديء للمعدة غير موافق للعين واذا تضمض به منع القروح الخبيثة من أن
تسعى في البدن والاسود ينقلب الى المرة الصفراء وهو أسرع انهضاما من الاخضر
وورقة قابض اذا دق وسحق وتضمض به نفع من النار الفراسية ومنع الحمرة ان تسعى
في البدن ومنع النملة والقروح الخبيثة وينفع من الداحس والله أعلم . انتهى .
وفيه يقول محمد بن دانيال:

كأنما الزيتون حول النهر
بين رياض زخرفت بالزهر
عقد زمرد هوى من نحر
أو خرز خرطن من بازهر

رمان دمشق

ومنها الى أرض المراز والشويكة وهي من محاسن الشام واليهما ينسب الرمان الشويكي .

والرمان أصناف : شويكي ، بردي ، ماوردي ، مليسي ، كوفي ، برجنيقي ، سحاقبي ، شويخي ، مصري ، سلطاني ، محجر ، مطوق ، تدمري ، لقيط ، حصوي ، طقاطقي ، قطي ، مشبه ، حامض للطعام ، لفان ، رأس البغل ، مجهول .

قال أبو حنيفة الدينوري : شجر الرمان معروف وله نوار أحمر كالازرار ثم يكبر ويفتح كقالب السكر مشرقة الرؤوس بعضها ما هو مشمن والبعض مسدس وداخل هذا القمع نوار أصفر يعلوها ورق أحمر أرق بشرة من الحرير . وعند السامرة وعباد النار وغيرهم يسمى بالمليح المهجور لكون الناس لم يعتنوا بزهره ولا يحتفلون به كغيره وفيه يقول الأمير أبو فراس :

وجلنار مشرق	على اعالي شجره
كان في رؤوسه	أحمره وأصفره
قراضة من ذهب	في خرق معصفره

وقال ابن وكيع :

وجلنار بهي	ضرامه مكتوقد
بدا لنا في غصون	خضر من الرى مئد
يحكي فصوص عقيق	في قبة من زبرجد

أخذه الصفدي :

وجلنار تبدى في غصنه يتوقد
كأنجم من عقيق سماؤها من زبرجد

ومن محاسن ابن دمرdash قوله:

لما بدا الجلنار في القضب
والطل يبدو عليه كالحبيب
كأنما أكؤس العقيق به
قد ملئت من برادة الذهب

قال ابن البيطار: الرمان في الثامنة وكله قابض الا اليسير، لان الرمان منه حامض ومنه حلو ومنه قابض فيجب ضرورة ان تكون منفعة كل نوع بحسب الطعم الغالب عليه. وحب الرمان اشد قبضا من عصارته واشد تجفيفا وقشره اكثر في الامرين جميعا وحينئذ الرمان الذي تساقط عن الشجر اذا عقد كان اجود.

وقال ابن زهر الرمان في الاولى كله جيد الكيموس جيد للمعدة قليل الغذاء والحلو منه اطيب من غيره غير أنه يولد حرارة ليست بكثيرة في المعدة ونفخا، ولذلك لا ينفع المحمومين، والحامض انفع للمعدة الملتهبة، وهو اكثر ادرازا للبول من غيره.

وقال ابن الجوزي الحلو حار رطب وقيل بارد معتدل جيده الكبار منفعته يلين الصدر والحلق ويصلح للسعال والباه ويوافق للمعدة ويحدث نفخا. دفع مضرته بالرمان الحامض يتولد منه غذاء صالح للامزاج المعتدلة وللكهول في الخريف.

والرمان الحامض بارد يابس لطيف قابض جيده الكثير الماء ينفع للكبد ويقمع الصفراء ويمنع سيلان الفضول الى الحشا، خصوصا شرابه، ويدر البول اكثر من الحلو لكنه يضر الصدر والصوت والمعدة ودفع مضرته بالحلواء العسلية يصلح للامزاج الملتهبة وللشباب في الصيف ومن أكل ثلاثة اقماح من الرمان بشحمه فانه دباغ للمعدة وفيه فائدتان: الاولى انك اذا اردت معرفة الرمانة هل حبها فرد أم

ازواج تنظر الى تشريح قمعها ان كان فردا فهي بالفرد وان كان الزوج فهي بالزوج .
الثانية انك تطعم انسانا يبغض انسانا مائتي حبة واربعاً وثمانين حبة رمان حلو
وتطعم المبعوض في ذلك الوقت بعينه مائتين وعشرين حبة فانها يتحابان الى الممات .
نقلته ممن جربه فصيح والله اعلم .

ومن لطائف جمال الدين الشواء قوله :

من رام للرمان وصفا يقل مثل الذي قد قلت اعلنا
حق نضار لم يزل مودعا فيه يواقيتا ومرجانا

وما أبدع كلام أمير المؤمنين المأمون فيه :

رمانة ما زلت مستخرجا في الجام من حقتها جوهرا
فالجام أرض وبناني حيا يطر ياقوتا بها أحمر

ومن تشابهه ابي الحسن الجوهري فيه :

وحبات رمان لطاف كأنها

شوارد ياقوت لطفن عن الثقب

اشبهها في لونها وصفائها

بقطرات دمع وردت من دم القلب

ومن محاسن كشاجم قوله :

ومحمة من بنات الغصون ويمنعها ثقلها أن تميدا

منكسة التاج في رأسها تفوق الخدود وتحكي النهودا

تغض فتفتر من مبسم كأن به من عقيق عقودا

ومن محاسن ابن الرومي قوله :

ولما فضضت الختم عنهن لاح لي

فصوص عقيق في بيوت من التبر

فدّر ولكن ليس يدنيه غائص

وماء ولكن في غازن من جمر

ومن معاني ابن حمديس قوله :

قد لاح رماننا بروضته	بين صحيح وبين مفتوت
من كل مصفرة مزعفرة	تفوق في الحسن كل منعوت
كأنها حقة فان فتحت	فصرة من فصوص ياقوت

ومن عقود ابن لؤلؤ الذهبي قوله :

ورمان رقيق القشر يحكي	نهود الغيد في اثواب لاد
اذا قشرته طلعت لدينا	فصوص من عقيق أو نجاد

ومن مخترعات علي بن سعيد الخيري الانصاري في رمان معشوقه :

وساكنة في ظلال الغصو	ن بخدر تروك افنانه
تضحك أترابها عندما	غدا الجوّ تدمع أجفانه
كما فتح الليث فاه وقد	تضرج بالدم أسنانه

ومن محاسن الشام قرية (داريّا) وهي قبل (الشويكة) وبها السيدان الجليلان (ابو سليمان الداراني) و (ابو مسلم الخولاني) اعاد الله تعالى علينا من بركاتهما المتواترة وافاض علينا من بحار علومهما الزاخرة.

واليها يتشوق خطيب محاسنها الشيخ جلال الدين ابو المعالي محمد بن احمد سليمان المعروف بابن خطيب داريّا من القاهرة المحروسة بقوله :

سقى الله من شرقيّ جامع جلق
منازل لا يهوى سواها غريبها
منازل لولا الساكنون بها لما
تذكرتها يوما ولو فاح طيبها
وما قل منها اذ رضيت ببعدها
نصيبني ولكن قل مني نصيبها

وما لي الى الاوطان شوق وانما
هوى كل نفس اين حل حبيبها
واليها ينسب البطيخ الداراني.

بطيخ دمشق

قال الرازي) البطيخ الهندي وهو الاخضر يقوي الترطيب مستعد لان يصير بلغيا
حلوا ولذلك صار نافعا لاصحاب حميات الغب والمحرفة.

وقال (ديسقوريدوس) الخلط المتولد من البطيخ خلط رديء وكثيرا ما تعرض منه
الهيضة ويعين على القيء وقشر البطيخ اذا استعمل عوضا عن الاشنان كفا الزهومة
وذهب برائحة الزفر واذا جفف قشره والقي في القدر مع اللحم الغليظ أسرع نضجه
وهراه.

وقال (ابن الجوزي): البطيخ الهندي رطب جيده المائي الحلو ينفع الامراض
الحارة ويسكن العطش ويسميء الهضم دفع مضرته بالسكر يصلح للامزاج الحارة
الصفراوية والشباب في الصيف واذا اخذ من مائه في سكر اوسكنجيين ادر البول
وغسل المثانة والكلى وكان اكثر في التبريد وينفع اصحاب اليرقان الحادث عن حرارة
الكبد اذا شرب مع الطباشير والسكر وهو مصحح للاخلاط يضر المشايخ والكبد
والطحال اذا كانت واردة والاكثر منه يولد الهيضة وسوء الهضم وينبغي ان يتوقاه
اصحاب المزاج البارد فان تناولوه اتبعوه بالعسل . انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .
وفيه يقول تاج الدين الكندي وأجاد:

انظر الى البطيخ في تشقيقه
يحكي لى التشبيه كل أنيق
صفائح بلور بدت في زمرد
مركبة فيها فصوص عقيق

ومن أغاز الصلاح الصفدي قوله :

ما رباعيّ حروف وهي خمس في البناء
كله نبت ولكن نصفه طائر ماء

ومن لطائف بلدينا الوأواء الدمشقي قوله:

وذا ريق ان ترشفته وجدته احلى من المن
اذا بدت في كف جلابها رأيتها في غاية الحسن
كسلة خضراء مختومة على الفصوص الحمر في القطن

وقال صاحب (مطالع البدور) البطيخ يغسل الطعام غسلا، ويذهب بالاذى اصلا. وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الحلوى ايام الرطب الاثنان ايام البطيخ والبطيخ الاخضر بدمشق اصناف. وهو داراني، ومرجى نسبة الى المرج، ودومي نسبة لقرية دوما، وحبشي، وقبلي، وعواميدي، وهو المسمى بالنموس. انتهى.

ومن محاسن الشام قرية (يَلْدا) وهي من القبلة الى شرقي قرية (عربيل) وما بينهما من القرى الجميع برسم زراعة كروم العنب وعرائشه.

وقال صاحب (معاينة العقل في معانة النقل) التعريش الرفعة لقوله تعالى «وهو الذي أنشأ جنات معروشات» والعرش ارفع من السماء. انتهى.

عنب دمشق

والعنب صنوف بدمشق. فمنها البلدي، خناصرى، عاصمي، زيني، بيتموني، قناديلي، افرنجي، مكاحلي، بيض الحمام، حلواني، بوارشي، جبلي، قصيف، ابزاز الكلبة، قشلميش، كوتاني، عبيدي، شحماني، جوزاني، دراقني، مخ العصفور، عرايشي، رومي، شبيهي، نيطاني، عصيري، رناطي، ورق الطير، سماقي، حرصي، مجزع، شعراوي، دربلي، قاري، علوي، عينوني، موري، مشعر، مسمط، مرصص، محضر، مقوس، حمادي، تفاحي، رهباني، زردى، مبرد، مخصل، مغاربي، شحمة القرظ.

وقال (ديسقوريدوس): الكرم في الخامسة وهو الذي يعتصر منه الشراب وورقه وخیوطه اذا سحقا وتضمدا بهما سكنا الصداع. والورق اذا كان باردا قابضا فانه اذا تضمدا به وحده او مع سويق الشعير سكن الورم الحار العارض للمعدة والالتهاب العارض لها. وعصارة الورق تنفع الذين بهم قرحة الامعاء والذين يتقيؤون الدم والذين يشكون معدهم والحوامل من النساء. وخیوط الكرم اذا انتفعت بالماء وشربت فعلت ذلك. ودمعة الكرم وهي شبيهة بالصمغ تجمد على القضبان اذا شربت مع الشراب اخرجت الحصى واذا تلطخ بها ابرأت القوابي والجرب المتقرح والذي ليس بمتقرح. وينبغي اذا احتيج الى التلطخ بها ان يتقدم بغسل العضو بالنظرون واذا تمسح بها مع الزيت دائما حلقت الشعر، وخاصة الدمعة المجموعة من قضبان الكرم الطرية واذا احرقت ورشحت منها الدمعة كما يرشح العرق وهي التي اذا لطخت على الثآليل المسماة مرميقيا^(٢٨) ذهبت بها. ورماد قضبان الكرم ورماد شجير العنب اذا تضمدا به مع الخل ابرا المقعدة التي قد قلع منها البواسير وابرا من التواء العصب وقد ينفع من نهشة الافعى واذا تضمدا به مع دهن ورد وسذاب وخل خمر نفع من الورم الحار العارض في الطحال.

وقال ابن الجوزي في لفظة «العنب»: حار رطب والابيض احمد من الاسود والاكثر منه يصدع الرأس ومنفعته يسهل البطن ويسمن، وهو قريب من التين في فضيله على سائر الفواكه. مضرته يعطش ويرخي المثانة. دفع مضرته بالرمان الحامض يتولد منه دم جيد يصلح للمشايخ والامزاج الباردة في الخريف وفي البلاد الشمالية والحصرم ينفع المحرورين ويطبخ منه طعام لذيذ.

وفي اللغة قال الحصرم ثمر الكرم قبل الحلاوة والميم فيه زائدة مأخوذ من الحصر وهو العجز عن النطق، أو من الحصر الذي هو احتباس الباطن وبه سمي الرجل البخيل لمنعه ما في يده وتشديده. والحصير الملك سمي بذلك لامتناعه عن الاعين أو عن الضيم. قال الشاعر:

(٢٨) في مفردات ابن البيطار «مرمعا»

وقمّاقم غلب الرقاب كأنهم
جند لدى باب الحصر قيام
وسميت جهنم «للكافرين حصيرا» لمنعها من فيها أو لتمنعها هي في نفسها قال
تعالى «وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا»

فالحصرم طبعه البرد واليبس ولذلك قبض الاجسام ومنع المسام من اخراج ما
فيها من الفضل. انتهى كلام (معاينة العقل).
وفيه يقول الطغرائي وابدع:

ترى الثريا من عناقيدها تلوح في أخضر كالغيب
كم درة فيها وكم لؤلؤ صحيحة التدوير لم تثقب
واستعار هذه الثريا لعرشه ابن تميم فقال:

نفي عني الهجير ظلال كرم
وأمتعني ونزه ناظريا
ولاحت عرشة فرأيت منها
سماء كل أنجمها ثريا

ومن لطائف الصاحب ابن عباد:
وحبة من عنب قطفتها
تحسدها العقود في الترائب
كأنها من بعد تميزي لها
لؤلؤة مثقوبة من جانب

ومن تشابه ابن المعتز قوله:
وحبة من عنب من جنة متخذة
كأنها لؤلؤة في وسطها زمردة
ومن محاسنه قوله في العنب الأبيض:

شربت حميا الكرم تحت ظلاله
على حسن محبوب الشمائل أغيد
كأن عناقيد الكروم وظلها
كواكب در في سماء زبرجد

ومن أغراضه قوله في العنب الاسود:
حتى اذا حرمريّ جاء مرحلة
بفاتر من هجير الجو مستعر
طلت عناقيدها يخرجن من ورق
كما اختفى الزنج في خضر من الازر

وقال ابن الصائغ في العنب العاصمي:
وعاصميّ قد غدا طعمه
أروى من الماء لدى الحائم
أورث خلي أكله هيضة
فاعجب له من مسهل عاصمي

وقال ابن الرومي في العنب الرازقي:
كأن الرازقي وقد تناهى
قوارير بماء الورد ملأى
وتحسبه من الشهد المصفى
فكل مجمع منه ثريا
وقال محمد بن عبدالله المحسن الكفر طابي في الاسود:

جاءنا منك تحفة نحن منها
أبدا في تضاعف السراء
عنب اسود كأن عليه
حللا من حنادس الظلماء
خلته في خلال أوراقه الخضر
ر ولون اسوداده للصفاء
كقموع على أنامل خود
لحن من كم غادة خضراء

ونقلت من خط التقوى ابن حجة ملغزا في الكرمة:
عناقيد على قضب تدلت
حكى منظومها عقد الآلي
إذا عصرت ترى في الكأس منها
دواء قد تركب من دوالي

البرهان البهنسي قوله:

اخبروني عن فاضل بأصول
وفروع يسمو على كل فاضل
اسبغ الله ظله فهو ظل
سابغ وافر مديد وكامل
وأبو محجن يقول ادفنوني
تحتة ان أتاني الموت عاجل
كم الينا قد مد كفا نديا
صير العيش أخضرا في المنازل
نقطة الطل فوقه أوضحتة
عند توقعها به وهو عاطل
ما تبدى لنا بعين ولكن
حرّفته وصحفته الافاضل
فرأينا للترك فيه اسم عين
بفتور الاجفان جاء يغازل
ان تذكره حرف الكل يبدي
كرما والندی من الكف هاطل
أوتؤنثه يقبل الهاء في الحا
ل ومن بعد ذا يرى هو حامل

ويقل شطره لمن عاب منه
لك هم بالعكس عندي حاصل
فيه حلو وفيه مرٌ ويبدو
عند تحريف عكسه المتماثل
وبلا أول يرى فعل أمر
واقلب الفعل منه فالامر حاصل
هو خشب مسنندات ولكن
حال يجلى يبدو رقيق الغلائل
ومن الغمر جسمه الغض يدمى
وتراه من بعد ذا وهو ذابل
واذا ما فرطت فيه تراه
لم يحل عنك وهي نعم الخصائل
ذو بياض وحمرة وكذا لي
فرحا من راح سرت في المفاصل
فتراه يوما عقود عقيق
نظمت سلكها بغير أنامل
وتراه يبدو عقود جمان
ما لها غير ثغر حبي ممائل
وتراه طورا سلافة راح
ولدرّ الحباب فيها حواصل
وعلى عوده يغني علينا
اعجمي به تهيج البلايل
لك منه فواكه وشراب
كل عصر اليك تلقاه واصل

وحلاواته بها كل قلب
كسروه والقلب للكسر حامل
وصله في مصر قليل ولكن
هو بالشام لا يزال مواصل
وتراه بذات عرق مقيما
في نعيم وظله غير زائل
واذا قلت في المخيم بالغو
ر رأييناك فيه أصدق قائل
ولقد جاءنا بعتب لطيف
عند تصحيفه لمن هو هازل
كيف لا والكتاب عن حبيته
قد أتى مخبرا بتلك الفضائل
فتفكه من حبه في قطوف
دانيات لكل آت وراحل
واقم تحت ظله فهو لغز
ظله ظاهر على كل قائل
ثم دم في الالغاز بالحل والعقد
غنيا اذا اتى اللغز سائل

وزيبه حار والحامض منه بارد. قال أبو حنيفة الدينوري الزبيب جفيف العنب
خاصة، ثم قيل لما جفف من سائر الثمر قد زبب الا التمر فانه يقال تمر الرطب ولا
يقال زبب والزبيب هو العنجر.
وقال جالينوس تنضج وتحلل تحليلا معتدلا وهو في السادسة. وعجم الزبيب
يجفف في الدرجة الثانية ويبرد في الدرجة الاولى وجوهره جوهر غليظ ارضي كما قد
تعلم ذلك من طعمه اذ كان يوجد عيانا وهو يسكن ما يكون في فم المعدة من التلذيع
اليسير.

وأفضل أنواع الزبيب أكثره لحماً وارقه قشراً وبعض الناس يميل إلى الزبيب الكبار الحلوة فيخرج عنه عجمه قبل أن يأكله والفاعل لذلك محسن في فعله والكشمش هو الزبيب الصغير الذي لا عجم له وهو أجود.

وقال صاحب (لقط المنافع) الزبيب صديق المعدة والكبد ينفع الكلي والمثانة ووجع الأمعاء ويحد الدهن وينفع من قد اجتمعت في بدنه اخلاط بلغمية فاسدة إلا أن مضرته احراق الدم، ودفعها بالخيار الأخضر، ينفع المزاج الباردة والقابض منه قليل اللحم يقوي المعدة ومن أراد حبسه أكل الزبيب القابض بعجمه.

وبالاسناد إلى النبي ﷺ قال «نعم الطعام الزبيب يطيب النكهة ويذهب البلغم». قال أمير المؤمنين المنصور «كلوا الزبيب واطرحوا عجمه فإن في عجمه داء وفي شحمه دواء» هكذا حدثني أبي عن أبيه عن جده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أمره بذلك. فتنبه والله أعلم.

ويعمل من ماء العنب الدبس والملمن. قال الرازي في (دفع مضار الأغذية) الملمن غليظ مولد للسدد والقولنج بطيء الحركة والنزول رديء في أكثر أحواله واجتنابه اصلح، اللهم إلا أن يكون الإنسان جائعاً. واصلاحه بالفانيد. ويسرع نزوله. وينبغي أن يحذره من به غلظ في كبده وطحاله ويعتريه الحصا في كلاه، وليس بضار للصدر والرئة. انتهى.

لوز دمشق وزهره

قلت وبين هذه الكروم المذكورة قطع أراض جميعها أصول (لوز) ليس لها نظير في أيام تنويرها وهي من محاسن الشام.

قال ابن زهر: اللوز نوار أبيض وأحمر يقال إن الأحمر ثمرته مرة. وفيه يقول الأمير مجير الدين محمد بن تميم:

خرجنا للتنزه في بقاء
يعود الطرف عنها وهو راض

ولاح الزهر من بعد فخلنا
ضبابا قد تقطع في اراض

ومن محاسنه قوله :

يا حسنها دوحة باللوز حالية
يبدو لعينيك منها منظر عجب
كأنها قبة بيضاء قائمة
على عمود ولكن مالها طنب

ومن لطائفه قوله :

بروحي من ابصرته متنزها
بروض نضير وشعته الغمام
وقد نثرت من فوقه الدوح زهرها
كما نثرت فوق العروس الدراهم

ومن مقاصده قوله :

روض تحلى بالنبات فماله ولحسنه الآ السماء نظير
والزهر مثل الزهر تحسب أنها فيه إذا هب النسيم تنير

ومن بدائعه قوله في الزهر على النهر:

ولما نثرنا الزهر في النهر وانبرت
تجمعه أيدي الصبا والجنائب
حسبنا سماء قد تجعد غيمها
ولاحت خلال الغيم زهر الكواكب

وقال:

ابدت غصون اللوز من زهرها
ما كان في الاكمام مستورا

ظلت يومي كله مفكرا
في عنبر أعشب كافورا

ومن مخترعاته:

يا حسن منعطف الحديقة اذ بدت
تجلو لزائرها سنى نوارها
وكأنما حسد النسيم رياضها
فاذاع ما كتمته من أسرارها

ومن أغراضه البديعة قوله:

لما أتينا اللوز لم يبعث لنا
نشرا وطال مخافة ان يجتنى
فشكوته للريح فاستلبته من
اعلى الغصون وفرقته بيننا

ومن مجونه قوله:

فديتك زهر اللوز جاء مبشرا
بفضل على شرب المدام معين
فقم نجتلي بنت الكروم ونجتني
كواكب زهر من سماء غصون

وقال ابن فضل الله فيه مع ورقه:

ويا رب زهر أبيض بين أخضر
تتبه على كل الرياض رياضه
كاثقاب نقش أخضر فوق معصم
صقيل تجلى بينهن بياضه

ومن النكت البديعة قول ابن نباتة:

أهلا بسائرة الصبا من نحوكم
وبما عهدنا من تعاهد طولها
أملت على الزهر المقطب ذكركم
حتى تبسم ضاحكا من قولها

ونقلت من خط الزيني ابن الخراط قوله:

وروض به ثغر الازاهر باسم
وطرف الحيا من ضحك نواره باكي
فلا تحسبوا برق الغمامة باسمها
هو المبسم الحالي ولكنه الحاكي

ومن لطائفه قوله:

مررت على دوح ينوح حمامه
ودولابه يبكي على شاطئ النهر
فقلت على ما أنت باك ودائر
فقال على ما ضاع من نشر الزهر

ومن ملحه قوله:

وروضة قال لنا نهرها معاتبا إذ رق للشارب
أكون في خدمتكم جاريا ويضحك الزهر على شارب

وأنشدني شيخ الادب العلائي المليك:

باكر الى زهر الرياض واسقني
كاس الطلا والراح روح الانفس
أو ما ترى نصب الربيع خيامه
في الروض فوق مطارف من سندس

وأنشدني أيضا:

بادر الى الزهر في عرس الرياض ضحى
فالورق غنت على العيدان في الورق
والريح شيب والاغصان راقصة
والزهر تنثر اوراقا من الورق
ويعجبني في الزهر على النهر:

لم لا أهيم الى الرياض وطيبها
وأظل منها تحت ظل صافي
والزهر يلحظني بثغر باسم
والماء يلقاني بقلب صافي

ومن تحرير القيراطي قوله:

سقيا لاقطار الشّام فكم من أنجم في روضها نجمت
واذا السماء بارضها نزلت طلعت زهور نجومها وسمت

وقال محيي الدين بن قناص:

قد أتينا الرياض لما تجلت وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما سقطت من أنامل الاغصان

وقال أيضا:

مال القضيب بروضة من سكره
لما سقاه عقاره آذار
حتى اذا سرق النسيم دراهما
من كمه صاحت به الاطيار

وقال أيضا:

هلم يا صاح الى روضة قد غمقت ازهارها السحب
الزهر فيها شيق مغرم وجدول الماء بها صب
وقال بدر الدين بن لؤلؤ الذهبي:

هلم يا صاح الى روضة يجلو بها العاني صدا همه
نسيمها يعثر في ذيله وزهرها يضحك في كمه

منه قول أحمد بن أبي صالح فيه :

بادر اليها يا نديمي روضة قد وشحتها انمل الغمام
غنت على العود مطوقاتها فزهرها يرقص بالاكمام

وما أبدع قول يحيى بن هذيل :

نام طفل الزهر في حجر النعاما لاعتزاز الظل في زهر الخزامى
وسقى الوسمي اغضان النقا فهوت تلثم افواه الندامى

وقال ابن قرناص :

لقد عقد الربيع نطاق الزهر يضم لغصنه خصرنا نحىلا
ودب مع العشي عذار طل على نهر حكى خدا اسىلا

وقال ابن مليك الحموي :

كأن زهر الربى والطل بالله
ثغر بدا باسم يفر عن شنب
أو لا فكأس لجين ملؤه ذهب
مكّال من عقود الدر بالحبيب

وقال المعوج الشامي في ازواره قبل تفتيحه :

حقاق من النوار مزرورة العرى
على قطع الياقوت واللؤلؤ الغض
فتحن على الاغصان اجفان فضة
وبالأس كانت مطبقات على الغمض

وقال الشيخ ادريس وقد طلع باخوانه الى الزهر :

واخوان صدق قد أناخوا بروضة
وليس لهم الا النبات فراش

فخلتهم والنور يسقط فوقهم
مصاييح تسري نحوهم فراش
وقال العلائي بن أسد في غلام يتفرج في النزهة:
سلطان حسن أفنديه بناظري وأعيذه من نزعة الشيطان
يوما بزهر اللوز لما زارني قضيت ذاك اليوم بالسلطاني
وقال عفيف الدين بن محبوب المغربي في غلام بات تحت شجرة:
وليلة بات بدري [تحت] انجمها
من العشاء نديما لي الى السحر
يحبو بورد وورد طول ليلته
من خده ولما العاطر الخضر
حتى اذا اسكرتني خمر ريقته
غنى فاغنى عن المزمار والوتر
ما العيش الا ارتشاف الراح من شنب
يغني عن الراح من سلسال ذي أثر
فأنشأت بنجوم الليل ترجمنا
سماؤها غيرة منها على القمر
فظلت من وجه من أهوى ودارتها
وثغره والذي يهوى من الزهر
ما بين بدرين مكتوم ومشتهر
وبين درين منظوم ومنثر
ومن المعاني البديعة قول السلامي:
نسب الرياض الى الغمام شريف
ومحلها عند النسيم لطيف
والارض طرس والرياض سطوره
والزهر شكل بينها وحروف

وكأنما الدولاب ضل طريقه
فتراه ليس يزول وهو يطوف

وقال ابن لؤلؤ الذهبي في مشيب الزهر:

ما نظرت مقلتي عجيبا كاللوز لما بدا نواره
اشتعل الرأس منه شيبا واخضر من بعد ذا عذاره

وقال الشاب الظريف محمد بن العفيف:

لئن شاب زهر اللوز طفلا وقتم
بأن مشيب الطفل ليس يجوز
فلا تعجبوا أن شاب في غير وقته
فكم نفخت يوما عليه عجز

واللوز بدمشق أصناف: منه الجبلي، قسطاسي، عربيلي، عقابي، بندقي،
شحمي.

قال مسيح [بن الحكم]: إذا أكل اللوز العاقد بقشره الاخضر الطري دبغ اللثة
والفم وسكن ما فيهما من الحرارة بالبرودة والعفاسة والحموضة التي في قشرة الخارج
قبل أن يصلب ويشدد. وإذا أكل اللوز القلب الاخضر من غير قشر وهو طري اصلح
المعدة وجلا الاعضاء الباطنة ونقاها واعان على قذف الرطوبات.

وقال جالينوس: في السادسة والمر في الدرجة الثالثة فالحلو قوته قوة ملطفة يفتح
السدود الحادثة في الكبد عن الاخلات الغليظة، ويجلو النمش، ويعين على نفث الدم
والاخلات الغليظة اللزجة في الصدر والرئة، ويشفي الاوجاع الحادثة في الاضلاع
وفي الطحال وفي الكليتين والقولنج، ويؤخذ من أصل شجرة اللوز فيطبخ ويوضع
من خارج على الكلف فيدهنه.

وقال ابن الجوزي: اللوز الحلو حار رطب يسمن ويقوي البصر ويفتح السدد

خصوصاً المر. وإذا اكل بالعسل أو السكر أسرع الانحدار، وخلطه لطيف، وينفع أصحاب السعال، وسويقه ثقيل. واللوز المرّ حار يابس يزيل الكلف والآثار والنمش وفي اللوز الأخضر يقول ظافر الحداد:

جاء بلوز أخضر أصغره ملء اليد
كأنما زبيره نبت عذار الامر
جواهر لكننا الـ أصداف من زبرجد

وقال القاضي السعيد هبة الله بن سنا الملك في اللوز الذي بقلبين:
ومُهدِ الينا لوزة قد تضمنت
لناظرها قلبين فيها تلاصقا
كأنهما حبان فازا بخلوة
على غفلة من حاسد فتعانقا

ونقلت من خط الرضي المرتضى محب الدين الزرعي قوله:
قم زوّج الصهباء يا ابن السما ولو لحاك العاذل الفاسد
أما ترى الورد أتى شاهدا واللوز في أغصانه عاقد
ونقلت من خط ابن حبيب الحلبي قوله وهو المقدم:
تزويج بنت الكرم بابن المزن قد
نظمت قلائده فقم ياراقد
فالطير يخطب والزهور شهوده
واللوز ما بين الكمائم عاقد

ومن محاسن الشام (مرج الشيخ رسلان) أعاد الله علينا وعلى المسلمين من
بركاته، واجرى علينا من صالح كراماته وفيه أقول:

يا من غدا قلبه قاسيا قم لولي صادق البرهان
وقف بذل وانكسار وقل بمدمع يا سيدي رسلان

وهو يشتمل على أنهار وأشجار ونواعير لها مع النسيم رشاش، وغالب تلك الاراضي تزرع الخشخاش.

الخشخاش

وفيه يقول الموصلي:

وزهر خشخاش بدا احمرًا كأنه في رونق وابتهاج
اقداح بلور وقد اترعت من خمرة لم تختلط بالمزاج

ومن تشابهه ابن دمرdash قوله:

ولما بدا الخشخاش في الروض مزهرا
وقد نظرت شذرا اليه الحقائق
حكى قلعة ابراجها مستديرة
مشرفة دارت عليها الصناحق

وقال منشئه البدري:

خشخاشنا الناشف في قشر له لما حضر
حكى دبائيساً أتت حملا بايد للتر

والخشخاش بارد يابس ابيضه اصلح من اسوده يجلب النوم ويمنع النزلة وينفع السعال الحار والنوازل الى الصدر ومن نفث الدم ورطوبات المعدة خلطه غليظ وانفع ما اكل بالسكر أو العسل والاسود رديء مخدر يورث السبات الا ان اجود الاسود المصري وهو ينقي الصدر. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ومن محاسن الشام (الوادي التحتاني) وهو شرقي (مرج الشيخ) وهو يشتمل على غياض ورياض، فالرياض هي رياض السفرجل وفيه يقول القيراطي:

فؤادي الى بانات جلق مائل ودمعي على انهارها يتحدر
فوافي الى زهر السفرجل شيقا اذا ما بدا مثل الدراهم ينثر

غياض يفيض الماء في عرصاتها فتزهو جمالا عند ذاك وتزهو
تري بردى فيها يجول كأنه وحصباؤه سيف صقيل مجوهر
ومن رقيق شعر يحى الخباز قوله :

زهر السفرجل بالجميل رأيت
قد فاق زهر اللوز في الاوصاف
هذاك ينثر للنديم دراهما
ونثار ذا بخفايف الانصاف

وهنا نكتة لطيفة وهو ان الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة قدم الى دمشق في ايام
السفرجل فاضافه الشيخ جمال الدين يوسف بن غانم في (الوادي التحتاني) لأجل
رؤية زهر السفرجل فصادف نهار حر وقيظ شديد فانشد الشيخ جمال الدين محمد بن
نباتة المصري :

قد اشبه الحمام منزل لهونا فالماء يسخن والازاهر تحلق
فلذاك جسمي منشد ومصحف عرق على عرق ومثلي يعرق

فأجابه الشيخ جمال الدين يوسف بن غانم يقول :
ما اشبه الحمام منزل لهونا الا لمعنى راق فيه المنطق
فالدوح مثل قبابه والزهر كال جامات فيه وماؤه يتدفق

سفرجل دمشق

ومن الفوائد ان ازهار الفواكه لم يؤكل منها سوى زهر السفرجل لحلاوته
وعطريته . وهو اصناف بدمشق : برزي . قصبي . سالمي . صيني . رقي . عباسي .
تفاحي . ابو فروة . مجهول .

قال ابن الجوزي : السفرجل بارد يابس ويقال رطب جيده البالغ الكبار ، يسر
النفس ويدبغ المعدة ويقبض ويقوي ويمنع سيلان الفضول الى الاحشاء ويدبر البول

غير انه يحرك القولنج ان اكل قبل الطعام وان اكل بعده لين . ودفع مضرته بالرطب المعسل . والسفرجل المشوي اخف وانفع وطريقته ان يقور ويخرج حبه ويجعل فيه العسل ويطين خرمه ويودع الرماد . يتولد عنه خلط بارد وتوافقه الامزاج الصفراوية وأما السفرجل فأشد تقوية للمعدة وأقل حبسا للطبيعة وكثرة أكله تولد وجع العصب وحبه ينفع من خشونة الحلق ويلين قصبة الرئة ولعابه يرطب يبسها .

وبالاسناد عن طلحة بن عبيدالله قال : اتيت النبي ﷺ وهو في جماعة من أصحابه ويده سفرجلة يقبلها أو قال يقبلها^(٢٩) فلما جلست اليه وجاء بها نحوي قال «دونكها ابا محمد فانه يشد القلب ويطيب النفس ويذهب بطخاء الصدر» وقال ابو عبيد الطخاء أي سحاب وظلمة .

وفي حديث آخر انه قال عليه الصلاة والسلام «اذا وجد احدكم طخاء على قلبه فليأكل السفرجل» .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «كلوا السفرجل على الريق» . انتهى .

وفيه يقول ابن تميم وأحسن :

حاز السفرجل أوصاف الورى فغدا
على الفواكه بالتفضيل مشكورا
كالراح طعما وشم المسك رائحة
والتبر لونا وشكل البدر تدويرا
ومن أوصاف الطغرائي قوله فيه :
وسفرجل عني المصيف بحفظه
فكساه قبل البرد خزا أصفرا
يحكي نهود الغانيات وتحتها
سرر لهن حشين مسكا أذفرا

(٢٩) لعله «يقبلها» .

ومن تشابه الصنوبري قوله:

لك في السفرجل منظر تحظى به
وتفوز منه بشمه ومذاقه
يحكي لنا الذهب المصفى لونه
وتزيد بهجته على اشرافه
والشكل من أعلاه يحكي سفله
ثدي الكعاب الى مدار نطاقه
والشكل من سفلاه يحكي سره
من شادن يزهو على عشاقه

وقال بعضهم:

حكى سفرجل دوح حوى جميع المعاني
كأنه حين يبدو على ذرى الاغصان
رؤوس أطفال روم لطخن بالزغفران

وأما الغياض فهي غياض الحور، وهو في علو السواري خالص الاعتدال ورقه
بوجهين أخضر وأبيض له مع النسيم حفيف لطيف بساق أبيض صقيل ترتاح
الانفس اليه.

وفيه يقول شهاب الدين المنصوري:

كأن الغصون المائلات عرائس
تثنين عجبا في ملابس اطلس
كأن قدود الحور حور وقد غدت
تشمّر عن ساق لدى الحوض املس

وبه (غيزة السلطان) وحورها لا يستطيع الانسان أن يدخل فيما بينه لانضمامه
ولئلا يضل عن الطريق كأنه سكب بقوالب من الشمع.

متنزه ست الشام

وبهذا الوادي متنزه يقال له (ست الشام) وهو مرجة خضراء ما بين هذه الغياض
وبها عين تجري بماء بارد عذب .
ابن حجة :

نقول (ست الشام) لما غازلت	بعينها فأنعشت حياتي
وانشقت بمرجها وأبرزت	نثرا حلا لانه نباتي
خذني بغير ضرة فاني	بديعة في الحسن والصفات
واستجلني عروسة يتيمة	شامية وعش بلا حمة

ومن محاسن الشام . . . وأوله منتهى (الوادي التحتاني) وآخره (البحرة) يقال انه
يشتمل على ثلاثمائة وستين قرية تزرع الغلة والحبوبات وفي الغالب الشعير.
وفيه يقول ابن ظافر الحداد :

كأن سنابل حب الحصيد	وقد شارفت حين إبانها
كنايس مظفورة ربعت	وارخي فاضل خيطانها

ومن محاسن السلامي قوله :

يا حبذا سنبله	تبدو لعين المبصر
كأنها سلسلة	مظفورة من عنبر

و (البحرة) اليها ينصب ما يفضل من مياه أنهار دمشق ومنها صيدها من السماء
والماء من الطيور والاسماك صيفا وشتاء .

ضمير وبطيخها الاصفر

ومن محاسن الشام (ضمير) وهي من القرى القديمة اتخذها اليونان .
واليها ينسب البطيخ الضميري الاصفر ومن اصنافه السمرقندي ، والسلطاني ،
والشمام .

والبطيخ مشتق من التبطن واسترخاء الجلد ولين الجسم تحت يد الغامز. ويقال فيه طبيخ وهي لغة فصيحة لانه من الطبخ وهو النضج الذي يتهيج له التماسك وقد يكون لا فراط الرطوبة المفسدة لجوهر الجسم، قاله صاحب (معاينة العقل في معاناة النقل). انتهى.

وقال (جالينوس) البطيخ الاصفر في الثانية النضيج وجوهره جوهر لطيف وغير النضيج جوهره جوهر غليظ وفيهما جميعا قوة تقطع وتجلو ويدران البول ويصفيان ظاهر البدن وخاصة ان عمد الانسان الى بزرها فجففه ودقه ونخله واستعمله في الحمام ومعلك به بدنه.

وقال (ديسقوريدوس) قشره اذا وضع على العين سكن ورمها وان وضع على نوافيخ الصبيان نفعتهم من الورم العارض في ادمغتهم. وبزر البطيخ اجلى من لحمه حتى انه ينفع الكلى التي يتولد فيها الحصى. والخلط المتولد من البطيخ خلط رديء.

وقال (ابن الجوزي) في لفظة (رطب) يفتت الحصى وهل هو حار ام بارد فيه قولان، جيده السمرقندي، منفعته يجلو البشرة ويقطع الكلف والبهق الرقيق عن الجلد. وبزره اقوى جلاء من جلده. مضرته يرخي الجسد ويولد الريح، رفعها بالسكنجبين الصرف. يصلح للامزاج المعتدلة والكهول في الخريف. وأضر ما اكل على الجوع لا سيما اذا نام الانسان عقبه على الجنب الايمن والمشي بعده صالح، واذا اكثر منه ولد هيضة لانه سريع الفساد في المعدة سريع الاستحالة الى ما يصادفها.

وقال (أرسطو): اذا فسد في المعدة البطيخ كان شبيه السم فليتناياه، وبزره الشربة منه ثلاثة دراهم، فانه يزيد في الباه.

وبالاسناد عن امية بن زيد العبَّسي ان النبي ﷺ كان يحب من الفواكه العنب والبطيخ.

(فائدة) عن ابي مسهر قال: كان ابي اذا بعثني اشترى البطيخ قال يا بني اعدد الخطوط التي فيها فان تك فردا فخليق بها أن تكون حلوة.

وفيه يقول المشد:

يا حسن اصفر بطيخ مذاقته كالشهد ضيف بما ورد وكافور
مثل الدنانير في لون وفي زنة وفي خشونة حبات وتدوير
ومن بديع الابیوردي قوله فيه:

من رأى اشباح تبر ملئت من ريق نحله
فاجتليناها بدورا وقطعناها اهله

من تفنن ابي طالب بن عبد السلام بن أكبر المأموني:

مخططة مثل الاكف كأنها

من الجزع كبرى لم ترض بنظام
لها حلة من جلنار وسوسن

مغمدة بالآس غب غمام
تمازج فيها لون حب وعاشق

كساه الهوى والبين ثوب سقام
وابدى لها التحزيز تخضيب كاعب

غلامية ذات اعتدال قوام
رياضية مسكية عسلية

لها لون ديباج وعرف مدام
إذا فصلت للأكل كانت أهلة

وان لم تفصل فهي بدر تمام

والبطيخ المخطط الاصفر وهو المسمى في الشام بالشمام وفي مصر يسمونه اللفاح وهو نوع صغير مستدير مخطط بحمرة وصفرة على شكل الثياب العتابي وهو في طبعه ومزاجه متوسط بين البطيخين الا أنه أقل رطوبة من البطيخ الهندي وأغلظ من البطيخ الخفيقي ورائحته باردة طيبة مسكنة للحرارة جالبة للنوم، ولأجل ذلك ظنت عامة المصريين انه نوع من اللفاح الذي هو ثمر اليربوع. والله تعالى أعلم.

وفيه يقول كشاجم:

للأنف والعينين في يربوحه لون المحب وعطرة المعشوق
صفراء طيبة النسيم كأنها بلورة محشوة بخلق
ولأبي طالب فيه:

ومصفرة فيها طرائق خضرة
كما اخضر مجرى السيل من صيب المزن
كحقة عاج زيننت بزبرجد
حككت قطع الياقوت في غلف القطن

وقال ابن المعتز في اللفاح:

انظر الى اللفاح في شكله وحسنه المبدع النقش
مثل عروس خضبت كفها لم تعلق الحناء بالغش

وقال فيه ظافر الحداد:

اهدى اليّ الظبي لفاحة قد ضمخت بالمسك والعنبر
كأنما اللفاح في كفه سبيكة من ذهب أحمر

ومن محاسن الشام (برزة) وهي من متنزهات دمشق التي يرحل اليها وهي شمال
ضمير وبها مقام نبي الله ابراهيم الخليل عليه السلام وقد تقدم سبب تسميتها برزة (٣٠)
وما أحسن قول الشيخ محمد بن نباتة:

طاب مقام المرء مع شادن برزت العيش به برزه
وساعدتني الراح لما اثني ولان بعد المنع والعزه
فيالها من ربوة خلفه قد أطلعتني فوقها المزه

(٣٠) اطر ص ٢٠.

تين دمشق

واليها ينسب التين البرزي . والتين أصناف: وهو مزي، برزي، ماسوني، رومي، بعلبكي، كعب الغزال، غريب، طيفور؛ شتوي، جبلي، حفيراني، ملكي، عسيلي، مكتّب، مجهول، ورق الطير.

قال (ديسقور يدوس): التين يجلب العرق ويقطع العطش ويسكن الحرارة. واليابس منه مغذ مسخن ومعطش ملين للبطن، ليس بموافق لسيلان المواد الى المعدة والامعاء وموافق للحلق وقصبة الرئة والمثانة والكلى ومن به ربو والذين تغيرت ألوانهم من أمراض مزمنة والذين يصرعون والمجانين.

وقال (جالينوس) في الثامنة وأما التين اليابس فقوته حارة في الدرجة الاولى عند انقضائها وفي الثانية عند مبدئها وله لطافة وبهاتين الخصلتين صار يفي بانضاج الاورام الصلبة ويحللها وقد ينبغي اذا قصدت في استعمالك اياه أن تخلط معه الحنطة في الانضاج ودقيق الشعير للتحليل. والتين اللقيم أكثر انضاجا والماء الذي يطبخ فيه التين طبخا كثيرا فانه يصير شبيها بالعسل في قوامه وقوته معا والتين الطري قوته ضعيفة بسبب ما يخالطه من الرطوبات والنوعان جميعا من اليابس والطري يطلقان البطن. وأما التين البري فقوته حارة محلله، وكذلك التين البستاني اذا لم ينضج، ومزاج شجرة التين حار كما يدل عليه عصارة ورقه فان كل واحد من هذين يسخن اسخانا شديدا وكل واحد منهما يلذع ويجلو جلاء قويا ويحدث في البدن قروحا ويفتح أفواه العروق التي في المقعده ويقلع الثآليل وينثرها نثرا وهو مع هذا يسهل البطن. وقضيب شجر التين له حراقة ولطافة مزاج بحيث انك اذا وضعته على اللحم اليابس في القدر يهرية.

وقال صاحب (اللقط): التين حار رطب منفعة انه يجلو دمل الكلى والمثانة ويؤ من السموم وهو أغذى من جميع الفواكه. ومضرته أن يحدث نفخا وغلظا دفع مضرته بشراب السكنجبين واستعماله على الريق منفعة عجيبة في تفتيحه مجاري الغذاء خصوصا مع الجوز واللوز. والتين اليابس ينفع الصدر ويجلو. وشراب التين يدر

البول وينفع السعال المزمن وأوجاع الصدر وأورام القصبة والرئة ويفتح السدد والكبد والطحال. وورق التين الاسود بماء المطر يسود الشعر.

وبالاسناد الى النبي ﷺ انه اهدي اليه طبق من تين فأكل منه وقال لاصحابه :
كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها
فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس . انتهى .

وما أحسن قول ابن خفاجة :

وسود الوجوه كلون الصدود	تبسمن تحت عبوس الغبش
اذا ما تجلى بياض الضحى	تطلعن في وجهه كالنمش
كأنى أقطف منها ضحى	ثدي صغار بنات الحبش
ومن تشابه ابن المعتز قوله فيه :	

أهلا بتين جاءنا	مبتسما على طبق
يحكي الصباح بعضه	وبعضه يحكي الشفق
كسفرة مضمومة	قد جمعت بلا حلق
وقال مؤلفه البدرى رحمه الله تعالى :	

نوافج المسك حكى	تينا تراه في الغلس
أو فم ظبي سال منه	الريق لما ان نعس
ومن الغاز الصلح الصفدي قوله :	

أي شيء طاب أكلا	ناعم في الحلق لين
كيف يخفي عنك يوما	وهو في التصحيف بين
ومن محاسن الشام (القابون) وهي حسنة الماء والهواء وهما قابونان فوقاني وتحتاني	
وبها ارض (مصطبة السلطان) وهي مصطبة في قدر فدان يصعد اليها في نيف	
وعشرين درجة من جهاتها الاربع وفيها قصر حسن البناء ينزل به الملوك والسلاطين	
عند توجههم الى الاسفار.	
والى هذا القابون ينسب الخيار.	

خيار دمشق

قال اسحق بن سليمان : الخيار ابرد وأثقل واغلظ من القثاء لانه في آخر الدرجة الثانية وبرودة القثاء في وسطها ولذلك صار الخيار أشد تبريدا وتطفئة ومن قبل ذلك صار فعله في توليد البلغم الغليظ والاضرار بعصب المعدة ويفججها أكثر من فعل القثاء لانه أثقل وأبعد انهضاما وأكثر اتعابا للمعدة، فإذا عسر انهضامه، وبعدت استحالته، تولد عنه الخلط البارد الغليظ، لان سائر الفواكه اذا عسر انهضامها وبعدت استحالتها تعفنت وولدت خلطا رديئا مدموما شبيها بكيفية الادوية المسمومة، واسبقها الى ذلك وأخصها به الخيار لانه اعسر انهضاما بالطبع. والمختار منه ما كان جسمه صغيرا وحبه رقيقا غزيرا متكاثفا. وأفضل ما يؤكل منه لبه فقط لانه أسرع انهضاما وأسهل انحدارا.

وقال الغافقي : يوافق الكبد والمعدة الملهبتين. ولبه الطف من لب القثاء واذا أكل اليسير منه طيب النفس.

وقال أمين الدولة بزر الخيار بارد في الثالثة نافع من احتراق الصفراء ومن الورم في الكبد والطحال ومن أوجاع الرئة الحارة وقروحها.

وقال ابن الجوزي : أبرد مزاجا من القثاء وهو رديء للمعدة يهيج القيء ويحدث وجع الخاصرة وينبغي لآكله أن يتبعه بالعسل.

وقال الرازي : الخيار المخلل مبرد مطف جدا بمقدار حموضته وعتقه الا انه طويل الوقوف في المعدة وينبغي أن لا يؤكل مع الالوان الغليظة ويؤكل مع الاسفيداجات وان سقيت امرأة من قشر الخيار اليابس وزن أربعة دراهم نفع من عسر الولادة. والله أعلم.

وما أحسن قول عسى العالية فيه :

خيارة أهديت الينا	من كف من يجلب السرورا
كأنها اذ قطعتُ منها	كافورة ألبت حريرا

قثاء دمشق

القثاء بارد رطب ينفع الحميات المحرقة ويسكن الحرارة والصفراء والعطش ويدر البول ويحدث وجع الخواصر رديء الكيموس يهيج لمن داوم عليه الحميات.

وقال الرازي في كتابه (دفع مضار الاغذية): القثاء اخف من الخيار واسرع نزولا وهو أيضا يبرد ويرطب وليس يسخن البدن بل كثيرا ما يبرد اصحاب الامزجة الحارة ولا يحتاج المحرورون الى اصلاحه الا ان يكثرؤا منه. وقد يصلح ما تولد منه في البطن من الثقل والنفخ الجوارش الكموني والسفرجلي ونحوهما. والقثاء والخيار والقرع من طعام المحرورين ويضر المبرودين وينبغي ان لا يكثرؤا منه ويتلاحقوا ضرره بالشراب القوي.

وفيه يقول ابن المعتز بالله:

انظر اليه انابيا منضدة	من الزبرجد خضرا ما لهاورق
اذا قلبت اسمه بانث محاسنه	وصار مقلوبه اني بكم أثق

ومن لطائف السلامي قوله:

وقثاءة مثل هلال السماء	ولكنها البست سندسا
عراقية لم يذب جسمها	هزالا ولم تحس فيمن حسا
زبرجدة حسنت منظرا	وكافورة بردت ملمسا
على رأسها زهرة غضة	كنجم الظلام اذا عسعسا
جاء بها مغرس طيب	من الارض اكرم به مغرسا
لها اخوات لطاف القدود	اذا ما تبرجن خضر الكسا
محجبة عن شمس النهار	بأردية كنسيم المسا
تقوس في حين ميلادها	ولم ار ذا صغر قوسا
يطول اللسان باطرائها	ويصبح من ذمها اخرسا

ومن محاسن ابن خطيب داريا قوله في الفقوس:

شبهت حين بدا الفقوس مبتهجا
على الرياض وحب فيه ماسور
مخازن من لجين لف ظاهرها
بسندس حشوها حبات كافور

مواطن آدم وحواء

ومن محاسن الشام (بيت لها والعنابة) ومن الناس من يقول (بيت الآلهة) وهو مكان مبارك يزار ويقال ان حواء عليها السلام كانت مقيمة بهذا المكان . ونقل بعض المؤرخين قال : كانت حواء عليها السلام في (بيت لها) وآدم عليه السلام في (بيت أبيات) وهابيل في (سطرا) وقابيل في (قينية) .
فائدة عن عبد الرحمن بن يحيى بن اسماعيل بن عبد الله بن ابي المهاجر قال كان خارج باب الساعات صخرة يوضع عليها القربان فما تقبل منه جاءت نار فاحرقته ومالم يتقبل بقي على حاله وكان هابيل صاحب غنم وكان منزله في (سطرا) وكان قابيل صاحب زرع وكان منزله في (قينية) وكان آدم في (بيت أبيات) وكانت حواء في (بيت لها) فجاء هابيل بكبش سمين من غنمه فجعله على الصخرة فاخذته النار وجاء قابيل بقمح غلته فوضعه على الصخرة فبقي على حاله فحسد قابيل وتبعه في هذا الجبل يريد قتله حتى صار من أمره ما صار .

قال بعض المؤرخين وهذه الصخرة هي الآن في الجامع عند باب جيرون بالقرب من (حاصل الزيت) وهي صخرة سوداء (٣١) مقرورة . انتهى .

واما (العنابة) فهي محلة الآن تشتمل على دور وقصور والسبب في تسميتها ان كاهنا في زمن الروم كان يتعبد في صومعة بتلك الارض فحصل له علة اشرف منها على الهلاك فنزل عنده تاجر من تجار الروم ومن جملة متجره خمسة احمال عناب ،

(٣١) لا تزال هذه الصخرة موجودة في مسجد دمشق على هذه الصفة الى اليوم ، والناس يذكرون انها صخرة القربان .

فحلها ونشرها ، وكانت دمشق محلة من العناب وليس يوجد بها حبة عناب ، فصار هذا الكاهن يتناول منه وقد طاب له . فلما أصبح جاء اليه الطبيب فوجده قد نصل من تلك العلة ووجد الكاهن في نفسه نشاطا فقال له ما الذي استعملت البارحة قال الشيء الفلاني ونسي ان يذكر له العناب فقال الطبيب ولعلك استعملت عنابا قال نعم ومن اخبرك بذلك قال لعلمي ان علتك هذه لا يرثها سواه وهو معدوم واختشيت ان اعلق خاطرك به . فزرع الكاهن الارض التي حول صومعته جميعها عنابا وتقرب بها في كل من احتاج منها الى شيء يأخذه حتى يقال ان في الاسلام وجد من ذلك العناب فرد شجرة وبني ما حولها فسميت تلك المحلة بها والله تعالى أعلم .

عناب دمشق

العناب حار رطب في وسط الدرجة الاولى والحرارة فيه اغلب من الرطوبة ويولد خلطا محمودا اذا أكل او شرب مأؤه ويسكن حدة الدم وحرقته وهو نافع من السعال ومن الربو ووجع الكليتين والمثانة ووجع الصدر . والمختار منه ما عظم حبه وان اكل قبل الطعام فهو اجود .

وقال الاسرائيلي رطبه يتولد عنه دم بلغمي وهو افضل من يابسه واذا كان نضيجا لين الطبيعة ولا سيما اليابس منه واذا كان غضا عفصا حبس الطبيعة وسكن هيجان الدم وحدته وليس بمسكن للدم الغالب عليه الرطوبة .

وقال الشريف : العناب اذا جفف ورقه وسحق ونثر على الاكلة نفع من ذلك نفعا لا يبلغه غيره من الدواء وشرابه بارد رطب يصلح مزاج الدم ويلطفه من احتراق وينفع من احتراق الكبد وخشونة الصدر ووجعه والسعال اليابس والحصبه والجدري . وصفته يؤخذ مائة حبة يترك عليها خمسة ارطال ماء يغلي حتى ينضج العناب ويصفى من الماء ثلاثة ارطال ويضاف اليه ثلاثة اسنان سكر وبياض بيضتين مضروبة بالماء ويرفع على النار ويحرك حتى ينحل السكر فاذا صار له قوام حط . انتهى .

وفيه ألغز الأمير سيف الدين المشد:
وأحمر اللون قان يعزى اليه الخضاب
ما فيه عين وناب وفيه عين وناب
ومن معاني ديك الجن قوله بقافيتين:
كأنما العناب في دوحه لما تناهى حسنه وابتسم
اقراط ياقوت تبدت لنا أو أنمل قد قرطت بالعنم
ابن سهل الاشبيلي قبل اسلامه في العناب الاخضر:
هات اسقني القهوة في سبتنا
فان يوم السبت يوم السرور
أما ترى العناب في دوحه
كأنه رطب قلوب الطيور^(٣٢)

أراضي سطرا ومقرى

ومن محاسن الشام ارض (سطرا ومقرى) وهما من الاراضي الطبية الفيحاء.
وفيها يقول جلال الدين بن خطيب داريا:

خلي لي ان وافيتما الشام بكرة
وعايتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا. واقراء عني كتاباً كتبه
بدمعي لكم مقرى ولا تنسيا سطرا

وفيها يقول ابن عنين:

(٣٢) يشير الى البيت المشهور:

كان قلوب الطير رطباً وياساً
لدى وكرها العناب والحشف السلي

الا ليت شعري هل ابتن ليلة
وظلك يا (مقرى) عليّ ظليل
(دمشق) فلي شوق اليها مبرح
وان لج واش أو الحّ عذول
بلاد بها الحصباء در وترها
عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها مأوها وهو مطلق
وصح نسيم الروض وهو عليل
وتلطف شيخ الشيوخ بقوله:
قالوا اما في جلق نزهة تنسيك من أنت به مغرى
يا عاذلي دونك من لحظة سهما ومن عارضه سطرأ

متنزه اليلك

وبينها متنزه يسمى باليلكي، يجتمع فيه الناس ايام زهر السفرجل ويسبون الماء
تحت اشجاره ويوقدون في ظلمة الشهر قشور البيض ويطلقونها في الماء ويعلقون
قشور النارج موقدة في الاشجار ويضربون الخيام في بستان الحاجب ويقطعون فيه
أوقاتا من اللذة والانشراح يعجز الوصف عنها.

وفيه يقول الشيخ علاء الدين بن المشرف المارديني:
انظر الى يلك زهت ازهاره وزره فالزورة قد تعينت
اشرقت الارض بنور ربه وأخذت زخرفها وازينت
وأنشدني بدر الدين محمد الازهري الناسخ المعروف بفليفل فيه:
لله من يلك بديع حسنه قد ضم شملي بالذي اهواه
ما زال يفرش لي بساطا أخضرا فرعى الاله رياضنه وكلاه
وفيه يقول ابن قرناص:

ويلك قد بدت فيه معان تطيب بها الندامى والمدام
يسامرك النسيم اذا تغنت حمائمه ويسقيك الغمام
ومنه قوله فيه :

قد أتينا نبغي زيارة يلك قد حباننا بالجود والاكرام
ناولتنا ايدي الغصون ثمارا أخرجتها لنا من الاكمام
ومن محاسن الشام أراضي المزارع وهي خضرة مع الفلاة وكثرة المياه . ومن
خصوصياتها الهليون .

الهليون

قال ابن البيطار في مفرداته الهليون ورقه كورق الشبث ولا شوك له البتة وله بزر
مدور اخضر ثم يسود ويحمر وفي جوفه ثلاث حبات كأنها حب النيل صلبة ، منه برّي
كثير الشوك وهو الذي يسمى بعجمية الاندلس أسرعين .
وقال جالينوس في السادسة وقوته قوة تجلو وليس لها اسخان ولا تبريد ظاهر ،
ولذلك صار يفتح السدد من الكبد والكليتين .
قال ديسقوريدس : واذا سلق سلقه خفيفة واكل لين البطن وادرّ البول . واذا
طبخت اصوله وشرب طبيخها نفع من به عسر البول أو يرقان ومن به عرق النساء
ووجع الامعاء .

قال ابن ماسويه : ويزيد في الباه ويفتح السدد التي تعرض في الكبد والكلى ،
وينفع من به وجع الظهر العارض من الريح والبلغم وينفع من وجع القولنج
قال الرازي : وربما غشى ولا سيما اذا لم يسلق . وليس يحتاج المبردون الى
اصلاحه وأما المحرورون فليأكلوه بعد سلقه وتصفيته بالخل والمرى .

وقال ابن الجوزي في (لقط المنافع) : الهليون حار رطب معتدل يولد المني ويحرك
شهوة الجماع ويدر البول وفيه الجلاء وكذلك يفتح السدد ويؤكل مطبوخا باللحم
ومصلوفا بالزيت والمرى والتوابل وغذاؤه متوسط .

ونقلت من (عجائب المخلوقات) لابن الاثير قال: الهليون قضبان برية ينبت بنفسه في المواضع الندية التي تجمع فيها مياه الامطار، وقد نقل الى البساتين فافلح. وأجوده الغض البستاني المنعطف وهو حار رطب يفتح سددا الاحشاء وينفع عرق النساء مطبوخا وينفع من القولنج البلغمي والريحي وينفع من عسر البول ومن عسر الحبل وينفع لوجع الظهر ويزيد في الباه وبزره جيد لوجع الضرس.

وذكر القزويني قال: حكى لي صديق أربلي قال: بجمال اربل هليون كثير، وكان عامل الناحية يتخذ منه شرابا في كل سنة يبعث به الى صاحب اربل فعمله سنة وبعث به فوقعت الاكراد الحرامية على القفل فنهبوه ورأوا ذلك الشراب في البراني فحسبوه عسلا فأمعنوا في أكله فغلب عليهم الاسهال حتى ضعفوا عن الحركة فمر المسافرون فرفعوا أمرهم لصاحب اربل فارسل اليهم فقبضوا عليهم وأدخلوهم محملين على الدواب، والناس يضحكون منهم ويقولون هؤلاء سكارى الهليون. فتبصر في تأثيره ومنافعه. انتهى.

وفيه يقول كشاجم:

وباقة هليون أتت وهي غضة
فشبهتها تشبيه ذي اللب والفضل
برشق نبال جمعت من زبرجد
مشنفة الاعلى مفضضة الاصل

الطرخون

ومن خصوصياتها الطرخون. قال ابن البيطار: في مفرداته هو نبات طويل الورق دقيق الساق يعلو على وجه الارض نحو من شبر الى ذراع ونصف وهو من بقول المائدة ينهض ويطيب النهكة واذا شرب الماء عليه طيبه.

وقال صاحب (الفلاحة): الطرخون صنفان بابلي طويل الورق ورومي مدور الورق وهو من بقول الصيف وطعمه حريف لذاع في وسط الدرجة الثانية بطيء في

المعدة عسر الانهضام يجفف الرطوبات وينبغي أن لا يكثر منه المبردون وهو يطفىء حدة الدم ويقطع شهوة الباه وعسر انهضامه لكثرة دهنيته فلهذا صار بطيء الغذاء ويختار منه ما كان طريا غضا قريبا من ابتداء النبات لان ذلك اقل لدهنيته ويؤكل معه الكرفس لانه يمنع ضرره ويجيد انحداره وانهضامه.

وقال التميمي الطرخون ينحدر اللهاة واللسان بما في طبعه من الحرافة الكافورية اللطيفة وفي طعمه شيء من طعم العاقر قرحا وقد ينفع مضغه من يكره شرب الادوية المطبوخة فلا يابث في معدته ويدخل مأؤه مع ماء الرازيانج الاخضر في الشراب الهندي المسمى شراب الكدر النافع من فساد الهواء المانع لكون الجذري والحصبة وهو من أنفس اشربة الملوك الهندية وملوك خراسان، وهذا من خاصة ماء الطرخون ويمنع من حدوث الوباء فافهم ذلك.

وقال ابن الاثير: الطرخون متى جعل في اصوله الملح جوده وألقحه.

وعاقر قرحا هي أصل الطرخون الجبلي، وهو حار يابس وفيه قوة مخدرة مجفف الرطوبات اذا مضغ نفع من القلاع ويطيب البوارد اذا ألقى فيها ويقوي المعدة غير أنه يعطش ويحدث وجع الحلق.

الكرنب

ومن خصوصياتها الكرنب، وليس يوجد بالبلاد المصرية، وهو صنفان النبطي وهو المشهور وخوزي وهو غليظ الورق جدا شديد الخشونة. والكرنب النبطي الاندلسي وهو شبيه بالسلق صغير القلوب وأشد رخوصة من القنبيط.

وقال جالينوس: الكرنب في السابعة، وقوته قوة تجفيف اذا أكل واذا وضع من خارج، ولكنه ليس بظاهر الحدة والحرافة بل قوته قوة تبلغ به الى ادمال الجراحات واشفاء القروح الخبيثة والاورام التي قد صلبت وصارت في حد ما يعسر انحلاله. وبزر الكرنب يقتل الدود اذا شرب وقضبان الكرنب اذا احترقت يصير منها رماد

يجفف تجفيفا شديدا حتى أن قوته تكون قوة محرقة، ومن أجل ذلك صاروا يخلطون معه شحما عتيقا ويستعملونه في مداواة وجع الجبين اذا عتق وفي سائر العلل الشبيهة بهذا النوع من الوجع لانه يحلل تحليلا قويا.

وقال ديسقوريدوس: في الثانية ان سلق سلقة خفيفة وانحل سهل البطن وان سلق سلقا جيدا أو سلق مرتين بماء بعد ماء امسك البطن ولقد زرع بمصر فما اكل لمرارته ولا نبت بعد جهد واذا أكل الكرنب نفع من ضعف البصر والارتعاش، واذا اكله المخمور سكن خماره. وعصارة الكرنب اذا خلط بالشراب وشرب نفع من لسعة الافعى واذا خلط بدقيق الحلبة والخل وتضمده به نفع من النقرس ووجع القروح الوسخة العميقة واذا احتملته المرأة مع دقيق الشيلم ادر الطمث. وورق الكرنب اذا دق ناعما وتضمده به وحده أو مع سويق نفع من كل ورم من أورام البدن ومن الاورام البلغمية ومن الحمرة ويبريء الشري والجرب المتقرح. واذا خلط بالملح قلع النار الفارسية ويمسك الشعر المتساقط واذا أكل الورق نيئا مع الخل نفع المطحولين واذا مضغ ومص ماؤه اصلح الصوت المتقطع وزهره اذا عمل منه فرزجة واحتملته المرأة بعد الحبل قتل ما في بطنها.

وقال ارجنجانس: الكرنب ينفع السعال القديم والنقرس اذا صب طبيخه على المفاصل وان أطعم الصبيان نشأوا نشوءاً سريعاً وعصيره ان شرب بالنبذ أيا ما ذهب بوجع الطحال. ورماده يبريء حرق النار ويبريء عصيره الحكة والجرب وان خلط بالزاج والخل وطلي به على الجرب والبرص نفع وأكله يجلب النوم ويصفي الصوت وينفع من عضه الكلب.

وقال الرازي: مرق الكرنب ينفع من السعال ومن وجع الظهر العتيق ووجع الركبة.

وقال مسناوس: أكل الكرنب يحسن اللون وان سلق مرتين ثم طيب بكمون وزيت وملح وفلفل وغلي عليه نفع اصحاب العفر في الامعاء. والماء الذي يغسل الكرنب به او يطبخ فيه ينقي البدن ويخفف الصداع وينقي العينين اللتين يجد فيهما

صاحبها ظلمة من رطوبة أو بخار غليظ ، وينفع الاحشاء ولا سيما الطحال ،
الغليظة ، والذين غلبت عليهم السوداء الا انه ينقي العروق .

وقال ابن ماسويه الكرنب مولد للمرة السوداء والدم العكر وان طبخ باللحم
السمين قلت غائلته . وفي الكرنب الشامي صنف آخر سمي الموصللي وله ورق اخضر
جعل مثل ورق الكرنب الاندلسي غير انه منبسط على وجه الارض وينبت بمقامات
العجوز . وبدمشق كرنب آخر بري ثمره مدور ابيض اللون على هيئة الفلفل الابيض
وهو ينفع من نهش الافاعي ، وعروقه اذا جففت وسحقت وسقي منها وزن درهمين
بشراب ينفع من نهش الافاعي .

وأما القنبيط الذي يدعى عند المصريين بالكرنب فهو اغلظ واقوى وابطأ في المعدة
من الكرنب ، وورقه الناشيء حواليه أقل ضررا وأصلح من جمارته الصفراء الناشئة
في وسطه للمائية الغالبة عليه . واجتنابه كله احمد لتوليد الدم العكر ، والاكثر منه
يضعف البصر ، وهو مطلق للبطن ، كثير البخار يورث احلاما رديئة وسددا ومرة
سوداء ، واصلاح ما يؤكل مطبوخا باللحم السمين ، وبيضه الاصفر الذي يسمى
جمارة يهيج القراقر والنفخ ويزيد في المني .

وقال الطبري القنبيط بارد يابس غليظ عسر الانهضام رديء الغذاء واذا طبخ
بيضه الذي هو ثمره وصب ماؤه ثم اكل بالخل والزيت والمري زاد في المني .

وقال الرازي : لمائه خاصية في منع السكر . وخاصية بزر القنبيط افساد المني اذا
احتملته المرأة بعد الطهر من الطمث .

وقال الاسرائيلي واذا شربه المخمور حلل خماره واذا شرب قبل الشراب منع
السكر . انتهى والله أعلم .

وفيه يقول مؤلفه :

بغضي في قنبيط قد حكى والفكر صارم
الرؤوس من يهود قطعت تحت العمائم

الباذنجان الأحمر

ومن خصوصياتها الباذنجان الأحمر الرفيع والابيض القليل البزر الرقيق القشر.
قال ابن البيطار: اسمه فارسي معرب ويمسي بالعربية الارنب.

قال الرازي : جيد للمعدة التي تقيء الطعام ورديء للرأس والعين يولد ماء اسود يسير المقدار ويتولد عنه كثير القوابي والبواسير والرمد والامراض السوداوية ويفتح سد الكبد والطحال واذا سلق ثم قلي بدهن اللوز ذهب عنه أكثر حذته وحرافته، والمشوي منه أصلح للمعدة التي تقيء الطعام، والمطبوخ بالخل أوفق للمحرورين واصحاب الاكباد الحارة والاطحلة الغليظة.

وقال ابن ماسويه : والاحمد في اتخاذه ان يقشر ويشق ويحشى ملحاً ويترك وقتاً طويلاً في الماء البارد ثم يصب ذلك الماء عنه ويعاد عليه ماء آخر ثم يسلق ويطبخ بالحملان والجدايا والدجاج وان اكل مقلياً بسيرج ويخل ومري يمتص بعد اكله ماء الرمان . وكثرة اكله تولد السرطانات والصلامات والجذام والسهر وتكثر البلغم والبواسير الا ان اقماعه اذا جففت في الظل وسحقت نفعت البواسير بعد ان تطلّى بدهن مسخن.

وقال بعضهم في وصف الباذنجان يشبه انوف الرنج واذناب المحاجم وبطون العقارب وبزر الزقوم . فقليل له انه يحشى باللحم المقلي بالزعفران فقال لو حشي بالتقوى ما افلح ابداً.

وقال الشاعر:

واذا صنعت غذاءنا	فاصنعه غير مندجي
اياك هامة اسود	عريان اصلع كوسجي
وقال مؤلفه البدرى فيه وهو مقل:	

بذنجة شبهتها	لما قلاها واخترم
بسقط زنج راقد	وزند من بعض الخدم

وقال فيه ايضا:

بذنجكم كزنج كواسج في التثام
خضر الطراير هاموا بالرقص تحت الخيام

الكراث

ومن خصائصها الكراث. قال الغافقي الشامي صنفان منه صنف أعناقه طويلة ورؤوسه صغيرة، وصنف منه أعناقه قصيرة ورؤوسه مدورة كبيرة اطيب طعما من الاول هو المسمى بالقفلوط وهو مما يؤكل أصله دون فروعه وهو في الثانية نافخ رديء الكيموس تعرض منه احلام رديئة ويدر البول ويلين البطن ويلطف ويحدث غشاوة في العين ويدر الطمث ويضر بالمثانة المتقرحة والكلى واذا طبخ بماء الشعير اخرج الفضول التي في الصدر وورقه اذا طبخ بماء البحر والخل وجلس النساء فيه نفعهم من انضمام فم الرحم والصلابة العارضة له وقد يسلق سلقين بماء بعد ماء ثم ينقع بماء الورد حتى يحلو طعمه ويقل نفخه

وقال الرازي: يهيج الباه والانعاض وهو أسكن وأقل في الحدة والاعطاش من البصل، وأغلظ جرما وأبطأ نزولا وانضماما

وقال ابن ماسويه^(٣٣) ينفع من القولنج، واذا أكل الكراث أو طبخ نفع من البواسير الباردة وورق الكراث للشامي من خاصيته النفع للرحم التي فيها رطوبة تزلق الولد. وكراث المائدة المسمى عند أهل العراق بالقرط وفي الشام بالبقل وفي الحجاز بالكراث.

وقال ابن اسحق^(٣٤): هو الكراث النبطي ويخرج من تحت الأرض أوراقا ثلاثا دون أعناق في لون ورق الكراث الاندلسي وشكله الا أنه دقيق جدا وما تحت الارض من أصله قدر عقدتين أو ثلاث، أبيض مستطيل غير مستدير؛

(٣٣) في (مفردات ابن البيطار) : «ابن ماسية».

(٣٤) في (مفردات ابن البيطار): ابن مسحون قال علي ابن محمد... الخ.

ديسقوريدوس: والكراث النبطي هو اشد حراقة من الكراث الشامي ، وفيه شيء من قبض ، ولذلك ماؤه اذا خلط بالخل ودقاق الكندر قطع الدم وخاصة الرعاف ، ويحرك شهوة الجماع ، واذا خلط بالعسل ولعق كان صالحا لكل وجع يعرض في الصدر وقرحة الرئة ، واذا أكل نقي قصبه الرئة ، واذا أدمن أكله أظلم البصر ، وهورديء للمعدة ، واذا تضمد به مع السماق قطع الثآليل ويبري الشري ، واذا تضمد به مع الملح قلع خبث القروح واذا شرب من نوره وزن درهمين مع مثله من حب الآس قطع نفث الدم من الصدر

وقال ابن ماسويه : حار في الدرجة الثالثة يابس في الدرجة الثانية ، مصدع ، يولد بخارا رديئاً ويبري أحلاما مرعبة ، ينفع من السدد العارضة في الكبد المتولدة من البلغم وان سلق وطحن وأكل وضمد به البواسير العارضة من الرطوبة نفع منها .
وقال الرازي : مفتق لشهوة الطعام منغط معين على الاستكثار من الباه ، ولا يصلح لاصحاب الامزجة الحارة ومن يسرع اليه الرمد والامتلاء الى راسه .
وقال اليهودي : خاصيته افساد الاسنان واللثة .

قال مونس اذا ضمد به على موضع لسعة الافعى نفع منها .
ماسرجويه وبزره اذا دهنت به المقعدة أذهب البواسير وأكله يخرب الاضراس وينثرها غير انه اذا وجد في الامعاء بلغها أساله ، واذا شرب من بزره ملعقة أحدث انتشارا صحيحاً . انتهى .

وأما الجزر قال ابن الجوزي : حار رطب ، يحرك الباه ، ويدر البول ، بطيء الهضم دفع مضرته انضاجه وفيه نفخ . اصلحه بالخل والمرى والخردل .

ومن تشبيه ابن المعتزل قوله :

أنظر الى الجزر الذي	يحكي لنا لهب الحريق
كمدية من سندس	وبها نصاب من عقيق

الزعر

وبها الزعر . قال ابن الاثير: الزعر نوعان بستاني وبري . وهو حار يابس محلل ملطف، يسكن وجع الضرس اذا مضغ، وينفع من أوجاع الوركين، وينفع الكبد والمعدة ويخرج الديدان، ويدر البول، ويمري ويشهي الطعام، ويحلل الرياح، وقدر ما يوجد منه مثقال واكله ينفع من غشاوة الحادث من رطوبة، ودهنه ينفع الصدر والرئة؛ وينفع من لسع الحيات لا سيما الندي منه وذكروا أن القنفذ وابن عرس اذا تناهشا الافاعي والحيات تعالجا بأكل الزعر البري . والله اعلم .
وفيه يقول ابن وكيع :

زعر بل ادق من أرجل النمل وازكى من نفحة الزعفران
كسطور كسين نقطا وشكلا من يدي كاتب لطيف المعاني

الفجل

وبها الفجل حار يابس محرك الباه رديء الكيموس يهضم ولا ينهضم لانه يهضم بجوهره اللطيف فاذا انحل ذلك الجوهر بقي جوهره الكثيف الذي فيه عاَضيا على القوى الهاضمة لزجا سريعا الى التعفن رديئا للمعدة يدر البول ويجلو المثانة فاذا أكل على الريق ازال البلغم وقوى المعدة لكنه يضر الرأس والاسنان والعين، لكن ماءه يجلو العين واذا طلي بمائه البهق زال ومن طبخ الفجل باللبن والحليب وشربه تنظفت مثانته من الرمل والخصى . والمطبوخ من الفجل يصلح للسعال المزمن العتيق والكيموس المتولد في الصدر، واذا اكل الفجل قبل الطعام لين البطن وانفذ الغذاء، واذا اكل بعده صار الطعام صافيا ولا يدعه يستقر . وماء ورقه يفتح سدد الكبد ويزيل اليرقان وينفع من نهش الافاعي . وان وضعت شذخة منه على العقرب ماتت، وماؤه اقوى من ذلك، وأين لدغت العقرب من أكل فجلا لم تضره . ونور الفجل يحلل الرياح وينفع من النمش الكائن في الاعضاء وآثار الضرب والكلف . ومن أكل بزر الفجل مع العسل ذهب بعض فؤاده . انتهى .

السذاب

وبها السذاب . حار يابس ينفع وجع الصدر ويقاوم السموم ويشرب من يحذر
السم من بزره وزن درهم مع ورقة شراب يجفف ويقطعه ومن أغلى السذاب في
سيرج وطلّى به جسده لم يكن في ثيابه قملة ومن آله خرسه فأخذ ورق السذاب مع
زبيبة سوداء فمضغه سكن .

النعناع

وبها النعناع حار يابس وفيه رطوبة تحرك به شهوة الجماع ويقوي المعدة ويسخنها
ويجود الهضم ويسكن الفواق الحادث عن امتلاء وينفع اليرقان وخصوصا بشرابه وإذا
تركت منه طاقات في اللبن لم يتجبن .

الرشاد

وبها الرشاد حار يابس ملطف يقتل الدود ويحلل الرياح ويقطع البلغم والرطوبة
الا انه يضر المعدة والمثانة .

البقلة

وبها البقلة الحمقاء باردة رطبة تنفع الضرس والصداع الحار تضر المني وتقطع
شهوة الجماع، دفع ضررها بالجرجير تصلح للامزاج الحارة والشباب في الصيف،
وإذا شرب بزر البقلة مع السكر نفع السعال الحار، والاقباط تسميها رجلة .
وفيها يقول السراج الوراق:

وأحمق أضافنا ببقلة

لنسبة بينها ووصله

فمن أقل أدبا من سفلة

قد مد ما بين الضيوف رجله

الاسفاناخ

وبها الاسفاناخ حار معتدل رطب وقيل بارد ينفع من السعال وخشونة الحلق والصدر ويقمع الصفراء والمرار مضرته أنه يسيء الهضم دفعها بمعجون الورد.

الكرفس

وبها الكرفس حار يابس يحلل الرياح ويسكن الاوجاع وينفع من عسر البول ويخرج المشيمة ويهيج الباه وينفع المعدة وبردها والسعال والطحال وينقي الكلى والمثانة ويفتت ويصدع الدماغ الا أن يضاف اليه الخس يصلح للامزاج الباردة والكحول في الشتاء وأكله في الشتاء يذهب البلغم.

السلق

وبها السلق الاحمر والابيض حار رطب وقيل بارد ملين للطبيعة وبه تلطيف يفتح به سدد الكبد والطحال ينبغي لمن يأكله أن يطيبه بالخل والخردل وأصل السلق مولد البلغم لا يوافق المعدة وماؤه يذهب الحرارة من الرأس ويقلع الثآليل . مضرته يحرق الدم . دفعها . . . والمري ينفع من الكلف اذا استعمل ورقه ضمادا بعد غسل الموضع بنظرون ومن طلا رأسه بالسلق زالت الصبيان منه وأسود شعره وتجد وطال .

الهندباء

بها الهندباء باردة رطبة وقيل يابسة جيدها الرطب يقوي المعدة ويفتح سدد الكبد والطحال والاحشاء والعروق ويقطع حرارة الدم ويبرد الكبد الحارة وانفعها للكبد أمرها وماؤها المعتصر ينفع اليرقان الذي من السدد مضرتها تبطيء الهضم ، دفع مضرتها بالرشاد، تصلح للامزجة الحارة والشباب في الصيف .

البصل

وبها البصل . حار يابس وقيل رطب ينفع من تغير المياه ويفتق الشهوة ويهيج الباه ويزيد في المني ويحسن اللون ويقطع البلغم وينظف المعدة إلا أنه يثير الشقيقة ويصدع الرأس ويولد رياحا ويظلم البصر، وكثرة أكل البصل تورث النسيان وتفسد العقل، دفع مضرته الخل واللبن، يصلح الامزاج الباردة، وإذا دق وعجن بالعسل ووضع على الكلف الغليظ والقوابي والبهق الاسود قلع ذلك، وإذا دق ناعماً وطلي به موضع الشعر نفع داء الثعلب، وإن أحرق كان أنفع، وينفع من نهش الحيات والكَلَب الكَلَب

الثوم

وبها الثوم حار يابس سخن مجفف جيده القليل الحدة، ويقوي المعدة، ويسخن المعدة مع البدن، ويقطع البلغم ويحل النفخ، ويصفي الحلق، ويحفظ صحة البدن وينفع من تغيرت عليه المياه، والسعال المزمن، وأوجاع الصدر من البرد، ويخرج العلق من الحلق، وينفع من السموم ويفتح السدد، إلا أنه يهيج الصفراء ويضر الدماغ ويصدع ويضعف البصر والباه، ولا يصلح بأن يأكله معتقل ولا مصدع وخلطه غليظ، والنيء منه يقتل الدود، والمطبوخ ينظف المثانة. ومن أخذ شيئاً مطبوخاً منه أو مقلياً بسيرج وتحمل به أزال الحكاك عنه ونفعه من عرق النساء، ومن أكل الثوم ولدغته العقرب لم تضره وإن طلي مكان اللدغة بالثوم خرج السم من اللسع، وإذا مضغ على سن سكن ألمه، ومطبوخه ومشويه يسكن وجع الاسنان، ورماد الثوم إذا طلي بالعسل على البهق والقوابي نفع، ومن أراد أن يذهب ريح الثوم من فيه فليمضغ دقيق الباقلاء .

الكسفرة والكراوية والكمون

وبها الكسفرة (٣٥) اليابسة حارة مع قبض وقيل باردة (٣٦) تقوي المعدة المحرورة

(٣٥) وردت في كتب النبات والعقاقير بلفظ كسفرة وكسبرة وكزبرة .
(٣٦) هذا قول (ديسقوريدوس) وقد تكلم على ذلك ابن البيطار في لفظ «كزبرة» من مفرداته بمقالة تدل على فضل وعلم

لكنها تولد ظلمة البصر، ولا ينبغي الاستكثار منها لأنها تحرق الدم وتعفنه وتقطع الشهوة وتفسد الدهن والرطوبة وربما قتلت.

وبها الكراوية حارة يابسة تحلل الرياح وتقتل الدود العارض في الامعاء وتسمن وتنفع الخفقان والمغص وترخي الرئة، دفع ضررها بالشعير. انتهى.

وبها الكمون كالكراوية وأقوى في تحليل الرياح، حار في الثانية يابس في الثالثة اذا غسل الوجه بمائه صفاه فان استكثر منه صفر اللون واذا سخن بالخل وشم قطع الرعاف.

القرع

وبها القرع. قال جالينوس السابعة مزاجه بارد رطب، وهو منها في الدرجة الثالثة، ولذلك صار عصير جرادته نافعا من وجع الاذن الحادث عن ورم حار متى استعمله الانسان مع دهن ورد، وكذلك جملة جرم القرع وما دام نيئا فطعمه كريه ومضرته للمعدة عظيمة. وقد رأيت انسانا أقدم على أكله نيئا فاحس في معدته بثقل وبرد وأصابه عليه غثيان وقيء. فاذا سلق فانه يغذو غذاء رطبا وانحداره عن المعدة سريع لرطوبته ولما فيه من الملاسة والتزليق، واذا انهضم فليس خلطه برديء متى لم يسبق اليه الفساد قبل انهضامه والفساد يعرض له من قبل ابطائه في المعدة وعدم انحداره، ومهما اكل معه انقلب خلطه وتشبه به.

وقال ديسقوريدوس: يسكن الاورام البلغمية، واذا طبخ كما هو وعصر وشرب ماؤه بعسل وشيء يسير من نظرون اسهل البطن اسهالا خفيفا.

وقال الرازي: بارد مولد للبلغم وهو طعام المحرورين يطفىء ويبرد ويسكن اللهب والعطش وينفع من الحميات، واذا طبخ بالخل نقص من غلظه ويطو هضمه وكان اشد تطفية للصفراء والدم، الا أنه في هذه الحالة لا يصلح لاصحاب خشونة الصدر والسعال وأما من به سعال وحى فليطبخه مع كشك الشعير ومع الماش المقشر

ودهن اللوز الحلو وليجتنبه المبرودون والمبلغمون لانه يولد فيهم القولنج الغليظ ، وان اكلوه فليأكلوه مطبوخا بالزيت مطيبا بالفلفل وليشربوا عليه الشراب الصريف ، فاذا وضع مع اللبن يصلح منه الخردل ، واذا وقع في الخل فانه يصلح غلظه لكن لا يصلح برودته .

وقال اسحق بن سليمان : اذا لطخ بالعجين وشوي في الفرن أو التنور واستخرج مأؤه وشرب ببعض الاشربة اللطيفة سكن حرارة الحمى الملتبهة وقطع العطش .

وقال حبيش بن الحسن : اذا شرب من مأئه المستخرج بالشيء فيكون مع عشرين درهما من الجلاب اوزن عشرة دراهم من السكر الابيض ، ومقدار ما يشرب منه أربعة آواق الى نصف رطل ولحميته تسقط الشهوة ودهنه في نحو دهن البنفسج جيد للحر والسهر .

وقال اسحق بن عمران : مأؤه يسكن الصداع اذا شرب أو غسل به الرأس ، وقد ينوم من يبس دماغه اذا قطر منه في الانف وهو يلين البطن كيف استعمل ولم يداؤ المبرسمون والمحرورون بمثله ولا أعجل نفعا منه .

وقال الشريف : مأؤه المشوي بالعجين اذا اكتحل به يذهب صفرة العين الكائنة من اليرقان ، واذا اكتحل بماء زهره اذهب الرمذ الحار ، وقشر القرع اليابس اذا أحرق وذر على الدم المنبعث قطعه ، واذا أحرق وسحق وعجن بخل وطي به البرص نفع منه ، واذا قشر حبه ودق واستخرج دهنه انتفع به من وجع الاذان ووجع الامعاء الحارة ومرة الفروج المطبوخة بالقرع منعشة للمغشي عليهم من حدة الاخلاط الصفراوية في الحميات وحراقة قشره اليابس تنفع من قروح الاعضاء اليابسة وهي جيدة لتطهير الصبيان ومن قروح الذكر وتجففها .

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « اذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من الدباء فانه يشد قلب الحزين » انتهى .
وانشدني شيخنا العلامة شهاب الدين المنصور :

يا عين أعينان الزمان ويا . شيخ الشيوخ ومحبي الشرع
ما قرع الباب عليك امرء الا وذاق حلاوة القرع

كمأة دمشق

وبها الكمأة وهي من خواصها. قال ابن البيطار في الثانية وهو أصل مستدير لا ورق له ولا ساق، لونه الى الحمرة يؤخذ في الربيع ويؤكل نيئا ومطبوخا.

وقال جالينوس: في الثامنة قوام جرم الكمأة من جوهر أرضي وهي غليظة الكيموس قليلا الا أنه ليس برديء تورث عسر البول والقولنج واجودها ما كان من موضع فيه رمل قليل والكمأة الحمراء قاتلة واجود الكمأة الشديدة التلرز والاملاس والميل الى البياض وأما المتخلخل الرخو فرديء جدا في المعدة الحارة يولد الاوجاع في أسفل الظهر والصدر ويولد السدد، وماؤها يجلي البصر وادمان اكلها يورث السكته والفالج وهي بطيئة الانهضام وينبغي لآكلها ان يقشرها وينقيها تنقية كبيرة ليصل اليها الماء ويخرج غلظها وربما تدفن في الطين الحار يوما وليلة ثم تغسل ثم تسلقها بالماء والملح والفودنج والسذاب سلقا بليتغا ثم تؤكل بالزيت الركابي والمرى والسعتر والفلفل. واليابسة من الكمأة أبطأ في المعدة وأكثر ضررا وينبغي ان يشرب عليها النبيذ المعسل الصرف ويؤخذ الترياق والزنجبيل.

وقال ابن الجوزي: الكمأة نبات يتولد من عفونة الارض الكثيرة الامطار يولد البلغم الشديد والاسود اشد غلظا يولد السوداء ويفسد النكهة وهي من الاغذية الرديئة لكن ماءها يجلو العين لقول النبي ﷺ «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين» اخرجاه في الصحيحين. انتهى.

وقال الغافقي في مفردات ابن البيطار: ان من أكلها ولسعه شيء من الهوام ذوات السموم مات ولم يخلصه الدواء البتة. انتهى.

اللوبياء والأرز

وبها اللوبياء. قال ابن الجوزي: منه أبيض ومزاجه بارد يابس، ومنه أحمر وفيه حرارة ونفخ، جيده الأحمر يدر البول ويولد خلطا ويغشي ويولد احلاما رديئة رفعها بالزيت والمرى والخردل ومنه غليظ وقليل صاف ينفع الامزاج الباردة اليابسة يصلح للكحول نفخه اقل من الباقلاء.

وبها الأرز، حار قليل بارد منفعته من لذغ المعدة مضرته القولنج لانه يحبس البطن دفعها أن يطبخ بالدهن واللبن. واذا طبخ الارز بعد أن يغسل بدهن اللوز أو السيرج أو السمن أو الالية لم يحبس البطن بل يسكن الوجع العارض في المعدة والامعاء وغذاؤه محمود معتدل يصلح للأمراض الحارة الرطبة، واذا طبخ باللبن الحليب ولد السوداء لتوليده خلطا غليظا لكنه ينفع الباه.

الباقلاء والذرة والدخن

الباقلاء. بارد رطب وقيل يابس، أجوده الأبيض السمين واردة الطري، يحدث الحكمة ويولد البلغم ودفع مضرته بالسعتر والملح ويؤكل بعده الزنجبيل، والباقلَاء تنفع من السعال. مضرته يبلد الحواس دفعها باطالة نقعه وأجادة نضجه وأكله بالفلفل والملح والسعتر مع الادهان لما فيه من النفخ والترهل والنوم والكسل والسدد يولد الاخلاط الغليظة ويرى أحلاما رديئة واذا طبخ بقشره كان أردأ وأكثر توليدا للرياح والباقلَاء وتجلو البهق من الوجه

وفيها يقول القاضي جمال الدين ابو الحسن علي بن منصور الخزرجي صاحب (غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات) وقد سلق قدامه الباقلاء:

وقدر بها تسلق الباقلا	قبيل الصباح لمن قد خمر
أتينا بها وسط زبديّة	فكان كأحسن شيء حضر
فصوص من العاج مطبوقة	لها غلف من أديم البشر

ومن مجون ابن العطار الدنيسري قوله:

شاقني حارس فول زهره حاكي عيونك
وابتغى التعريض قلنا لعن الله قرونك
ومن بديع ابن وكيع قوله:

إن للباقلاء نورا ظريفا
جلّ في الحسن عن بديع مثال
قد حكى ضحوة لنا اذ تبدى .
سرر الروم ضمخت بغوال

ومن بديع المذكور ومقاصده قوله فيه:

فصل الربيع بدا لنا بنسيمه يدعو فتسرع نحوه الخلق
زهر الباقلا به فكأنه^(٣٧) بين الرياض حمائم بلق
ومن تشابيهه الفائقة قوله:

كأن ورد الباقلاء اذ بدا
لناظريه اعين فيها حور
كمثل الحاظ اليعافير اذا
روّعها من قانص فرط الحذر
كأنها مداهن من فضة
اوساطها فيها من المسك اثر
كأنه سوالف من خرّد
قد نبتت سودا لها بيض الطرر

ومن لطائفه قوله فيه:

لي نحو ورد الباقلا لحظ سباني بالدعج
كأنما بياضه يلوح في ذاك البلج
خواتم من فضة بها فصوص من سبج

(٣٧) كذا.

وله رحمه الله تعالى:

كلفت بنور باقلا سبتني
كمائمه فسري فيه فاش
إذا نزل الفراش عليه يوما
حسبت النور افراخ الفراش
وبها الذرة. باردة يابسة مجففة
وبها الدخن- يابس يعقل.

الماش والقرطم والعدس

وبها- الماش. بارد رطب جيده الاخضر الكبار يسهل الاخلاط المؤذية ويلين
الصدر وينفع من السعال مع الحمى ويضعف الاسنان ويولد الرياح بطيء الانهضام
وهو غذاء جيد للمحموم اذا طبخ بدهن اللوز.

وبها القرطم. حار رطب يسهل البلغم ويحلل الاورام الصلبة وينقي الصدر
والصوت ويزيد في الباء، لكنه رديء للمعدة، مقدار الشربة منه خمسة دراهم.

وبها العدس. بارد يابس، جيده الابيض الناضج، يسكن حدة الدم، ويقوي
المعدة، مضرته بالماليخوليا والاعصاب والبصر دمه غليظ وهو عسر الانهضام،
يصلح الامزاج الدموية والشباب في الصيف ويكره لاصحاب السوداء، لانه يتولد
منه خلط سوداوي فيحدث فيهم الوسواس والجذام وحمى الربع ويضر بالعين التي
مزاجها يابس وينفع العين التي مزاجها رطب؛ ومما يدفع ضرره الاسفاناخ والسلق
مع كثير من الأدهان. وينبغي أن يلقي على رطل من العدس سبعة أرطال من الماء
حتى ينضج جيدا.

ولا ينبغي أن يخلط به حلوفانه يولد سددا في الكبد، ومن أكثر من أكله اظلم
بصره لشدة تجفيفه ويقلل البول والطمث فلا يقربه من يقطر في بوله.

السّمسم وبزر قطنونا والترمس

وبها السّمسم . حار رطب دسم مغث . معطش مسقط للشهوة مرخ للحشا عسر الانهضام ، الا أنه يسمن ويحلل الاورام الحارة وهو جيد لضيق النفس والربو . رديء للمعدة . دفع مضرته أن يؤكل بالعسل . ودهن السّمسم هو السّيرج محلل الاورام البلغمية والقولنج وينفع السعال وخشونة الحلق الا أنه رديء لفم المعدة

وبها بزر قطنونا . بارد رطب يجلو ويغسل وينقي ويطفي العطش اذا قلى فان ضرب في الماء حتى يرخي لعابه وشرب اطلق الطبيعة .

وبها الترمس . حار يابس . نفعه يقتل الدود وينفخ سدد الطحال عسر الانهضام يولد خلطا باردا دفعها أن يؤكل بالخل يصلح للامزاج البلغمية والشيوخ في الشتاء وفيه يقول مهيار:

وترمس طاف به	مهفف كالقمر
من اسود وأصفر	واحر وأخضر
فخلته لما أتى	به فصوص جوهر

الحمص

وبها الحمص . حار رطب وقيل يابس والاسود أقوى جيده الكبار ويجلو ويزيد في المني جدا ويفتت الحصى ويحسن اللون طلاء وأكلًا ويصفي الصوت ويفتح السدد من الكبد والطحال ، وينبغي أن يؤكل في الطعام . وطبيخ الاسود بدهن اللوز ويفتت الحصى في المثانة والكلى . وهو رديء لقروح المثانة ورطبه اكثر توليدا للفضول من يابسه وماؤه يحدر الدود وينقي المثانة والامعاء الدقيقة وينفع من وجع الظهر ويخرج الجنين ويدر الطمث . دفع مضرته بالخشخاش والكمون والاسود أنفع . واذا نقع في الخل على الريق وصبر عليه نصف يوم قتل الدود . انتهى .

وفيه يقول الشهابي ابن الاطرش ويعرض بذكر الامير طشتمر حمص أخضر لما عاد من النفي :

لما رجعت الينا من شقة البعد والبين
خلناك تحنو علينا يا حمص اخضر بقلبين

الحلبة

وبها الحلبة . حارة يابسة مليئة للطبيعة اذا اكلت مطبوخة بعد الطعام . ومتى طبخت مع التين اليابس طبخا جيدا ثم صفيت والقى ماؤهما في العسل وطبخ ثانية حتى يصير كالعرق نفع أصحاب السعال العتيق ونقى الصدر والرئة من الخلط الغليظ اللزج .

الخس

وبها الخس . قال ابن الجوزي : بارد رطب ينفع السهر ويولد ماء كثيرا ويجلب النوم وينفع من الهذيان واحراق الشمس للرأس ويقطع سيلان المني . وهو أفضل البقول وأقلها رداءة وأكثرها غذاء سريع الهضم ينفع الامزاج الحادة والاورام الحارة واليرقان وينفع من اختلاف المياه وهو يسكن شهوة الجماع وينفع من كثرة الاحتلام وبزره أشد في ذلك الا أن ضرره يجفف المني ويضر الباه والبصر ويحدث ظلمة ، دفع مضرته الكرفس . والله أعلم .

وفيه يقول مؤلفه البدرى على لسان بعض الظرفاء :

صحبت في الزيه^(٣٨) يوما خلين والجوع مسّا
بفولة جاد لي ذا وذا ببقل وخسّا

(٣٨) كذا .

فضل غرس الأشجار

ومن محاسن الشام أرض الميطور والسيلوق وهما من متنزهاتها ويقال أن أول من غرس بها غراسا بيده سليمان بن عبد الملك وكان يروي عن النبي ﷺ حديثا يقول : قال النبي ﷺ «من غرس غرسا كتب الله له من الاجر بقدر ما يخرج من ثمار ذلك الغرس» وقال النبي ﷺ «نعم المال النخل الراسخات في الوحل المطعمات في المحل» وقال ﷺ «ابتغوا الرزق في خبايا الارض» يعني الزراعة . وقيل لعثمان رضي الله عنه «اتغرس بعد الكبر؟» فقال : «لأن توافيني الساعة وأنا من المصلحين خير من توافيني وأنا من المفسدين» . وقيل لابي الدرداء رضي الله عنه وهو يغرس جوزة «اتغرس وأنت شيخ وهي لا تطعم الا بعد عشرين سنة» فقال : «لا عليّ بعد أن يكون الاجر لي . ومر كسرى بشيخ وهو يغرس فقال «اترجو أن تأكل من ثمرتها» فقال «غرسوا وأكلنا ونغرس فيأكلون» فقال كسرى «زه» وأعطاه اربعة آلاف درهم فقال الشيخ «ان الشجر تدرك وتطعم في سبع سنين وقد أطلعت شجرتي في يوم واحد» فقال كسرى اعطوه اربعة آلاف اخرى .

رجع . ويقال أن سليمان بن عبد الملك كان نهما في الاكل فجاءه بستاني ليضمن بستانه هذا فقال اركب اليه اولا انظر فاكهته ثم نضمنك اياه ثم ركب ودخل البستان فلم يدع به من الثمار الا اليسير حتى ما خلى فيه من البندق الاخضر والفسق الا ما عذب عنه ثم نادى الضامن سليمان وقال للشهود اكتبوا على هذا ضمان هذا البستان فقال البستاني كنت أضمنه قبل دخول امير المؤمنين اليه فضحك منه . ويقال ان قشر البندق والفسق تجمع فجاء قدر مكوك طائفي وفضل عنه (٣٩) .

البندق

قال ابن الجوزي : البندق حار يابس اغلظ من الجوز وابطأ انهضاما ويولد رياحا

(٣٩) كان القصاصون يبالغون أولاً بذكر القصص في هذا الباب تقربا للعباسيين ، ثم خلف من بعدهم خلف تجاوزوا حدود المنطق والعقل في هذا الاغراق واسرفوا فيه .

في البطن الاسفل الا أنه يقوي المعدة والامعاء وخلطه غليظ في الدماغ ويؤكل مع قليل فلفل فينفع من الزكام وينفع من النهوش خصوصا في التين والسذاب وكذلك الجوز.

قال ابن البيطار: في السابعة وفيه من الجوهر الارضي البارد اكثر مما في الجوز وكذلك هو أشد عفوصة منه عند المذاق، وذلك موجود في شجرته وثمرته وقشره.

قال جالينوس: اذا سحق وشرب بالعسل ابرا من السعال المزمن واذا قلي واكل مع شيء يسير من الفلفل انضج النزلة واذا حرق وسحق وخلط بالشحم العتيق من شحم الخنزير أو شحم الدب ولطخ به داء الثعلب نبت فيه الشعر. والبندق المحروق اذا اسحق مع الزيت وسقيت به يافوخات الصبيان الزرق سود أحداقهم وشعورهم ومن اكل البندق قبل الطعام نفع من السموم وهو مقطع للخلط اللزج نافع من النفث الحادث من الرئة.

وفيه يقول بعضهم وابدع:

ولقد شربت مع الغزال مدامة حمراء صافية بغير مزاج
فتفضل الطبي الغرير ببندق شبهته ببنادق من ساج
فكسرتة فوجدت صوفا أحمرأ قد لف فيه بنادق من عاج

الفستق

الفستق حار يابس وقيل رطب وقيل معتدل منفعة للمعدة يقوي فمها ويقوي الكبد ويفتح سددها وينقي الكليتين والمثانة يفتح منافذ الغذاء ويزيد في الباه وينفع من لدغ العقرب وسائر الهوام خصوصا الشامي لكنه يصير الشري دفع مضرته بمشمش يابس والله أعلم. انتهى.

وفيه يقول مهذب الدين الدهان:

وفستقة شبهتها اذ رأيتها
وقد عاينتها مقلتي بنعيم

زبرجدة خضراء وسط حريرة
بحقة عاج في غلاف اديم
وهو مأخوذ من قول الصابي:
زمرد صانه حرير في حق عاج له غلاف
واحسن منه قول ابن المعتز بالله:
زبرجدة ملفوفة في حريرة مضمنة درا مغشى بياقوت
وقال فضل الكاتب وابدع:
وفستق مستلد - من بعد شرب الرحيق
حق من العاج يحوي زمردا في عقيق
ومن لطائف ابن سكرة قوله:

كأنا الفستق المملوح حين بدا
مقشرا في لطيفات الطيافير
والقلب من بين قشريه يلوح لنا

كألسن الطير من بين المناقير
عود وانعطاف الى ذكر سليمان بن عبد الملك. نقل الحافظ بن عساكر في تاريخه
عن عبدالله بن عبدالله بن الحارث قال اخبرنا ان سليمان بن عبد الملك أمر قيم
بستانه ان يحبس على الفواكه لا يجني منها شيئا وأمرني بالركوب معه عند طلوع القمر
من آخر الليل ومن حضر من أصحابه، فلما دخلنا الى البستان انفرد كل منا يأكل حتى
ارتفع النهار ثم صرنا اليه وقد أكلنا قدر الطاقة ونحن نقول هذا القطف العنب
استوى فيخرطه في فيه وهذه التفاحة تضجت وهذه الانجاصة ناعمة وكلما رأينا
نضيجا نشير اليه فيتناوله ويأكله حتى آن الضحى، فأقبل على قيم البستان وقال ويحك
يا شمردل اني قد جعت فهل عندك شيء تطعمنيه. قال نعم عناق حولية حمراء قال
اثني بها بلا تأخير فجاءها مشوية على خوان وهو قائم بين اشجار الفاكهة فصار
يتناول منها قطعة بعد قطعة ويتناول عليها الفاكهة الى ان فرغت. فقال له يا شمردل
هل عندك غيرها فقال نعم دجاجتان معلوفتان قد عميتا شحما قال اثني بهما ففعل كما

فعل العناق واتي بهما وهو قائم بين أشجار الفاكهة حتى فرغا وقال له ان كان عندك
سويق بسمن سلا وبعض سكر فائتني به فاني جائع فجاء بذلك فأكله واستدعى بماء
بارد وجعل شمردل يصب عليه الماء وأمير المؤمنين يحركه حتى كفأه فارغا ثم أعاد
_الاكل في الفاكهة فأكل مليا واذا بالسماط حضر فجلس يأكل كأنه لم يأكل شيئا.
قال الحارث فعجبنا منه .

ويقال انه عرضت له حمى عقيب هذا اشرف منه على الموت وقيل بل سبب موته
انه أكل اربعمائة بيضة وسلتي تين وسبعمائة رمانة وخروف وست دجاجات ومكوك
زبيب طائفي . انتهى .

وانما ذكر ذلك على سبيل الاستطراد وذكر بستانه والله أعلم .

متنزه السهم

ومن محاسن الشام (السهم) وهو متصل بارض الصالحية . وهو درب ما بين دور
وقصور، وفاكهة وزهور، ومياه تجري بهدير كالبحور . وفيه يقول القيراطي :

دمشق بواديها رياض نواضر
بها ينجلي عن قلب ناظرها الهم
على نفسه فليك من ضاع عمره
وليس له فيها نصيب ولا سهم
ومن لطائفه قوله فيها وفي السهم:
بقاع دمشق للأمير بشائر
فقف بمغاني جنكها مترنما
بقاع اذا قوس الرباب بسهمه
رماها غدت بالوشي بردا مسهما
وما أحسن قول القيراطي :

دمشق سما سهمها على قوس الكواكب، وأقبلت من كتائب زهورها في مواكب .
وتحرك عودها حين غنت عليه من الورق الفينان، وطفح يزيدا فقلت وهذا مما
يعجب ابا سفيان .

التوت

ومن المحاسن ارض بزار وبهران، وهما معدن التوت، واصل حسنه المنعوت
وهو أصناف : محسني . بندقي . عجمي . مخضب . قرشي . حراديني . شامي وهو
الاسود .

قال جالينوس في السابعة التوت المحسني الابيض اذا كان نضيجا فهو يطلق
البطن وما لم ينضج وقد صار دواء يحبس البطن حبسا شديدا حتى انه يصلح لقروح
الامعاء والاستطلاق وجميع العلل التي هي من جنس التحلب، ويخلط بعد أن
يسحق مع الاطعمة كما يخلط السماق فان أحب انسان أن يشربه شربة مع الماء أو مع
الشراب أو مع عصارة التوت المدرك فهي نافعة لإدواء الفم .

وقال ابن الجوزي : اذا أكل التوت الابيض على الريق أسهل وولد خلطا جيدا
فان أكل على الطعام ولد كيموسا وأضر بالمعدة وهورديء الغذاء فاسد الدم خلطه
غليظ يكره منه غير النضيج والافق أن يغسل قبل أكله ليؤمن اضراره بالمعدة
والرأس ويشرب بعده السكنجين والتوت النضيج المبرد بالثلج ينفع المعدة التي غلب
الحر عليها واليبس . انتهى .
وفيه يقول المهلبى :

كلوا من التوت وانشطوا فانه على الارى مسلط
كأنما التوت على اطباقه لآلىء بعندم منقط

ومن مجون لسان الدين بن الخطيب قوله فيه :
أقول له اذ ابتعننا عصيرا
وجاوزنا المنازل والبيوتا

لعلك يا حبيب القلب تأتي
وتأكل عندنا عنباً وتوتا

ونقلت من خط المرحوم شمس الدين محمد النواجي قوله:
بالله يا صاح قم وباكر بستان لهُو حوى نعوتا
تشبع نخلا به وكرما مرتبا يانعاً وتوتا

والتوت الاسود الشامي قال ابن الجوزي في (لقط المنافع) الحلو حار رطب
والحامض بارد جيده الكبار السود. ومنفعته لأورام الحلق وادرار البول، ومضرته
يحدث مغصاً وسوء استحالة وهو رديء للمعدة الا أنه لا يضر معدة صفراوية ودفع
مضرته الاطريفل الصغير يصلح للامزاج الدموية والشباب في الربيع في البلد الحار
والله يعلم.

الصالحية

ومن محاسن الشام (الصالحية) مشحونة بالزوايا والترب والمدارس حتى ان بها
قصة دون ميل تمشي فيها بين ترب ومدارس ببناء جميل استولى عليها المباشرون
والنظار، فازالوا منها العين ولم يبق سوى الآثار. فكم من مدرسة اندرست بعد
الصلاة والتراويح، وأمست في ظلمة بعد تلك المصابيح. وهي تقول أصبحت
حاصلاً، بعدما كان ايواني بالقراء عامراً أهلاً، وهذه تقول أضحيت مربطاً للبهائم،
بعدما كنت معبداً للقائم والصائم. وهذه تقول اتخذوني مسكناً، وهذه تقول جعلوني
متبناً. وهذه تقول هدوني، واخذوا سقفي وكشفوني. وهذه تقول اخربوا جداري،
وباعوا الباب، وجعلوني مأوى للكلاب. والاقواف تستغيث الى المولى المغيث.
فيقال لهم اسمعوا كلام الرحمن في محكم القرآن «ان الينا إياهم، ثم إن علينا
حسابهم».

فياشوقاه لحسن (الجركسية) وحلاوة (الركنية) ويالهفاه على (جامع الافرم)

و(الناصرية) تغيرت تلك المعاهدة وغلقت أبواب تلك المساجد والمعابد . انا لله وانا اليه راجعون . إن هذا هو البلاء الجسيم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وبالصالحية نهران ، فيها يجريان . (ثورا) و (يزيد) ، وكم عليهما من غرفة وقصر مشيد .

يحكى عن ابن الصائغ الحنفي انه لما قدم من القاهرة الى دمشق المحروسة نزل في (الجسر الابيض) عند الامير مجير الدين بن تميم ونهر ثورا يمر بداره المأنوسة فاجلسه على جانب النهر لاجل برد الهواء ، فرأى شمس الدين بن الصائغ ما يمر من الفواكه على وجه الماء وصار يتناول ويأكل ما استطاب ويضع قدامه منه ما اعجبه ثم التفت لابن تميم وقال له أنت يغنيك هذا النهر عن شراء الفاكهة يفيض فضله العميم وانشده في الحال ارتجالاً :

يقول وقد رأى ثورا خليلي
يفيض بسائر الثمرات فيضا
أيكفيكم فلا تشرون شيئا
فقلت له نعم ونبيع أيضا
فقال ابن الصائغ : وهذه الفاكهة اليس يرميها في النهر أرباب الغيطان . قال له ابن تميم انما هذه من اشتباك الاشجار وانحنائها عليه فيلقيها النسيم عند ما تشتمل الاغصان واما البساتنة فانهم يضعون فواكه مجموعة على ابواب البساتين كالزكاة لمن يمر بها ويحتاج الى شيء فيأخذه من الفقراء والمساكين .
وأخبرت في القديم ان بعض الفقراء يضع مكتله على رأسه ويسرح في طرق البساتين فيعود وقد امتلأ مكتله مما يسقط من الاثمار من غير ان يتناول بيده شيئا . وفي البساتين من يزرع اشجارا للفقراء يعرفونها بالتكرار ، وغالبا ما يزرع من ذلك على الطرقات ليقرب تناولها . انتهى .
وغالب أهل الصالحية يهادون سكان المدينة بالبلح والاترج والكباد ، لنمو حسنه عندهم ونضارته التي هي في ازدياد .

البلح والتمر والنخيل

قال ابن الجوزي البلح حار يابس وقيل بارد ينشف الرطوبة ويدبغ المعدة ويحبس ،
جيده غير القباض يضر بالاسنان والفم . دفع مضرته بالسكنجبين واذا اكل أول ما
يحلو أحدث قراقر . والبسر والبلح يحدث السدد في الاحشاء والكبد ويولد الاكثار
منها اخلاطا غليظة وهما رديتان للصدر واللثة والجمار الذي هو طلع بارد يابس يقوي
الحشا ويعقل البطن ويضر الصدر والحلق دفع مضرته بالتمر والشهد خلطه غليظ
بطيء الهضم ينفع الامزاج الحارة الرطبة ومن اكثر من أكل المطلع مرضت معدته
واورثه القولنج .

وباسناد عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ «كلوا البلح بالتمر فان
الشيطان اذا نظر الى ابن آدم ياكل البلح بالتمر يقول يقي ابن آدم جني الحديث
بالتيق» . انتهى .

الرطب حار رطب يقوي المعدة الباردة ويوافقها ويزيد في الباه لكنه سريع التعفن
ودمه رديء وهو مصدع ويولد السدد ويؤذي الاسنان وينبغي ان يشرب بعده
السكنجبين

وعن انس قال «رأيت رسول الله ﷺ يأكل البطيخ بالرطب» ورواه ابو داود . وعن
عبدالله بن جعفر قال «رأيت رسول الله ﷺ يأكل القثاء بالرطب» اخرجاه في
الصحيحين وعن ابي داود من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يأكل
البطيخ بالرطب ويقول «يكسر حر هذا برد هذا» . وقال ابو سليمان الخطابي وفي هذا
بيان الرطب والعلاج ومقابلة الشيء المضاد له وفيه اباحة التوسع بالاطعمة ونيل
الملاذ المباحة .

والرطب المعسل حار رطب ينفع المعدة الباردة ويضر الحنجرة والصوت . دفع
مضرته بالسويق الخشخاشي . فاذا عتق كان أقل حرارة واكثر رطوبة وازيد في توليد
المني فاذا ربي بالعسل والزعفران تضاعفت حرارته لكن يكسرها اللوز في موضع
النوى ويؤكل بعده الخس بالخل .

والتمر جيده البرني الحديث الكبار وهو حار رطب في الاولى يقوي الكبد والاعصاب ويلين الطبع ويزيد في المني ولكنه يصدع لحرارته ويولد السدد ويؤدي الاسنان سريع التعفن.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كلوا التمر على الريق فانه يقتل الدود» وعن انس بن مالك ان وفد عبد القيس من أهل هجر قدموا على النبي ﷺ فقال «خير ثمراتكم البرني يذهب بالداء ولا داء فيه» وفي مدينة النبي ﷺ تمر يقال له العجوة. وفي الصحيحين من حديث سعد بن ابي وقاص عن النبي ﷺ انه قال «من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر» وعن ابي سعيد وجابر قالوا قال رسول الله ﷺ «العجوة من الجنة وهي شفاء من السم». واعلم انما خصت عجوة المدينة بدعاء النبي ﷺ لان التمر لا يفعل ذلك.

والقشب معتدل في الحرارة يابس يجبس الطبع وهو احمد من التمر وما الطف قول صدر الدين بن الادمي في التمر:

لم أرد التمر الذي اهديتموه لسوى
خوفي من نواكم لان في التمر النوى
وقال ظافر الحداد في وصف النخيل:

وعشية بهرت لعينك منظرا
قدم السرور بها قلبك وافدا
روض كما أخضر العذار وجدول
نقشت عليه يد النسيم مباردا
والنخل كالهيف الحسان تزينت
فلبس من اثمارهن قلائدا

وقال بعضهم:

أما ترى التمر يحكي في الحسن للنظار
مخازنا من عقيق قند قمعت بنضار

كأنما زعفران فيه مع الشهد جاري
يشف مثل كؤوس مملوءة بعقار

ومما ينسب الى نبطويه قوله :

كأنما النخل وقد نكست
احبة فارقها إلفها
ومن محاسن ابن سارة قوله في الجمار:
جمارة كالماء لكنها
كأنها جسم رطيب وقد
والنصير الحمامي في من أهدى له جمارة:
أهدى لنا جمارة
فكأنما هي جسمه
من لست أخلو من عذابه
لما تجرد من ثيابه

ابن المعتز يصف الطلع بقوله:

ومريضة الاجفان تفتن
اهدت الينا طلعة
فكأنها لما بدت
حتى اذا فضت رأيت
كل ذي عقل وناسك
والشوك للأحشاء ناهك
في كفها مكوك حائك
من اللجين بها سبائك

ومن محاسنة قوله فيه :

كأنما الطلع يحكي
سلاسل من لجين
لناظري حين يقبل
يضمها تحت صندل

وأخذه لانافية ابن عبد ربه :

أفدي الذي أهدى الينا طلعة
اهدى الى القلب المشوق بلا بلا
فكأنما هي زورق من فضة
قد أودعته من اللجين سلاسل

وأخذه ابن وكيع فقال وهو من لطائفه:

طلع هتكنا عنه أثوابه من بعد ما قد كان مستورا
كأنما لما بدا ضاحكا في العين تشبيها وتقديرا
درج من الصندل قد أودعت فيه يد العطار كافورا
ومن معانيه البديعة قوله:

وطلع هتكنا عنه جيب قميصه
فيا حسنه من منظر حين هتكنا
حكى صدر خود من بني الروم هزها
سماع فشقت عنه ثوبا ممسكا
ومن مقاصده قوله في البسر الاحمر:

انظر الى البسر اذ تبدى - ولونه قد حكى الشقيقا
كأنما خوصه عليه زبرجد مثمر عقيقا
ومن بدائع ابن القطاع قوله فيه:

انظر البسر ان صورته أحسن ما صورته الرائي
كأنما شكله لمبصره - أنامل قمعت بحناء
ابن حمديس الصقلي قوله في البلح:

أما ترى النخل أطلعت بلحا جاء بشيرا بدولة الرطب
مكاحل من زمرد خرطت مقمعات الرؤوس بالذهب
ابن النقيب اللباني قوله في البسر الابيض:

انظر الى البسر الذي قد جاءنا بالعجب
كيف غدا في لونه كعاشق مكتئب
كأنه من فضة قد غمست في ذهب
ومن لطائف ابن وكيع قوله في الرطب:

أما ترى الرطب المجنى لأكله
حلوى أعدت لنا من صنعة الباري

ما باشرتھا يد العقاد في عمل
في الدست يوما ولا حطت على النار

الأترج

الأترج . قال ابن البيطار كثير بأرض العرب وهو مما يغرس غرسا ولا يكون برياً
وورقه مثل ورق الجوز وهو طيب الرائحة ونواره شبيه بنوار النرجس إلا أنه الطف وله
بزر شبه الكمثري .

وقال جالينوس في السابعة وجوف الأترج الذي فيه البزر حامض الطعم وقوته قوة
تجفف تجفيفاً كثيراً حتى يقال أنه في الدرجة الثالثة من درجات الأشياء التي تبرد
وتجفف .

اسحق بن سليمان : وما كان منه حامضاً كان بارداً يابساً في الدرجة الثالثة
يقوي المعدة ويزيد في شهوة الطعام ويقمع حدة المرة الصفراء ويزيد الغم العارض
منها ويسكن العطش ويقطع السعال وينفع من القوباء والكلف إذا طلي عليها ؛
ويستدل على ذلك من فعله في الحبر إذا وقع في الثياب فإنه إذا طلي عليه قلعه وذهب
به .

جالينوس : وشحم الأترج الذي بين قشره وحماضه يولد اخلاطاً غليظة باردة .
ابن سينا : ينفخ بطيء الانهضام يورث القولنج ويجب أن يؤكل مفرداً ولا يخلط
بطعام قبله ولا بعده والمربي بالعسل أسلم وأقبل للهضم .

وقال ابن الجوزي : الأترج جيده السوسي الكبار وهو بارد رطب ولحمه بارد وقشره
حار يابس وحماضه بارد يابس ودهنه ينفع البواسير وحبه ينفع الدماغ الذي ناله البرد
ويحلل الرياح العارضة فيه . والله أعلم
وفيه يقول عبدالله بن المعتز بالله :

يا حبذا يومنا ونحن على رؤوسنا نعقد الأكاليل

في روضة ذلت لقاطفها غصونها الدانيات تذليلا
كأن اترجها تميس به أغصانها حاملا ومحمولا
سلاسل من زبرجد حملت من ذهب أصفى قناديلا
وما أرشق قول ابن رشيقي:

اترجة سبطة الاطراف ناعمة
تلقى النفوس بحظ غير منحوس
كأنما بسطت كفا لخالقها
تدعو بطول بقاء لابن باديس

ومن تشابه ابن بوبن من مزدوجته:
كأنما أترجه المصبغ أيدي زناة من زنود تقطع
ومن بديع ابن المعتز قوله:
وكان الاترج كف كعاب جمعته لضمها بسوار

ومن التشابه البديعة قول ابن حمديس:
انظر الى الاترج وهو مصبغ
ان كنت في التشبيه اي محقق
مثل الاكف غدت تضم اناملا
يدخلنهن في اناء ضيق

ومن محاسن محيي الدين الدهان:
حياك من تهوى باترجة ناعمة مقدودة غضة
فجلدها من ذهب أصفر وجسمها الناعم من فضه

وقال الامير أبو فراس بن حمدان في الكباد:
أما ترى الكباد في حسنه اذا بدا في وسط بستانه
كعاشق أبصر محبوبه فاصفر من خيفة هجرانه

وقال ابن زيدون في الحماض:

يا حبذا حمضة تحدث للنفس الطرب
كأنها كافورة لها غشاء من ذهب

الليمون

الليمون. قال صاحب الفلاحة ستة أنواع منها المركب وهو نوعان أحمر وأصفر ومنها التفاحي وهو نوعان المختم والحلمسي، وغالب ما يستعمل الأصفر والتفاحي.

وأخبرني بعض الغياطنة أن بمصر الليمون أربعة عشر نوعا ولم يعد منهم ولا واحدا.

وقال ابن البيطار والليمون مركب من ثلاثة اجزاء مختلفة المنافع والقوى وهي القشر والحماض والبزر. في طعم قشره بعض مرورة وقبض خفي وله عطرية ظاهرة وفيه تسخين وتجفيف مزاجه حار في أول الدرجة الثانية يابس في آخرها. ومن لطائف النصير الحمامي قوله فيه:

أهدى الي الطبي ليمونة
لا زلت ذا شكر لاحسانه
صفرتها تحكي اصفراري به
وطعمها من طعم هجرانه
وله فيه:

ليموننا هذا الذي قد بدا يأخذ من اشرافه بالعيان
كأنه بيض دجاج وقد لطحه العابث بالزعفران

النارنج

النارنج قال ابن الجوزي: حماضه بارد يابس يقوي المعدة ويقطع البلغم ويسكن

الصفراء الا انه يرخي الاعصاب دفع مضرته أكله بالسكر يشهي الطعام وحبه يحلل
الرياح الباردة من الدماغ وهو اللطف من الاترج ومختاره ما قلت حموضته وقشره حار
يابس وخاصية النارنج ان من ادمن شمه يأخذه الرعاف الى ان يموت . والله سبحانه
وتعالى أعلم وزهره يسمى بالقداح .

ومن محاسن ابن قرناص قوله في نواره :

نديمي هبّا قد قضى النجم نحبه
وهبّ نسيم ناعم يوقظ الفجرا
وقد أزهـر النارنج أزرار فضة
تزر على الاشجار أوراقها الخضرا
ومن أغراض شهاب الدين محمد بن دمرdash قوله :
ان أينع النارنج حاكى لونه
في صبغه القاني خـد حبيبي
واذا تبدى مزهرا فكأنما
جمع الوصال عذاره ومشيبى
وقال مؤلفه البدرى :

نارنجة قد أشبهت حسناء في
عرس النسيم تيس مع نشر صوى
يا حسنـها تجلى لنا في حلة
من سندس أزرارها من لؤلؤ

وقال أيضا :

في الكيميا صحت لنا نارنجة من حطب
لجين زهرها يعد سبائكـا من ذهب
ومن لطائف الارجاني قوله فيه :

ونارنجة بين الرياض نظرتها
اذا ميلتها الريح كانت كأكرة
على غصن رطب كقامة اغيد
بدت ذهبـا في صولجان زبرجد

ومن محاسن الصاحب بن عباد:

بعثنا من النارنج ما طاب عرفه
ونمت على الاغصان منه نوافج
كرات من العقيان احكم خرطها
وايدي الندامي حولهن ضوالج

ومن بدائع ابن وكيع قوله:

ألا اسقني الراح في جنة طرائف أثمارها تزهر
كأن تمايل نارنجها مقابض كيمختها أخضر
ومن ألغاز ابن خلكان قوله فيه:

ما اسم اذا صحفته الفيته من بعد ذاك ولفظه تاريخ
في ضمنه نار اذا حققتها لاجرها وار ولا منفوخ
حيران ان صحفته وعكسته لا العذل يسمعه ولا التوبيخ
ياريح بلغ من احب تحيتي ان الحبيب لما تقول مصيخ

ونقلت من خط بلدنا الشرف القواس الدمشقي:

نظرت الى نارنجة في يمينه
كجمرة نار وهي باردة للمس
فقرها من خده فتألفت
فشبهتها المريخ في دارة الشمس

ومن بدائع ابن قرناص الحموي قوله:

نارنجة برزت في منظر عجب زبرجد ونضار صاغه المطر
كأن موسى كلیم الله اقبسها نارا وجرّ عليها ذيله الخضر

ومن اغزال ابن دمرdash قوله:

تأمل ترى النارنج في الدوح باسما
نضيرا يروق العين من جلناره

وقد لاح تحت الغصن غضا كانه
خدود الذي أهواه تحت عذاره
ومن المعاني التي سبكها ظافر الحداد قوله:
تأمل فدتك النفس يا صاح منظرا
يسر به قلب الليب على الفكر
حيا وابل يجري على شجر بدا
به ثمر النارنج كالأكبر التبر
دموع حداها الشوق فانهملت على
خدود تراب تحت انقبة خضر
ونقل ابن خلكان في ترجمة السلامي انه كان شاعراً مجيداً فرحل في صباه من مدينة
السلام الى الموصل وبها جماعة من كبراء الشعراء كالسري والبيغاء والخالدين فارادوا
اختباره في النظم فقال أبو الفرج البيغاء أنا اكفيكم ذلك وضع وليمة ودعاه الى عنده
وقال له في غصون المحاضرة ما تقول في هذا النارنج الذي بمنزلنا فانشده ارتجالاً
وقال:

ونارنج تميل به غصون ومنها ما يرى كالصولجان
اشبهه ثدايا ناهدات غلائلها صبغن بزعفران
فحرك كل منهم رأسه وقال هذا التشبيه هجس بفكري الآن. وانشد:
تطالعنا بين الغصون كأنها نهود عذارى في ملاحفها الصفر
السري:
اذا ما تبدى في الغصون حسبه نهود عذارى مسهن خلوق

جبل قاسيون

ومن محاسن الشام (جبل قاسيون) فان الصالحية في سفحه وتحت ذراه. وهو جبل
مبارك به آثار الانبياء والصحابة والاولياء وبه (الكهف) ويقال انه كهف اصحاب

القصة وبه مغارة الدم يقال ان كل ليلة جمعة يرى بها قطرة دم وبه محاريب الاربعين محل تعبدهم . وقال بعضهم :

تحن الى وادي دمشق جوانحي
وإن كان مماقل فيه نصيبي
وإني لاهوى قاسيون لأنني
رأيت اسمه شبهاً لاسم حبيبي
وبه ينبت من عند الله تعالى من الازهار والاشجار مالا ينبت في غيره وسقيه
بالامطار.

القرنفل والخزام والشيخ

فمن ازهاره القرنفل وهو شديد العطرية .
والخزام وهو مشهور بالعطرية .

والشيخ . قال ابن الجوزي حار يابس في الثالثة أفضله ماكان الى البياض وهو
بدمشق يخرج الدود . واذا احرق وسحق ووضع في زيت أو في دهن اللوز وطي به من
لم ينبت له لحية اسرع نباتها لانه يوسع مسامها بلطافته ويمنع من داء الثعالب . وعن
عبدالله بن ابي جعفر القرشي ان رسول الله ﷺ قال «بخروا بيوتكم باللبان والشيخ»

السماق

وبه السماق . قال ابن البيطار في الاولى يستعمل في الطعام وهو ثمر نبات يقال له
اروس برسوديسقونس^(٤٠) وهو بالعربية سماق الدباغين وانما سمي هكذا لان
الدباغين يستعملونه في دباغة الجلود . وهي شجرة تنبت في الجبال والصخور طولها
نحو من ذراعين وفيها ورق طويل لونه الى حمرة الدم وهو مشرف الاطراف على هيئة
المنشار وله ثمر شبيه بالعناقيد كثيف وفي عظم الحبة الخضراء الى العرض .

(٤٠) في مفردات ابن البيطار «رؤوس برسوديسمقوس» .

وقال جالينوس في الثامنة يقبض ويجفف وانقع ما فيها الثمرة وعصارتها.

ديسقوريدوس: ويعمل منه حقنة لقرحة الامعاء ويقطر في الاذن التي يسيل منها القيح واذا تجمد بالورق مع الخل والعسل اضمر الداحس ومنع الورم الخبيث الذي يقال له غنغرانا .

الرازي: وزعم قوم انه اذا شد في صوف مصبوغ بحمرة وشد على صاحب النزف من أي عضو كان قطع الدم.

ابن ماسويه: وينفع الاسهال المزمن الذي يكون من الصفراء واذا نقع في ماء ورد واكتحل به نفع من ابتداء الرمد الحار مع مادة وقوى الحدة.

اسحق بن عمران وان نقع في ماء نفع من السلاق والاحتراق وقطع الحكمة العارضة للعين، وان اخذه من به قيء دائم ودقه مع الكمون دفا جريشا وشرب منها بماء بارد قطع القيء عنه.

وقال ابن الجوزي: السماق بارد في الثانية يابس في الثالثة قابض مقول للمعدة يشدها ويجلو خشونة اللسان ويسكن العطش والغثيان الصفراوي واجوده الاحمر. انتهى.

الزعرور

وبه الزعرور. قال صاحب كتاب الفلاحة هي شجرة تنبت بنفسها في الجبال والصحاري وتغرس في البساتين وفلاحتها كفلاحة الخوخ والمشمش واذا حولت ضعفت ومن اراد قوتها فليحمل اليها من التراب الذي كانت به ويظمره حوالها فانها تقوى واجوده الاحمر البستاني البالغ وهو بارد يابس رديء للمعدة والكلى يولد بلغها والجبلي يجمع الصفراء ويحبس السيالات ويقوي المعدة ويقمع القيء الا انه يصدع

وقال صاحب المفردات هي شجرة مشوكة ولها ثمر صغار شبيه بالتفاح في شكله للذيد في كل واحدة منها ثلاث حبات ولذلك سماه قوم طريفان^(٤١) وهو ذو الثلاث

(٤١) في مفردات ابن البيطار (طريفان) وفي اللغة الفرنسية لفظ Triphylle بمعنى ثلاثي الوراق.

حيات وهو قابض واذا اكل كان جيداً للمعدة ممسكاً للبطن مسكناً للصفراء والدم ولا
يجبس البول ويشهي الأكل ويولد القولنج.

وقال صاحب (اللقط) الزعرور الجبلي بارد يابس مطفىء للحرارة يجمع الصفراء
والبستاني الأحمر بارد رطب مولد للبلغم رديء للمعدة والله أعلم.

وهذا الأحمر لا حاجة به لجناه وإنما يرمي سياجا لشدة شوكة وكذا في السياج توت
أسود لا يجنيه زراعته كورد السياج السالف لنا ذكره.

الزيزفون

ومن السياج شجرة يقال لها (الزيزفون)^(٤٢) لها زهر أصفر برائحة عطرية وفيه
تهيج للنساء إذا شمنه وهذه الأربعة الأشياء إنما يزرعونها لشدة شوكتها. انتهى
وفيه يقول ابن حني وأبدع:

كأنما الزعرور لما بدا
في حسن تقدير وأمر أنيق
جلاجل غضوبة عندهما
أو خرزات خرطن من عقيق
يضع من رياه لما هفا
به نسيم الريح مسك نشيق

ونقلت من خط الشهابي أحمد بن العطار الدنيسري:
باكر الدوحة واغنم واجتلي
غصن زعرور تسامي وافتخر
حقة من ذهب داخلها
قطنة فيها ثلاث من درر

(٤٢) قال ابن البيطار هو اسم دمشقي للنوع الذي لا يثمر من شجر الغبراء.

الخرنوب

وبه الخرنوب قال ابن الجوزي بارد يابس وقيل حار، جيده الحلو الطري ينفع القيام ما دام طريا فاذا يبس عقل البطن والرطب رديء للمعدة واليابس أبطأ انهضاما يدفع ضرره الفانيد، والمضمضة بطبيخه جيدة لوجع الاسنان انتهى والله أعلم.

قرية منين

ومن محاسن الشام قرية (منين) خضرة نضرة، وهي شمالي جبل قاسيون، وبها السيدان الجليلان (الشيخ جندل) و (الشيخ أبو الرجال) أعاد الله علينا من بركاتهما ويقال أن الشيخ جندل لا يقبل من ينام عنده، فاذا نام الانسان حول الضريح يفتح عينه يجد نفسه ملقى خارج المزار وقد اشتهر ذلك عنه.

الجوز المنيني

والى منين ينسب الجوز المنيني لرقعة قشره وبياض قلبه، وهو صنوف: مغاربي، وفرك، ومنيني، وجبلي، وبستاني.

قال جالينوس في السابعة: وهذه الشجرة في ورقها وأطرافها شيء من القبض وهو في القشر الخارج اذا كان طريا ايبس. وكذلك الصبّاغون يستعملون هذا القشر، وأما قلبه الذي يؤكل ففيه دهنية، وبهذا السبب تسرع اليه الاستحالات.

قال ابن الجوزي: الجوز حار رطب وقيل يابس عسر الانهضام رديء للمعدة مضرته تنن الفم ويؤلم الحلق ويصدع ولا يصلح أكل العتيق منه. ودفع مضرته بالخشخاش والمتولد عنه دم حار يصلح للامزاج اليابسة وللمشايع اذا اكل مع التين نفع من السموم لا سيما الجوز الاخضر.

وقال ديسقوريدوس: الجوز عسر الانهضام مولد للمرة الصفراء حار لمن به سعال، واذا اكل على الريق هون القيء واذا احرق قشره وسحق مع شراب وزيت

ولطخ به رؤوس الصبيان حسن شعورهم وأنبت الشعر في داء الثعلب، وداخله اذا احرق وخلط به شراب واحتملته المرأة منع الطمث.

اسحق بن سليمان: والجوزة الخضراء اذا اخذت عندما تبقى قدر الحمصة ودقت وخلطت بالعسل واكتحل بها نفع من غشاوة البصر.

الشريف: واذا دق قشره الأخضر وألقي معه خبث الحديد مكسورا وترك اسبوعا معه يحرك في كل يوم ثم خضب به بعد ذلك الشيب سوده وكان منه صبغ عجيب واذا دلكت به القوابي والحزازات نفعها.

البصري: والجوز المربي جيد لبرد الكبد نشاف لرطوبة المعدة والله أعلم.
وفيه لابي الفرج بن هندو:

تأمل الجوز في اطباقه لترى رواق حسن عليه غير محطوط
كأنه أكر من صندل خرطت --- فيها بدائع من نقش وتخطيط

الثلج

وبها الثلج الذي يقيم من العام الى القابل . ويحمل ثلج السلطان الى القاهرة مدة العام وما يستعمل بدمشق الجميع منها يخزنونه في حواصل معدة له .
وقال ابن الجوزي: الثلج بارد بالطبع يابس بالعرض وفيه خلط يولد سوداء في الكبد جيده ما كان من ماء عذب يجمد يجود الهضم لكنه يهيج السعال ويلين المفاصل ويشنج ويضر العصب لأنه يحقن البخارات الحارة فيها ويمنعها من التحلل خصوصا التي يتولد فيها اخلاط باردة دفع مضرته شربه قليلا قليلا وهو صالح للأمزجة الحارة وهو يطلق البطن أولا ثم يعقل واذا كانت المياه الثلجية والجليدة في آجام كانت رديئة ثقيلة وهي تولد البلغم في الشتاء والمرارة في الصيف وتورث شاربها الطحلة وحشو الاحشاء وربما وقعوا في الاستسقاء وتضعف اكبادهم وتولد فيهم الجنون والبواسير ويعسر على نسائهم الحبل والولادة ويلدن اجنة متورمين . والثلج رديء للمشايخ وماء الثلج يسكن وجع الاسنان الحار والله اعلم .

ومن لطائف ابن عباد قوله :

اقبل الثلج فانبسط للسرور وبشرب الصغير بعد الكبير
فكأن السماء صاهرت الارض ض وصار النثار من كافور
واخذه بلا قافية احمد بن علي العلوي فقال :

هواك من الدنيا نصيبي وانني
اليك لمشتاق كجفني الى الغمض
فزرنى وبادر يوم ثلج كأنه
شمائم كافور نثرن على الارض

ومن محاسن قول أبي الفتح البستي :

قد نظمنا السرور في عقدانس وجعلنا الزمان للهو سلكا
وشربنا المدام في يوم ثلج عزل الفياء فيه رشدا ونسكا
فكأن السماء تنخل كافو را علينا ونحن نفتق مسكا
اخذه ظافر الحداد فقال :

ويوم ضاحك يبكي ضعيف معاقد السلك
اذوب ببرده يرده كمبسم من حوى ملكي
كأن الريح تنثره على الارضين في وشك
تغربل من خلال الند كافورا على مسك

وينبت في الثلج الرياس قال ابن الجوزي بارد يابس مسكن للحرارة وقامع
للصفراء ونافع للاسهال يقوي المعدة والكبد الخرايين وهو شبيه باضلاع السلق وفيه
خشونة وطعمه حلو يعطي حموضة بعفوضة ولا يطلع الا في الثلج والله اعلم .
وفيه يقول أبو علي العثماني النيسابوري :

انظر الى الرياس تنظر منه لأعجب منظر
كسواعد بيض بدت من كم شعر أحمر

وينبت في جبال الثلج ايضا امير بارس . قال ابن البيطار هو البرباريس

وبالفارسية الزرشك. ومنه اندلسي ورومي وشامي، وأحسنه الشامي يجلب من جبل بيروت وجبل بعلبك وهو أجود من الرومي عند باعة العطر بمصر والشام. الفلاحة: وهو شجرة خشنة النبات خضراء تضرب إلى السواد تحمل حبا صغارا بنفسجية.

قال ابن ماسة: بارد يابس في الثانية يقوي الكبد والامعاء وفيه قوة قابضة مانعة. ماسرجويه يمنع من الاورام الحارة اذا وضع عليها. الرازي هو قاطع للعطش جيد للمعدة والكبد الملتهبين ويقمع الصفراء جدا. قال الرازي: حبه يجفف قروح الامعاء ويقطع نزف الدم الاسفل، ولا سيما الذي يجلب من جبلي بيروت وبعلبك. انتهى.

وينبت بهذا الجبل الصنوبر: قال ابن الجوزي حار في الثانية يابس في الثالثة حبه ينفع من الصداع البلغمي، افراط استعماله مصدع دفع مضرته بالشاه صيني أو الصندل، والغرغرة بطبيخ قشره يجلب بلغما كثيرا. انتهى. وفيه يقول الشريف الرضي:

حب الصنوبر اذا أتا ك غنيت من كل البشر
نقل لعمرى مشتهى ما ان يدوم له خبر
يحكي لنا صدقا أت في باطن منها الدرر
ومن اغراض ابن المعتز قوله:

صنوبر ظلت به مولعا لانه أطيب موجود
كأنه الكافور في لونه يحويه اذ لاح من العود

القلقاس

وثم أشياء لا تنبت الا في الاراضي الحارة كالقلقاس فانه يطلع بأرض قرية الغور من اعمال دمشق ولا ينبت في غيرها من أرض الشام

(٤٣) نقله ابن البيطار عن كتاب (التجربتين) ولم يذكر جملة «ولا سيما... الخ».

قال ابن البيطار ينبت على المياه في الاراضي الحارة وله ورق كبير أملس يشبه ورق الموز الا أنه ليس بطوله وهو مجفف يشبه ورق القرع ولكل ورقة من ورقه قضيب منفرد غليظ الاصبغ ونبات القضيب من الاصل الذي من الارض وليس لهذا النبات ساق ولا ثمر واصله شبيه بالاترج إلا أن ظاهره مائل الى الحمرة وداخله أبيض كثيف مكتنز مشاكل للموز وطعمه فيه قبض مع حرافة قوية تدل على حرارته ويهسه وهو يابس في الاولى اذا سلق بالماء زالت حرافته جملة واكتسب مع ما فيه من القبض اليسير لزوجة مغرية كانت بالقوة الا ان حرافته كانت تخفيها وتسترها ولذلك صار غذاؤه غليظا بطيء الانهضام ثقيلًا في المعدة لكثافة جسمه ولزوجته الا انه لما فيه من القبض والعفوصة صارت فيه قوة مقوية للمعدة معينة على حبس البطن اذا أخذ مقدار منه لا يثقل على المعدة فيحيله ضرورة لثقله وبعد انهضامه ولما فيه من اللزوجة والتغرية صار نافعا من سحوج الامعاء ويزيد في الباه ويسمن وادمانه يولد السوداء والله أعلم .

الموز

ومنها الموز . - قال ابن الاثير في عجائبه : الموز يسمى قاتل إبيه لان شجرته لا تثمر الا مرة في السنة ثم تموت ولا يحمل الاصل الواحد الا قنوا واحدا ثم يموت ، وتخلفها اخرى من اصلها ويكون في القنوم خمسين موزة الى خمسمائة ومن حين نشوئها الى حين إثمارها شهران ، ويقال ان فيه برىا وبستانيا والبرى يسمى الطلح ، واكثر ما يوجد في الجزائر . وورقها طوله ثلاث أذرع وعرضه ذراعان . وأجود الموز الكبار البالغ وثمرته حارة رطبة تنفع حرقة الصدر والحلق وتنفع المثانة وتدر البول وتلين الطبع لكنه ثقيل على المعدة والاكثر منه يولد السدد ويزيد في الصفراء والبلغم وأكله بعد الطعام يمنع بخار المعدة الى ان يرتقي الى الرأس .

وقال ابن الجوزي : جوده الكبار الحلو ينفع من خشونة الصدر والرئة وقروح الكليتين ويضر المعدة . دفع مضرته بالسكر ويتولد عنه دم بلغمي والله أعلم . وفيه يقول الخوارزمي :

يامن اتى البستان يقصد نزهة انظر لصنع الله فيما يخلق
الموز شبه عساكر مصفوفة من فوقها رايات خضر تخفق
وفيه يقول مؤلفه البدرى :

انظر الى الموز الذي حلا وصفا اذ مر بي
سبائكها من فضة قد موهت بالذهب

قصب السكر

ومنها القصب . قال ابو حنيفة : القصب أنواع فمنه أبيض وأصفر وأسود والاسود لا يعصر وهو يغلظ حتى لا يحيط به الكفان وانما يعتصر الابيض والاصفر ويقال لعصارتة عسل القصب واجوده ما يجاء به من أرض الزنج فهو أصفر مثل الاترج . والقند ما يجمد من عصير قصب السكر ثم يتخذ منه السكر ويقال لما جعل فيه القند من السويق وغيره مقنود ومقند كما يقال معسول ومعسل .

وقال أبو العبر : قصب السكر لطيف ملائم للبدن نافع من الخشونة التي تعرض في الصدر والرئة والخلق ويجلو الرطوبة اللطيفة المتولدة فيها ويدر البول ويولد نفخا ولا سيما اذا أخذ بعد الطعام .

وقصب السكر ملين للطبيعة واستعماله لتهييج القيء صالح اذا شرب على أثره ماء فاتر وتهوع بريشة طويلة قد غمست في السيرج .

وقال المنصورى : حار باعتدال يدر البول ويذهب بالحرقة الكائنة عند خروجه وينفع من السعال .

اسحق بن عمران : يقطع الالتهاب العارض في المعدة برطوبته ولطافته وينقي المثانة .

وقال ابن الجوزي : القصب أشد تليينا من السكر لكنه يولد رياحا دفعها ان يقشر ويغسل بماء حار .

وقال عفان بن مسلم المحدث : من مص القصب السكر بعد طعامه لم يزل يومه
اجمع في سرور والله تعالى أعلم . انتهى .
وفيه يقول خليل بن الفرس رحمه الله :

سبحان من أنبت في أرضه ما بين شوك وجلا فيها
انبوبة مملوءة سكرًا قد كان ماء وحلا فيها

وكتب مؤلفه البدرى يستدعي بعض الاخوان في شهر رمضان الى غيط قصب .

في قصب السكر لي ذوق سريع ما اقتضب
شبهته بأهيف قد رق عشقا وانتصب
واصفر جسمه لذا أرخى له خضر العذب
فقم لوصل قطعه واسع له اخا الأرب
في الصوم قبل العصرا ن ذا لأعجب العجب

غوة دمشق

قلت :، واما محاسن الشام فانها لا تحصى ، وغوطتها الجامعة للمحاسن لا
تستقصى . وقد جاء في الاخبار عن كعب الاحبار رضي الله عنه «غوة دمشق بستان
الله في أرضه» .

وعن ابي امامة رضي الله عنه ان النبي ﷺ تلا هذه الآية «وآويناها الى ربوة ذات
قرار ومعين» قال «هل تدرون اين هي» قالوا «الله ورسوله أعلم» قال «هي في الشام
بارض يقال لها الغوة مدينة يقال لها دمشق هي خير مدائن الشام» .

وفي رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ «قال هي دمشق» .

قال الذهبي : وأجمع سواح الارض والاقطار على ان متنزهات الدنيا أربعة وهي
(صغد سمرقند) و (شعب بَوَّان) و (نهر الأبله) و (غوة دمشق) .

قال أبو بكر الخوارزمي في رحلته : رأيتها كلها فكان فضل غوة دمشق على

الثلاث كفضل الاربعة على غيرهن، كأنها الجنة وقد زخرفت وصورت على وجه الارض.

وما أحسن قول الشيخ علاء الدين علي بن المشرف المارداني وقد أنشدني شقيقه ركن الدين محمد عند قدوم اخيه الى دمشق المحروسة في سنة احدى وعشرين وثمانمائة:

ليس في الحسن للشام نظير	لا يغرّنك بالبلاد الغرور
كل ما تشتهي نفسك فيها	وبها البشر والهنا والسرور
قلت للركب مذ انخنا عليها	وتراءت ولدانها والخور
هذه الجنة ادخلوا بسلام	بلد طيب ورب غفور

وقال الشيخ عبدالله الارموي رحمه الله «دمشق من أي جهة أقبلت عليها تجدها حلة بيضاء طرازها أخضر».

وقال الشهاب محمود من رسالة «وأما دمشق فكأنها وجه الحبيب، وقد دار به العذار الأخضر الرطيب».

وقال الشيخ (عبد الولي الحضرمي) رحمه الله: «سحت البلاد ورأيت ما بها من الاعاجيب، فلم انظر كصغد سمرقند، وهو نهر تحف به قصور وبساتين وقرى مشتبكة العماثر مقدار اثني عشر فرسخا في مثلها، وهي في وسط مملكة ما وراء النهر. ورأيت شعب بوان وهي بقعة مذكورة بنيسابور طولها فرسخان وقد التحفتها الاشجار، وجاست خلالها الانهار. وهذا الشعب لبوان بن ايوح بن افريدون، وفيه يقول أبو الطيب المتنبّي من قصيدة تشتمل على وصفه:

يقول بشعب بوان حصاني	أعن هذا يُسار الى الطغان
أبوكم آدم سنّ المعاصي	وعلمكم مفارقة الجنان

ومررت بنهر الأبله وهي من أعمال البصرة طوله أربعة فراسخ وعلى جانبيه بساتين كأنها بستان واحد قد مد على خط الاستواء نخله كأنه غرس في يوم واحد. ودخلت

الى دمشق وتنزهت في غوطتها أجدها أحسن من الثلاث وأكثرها خيرا طولها ثلاثون ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا مشتبكة القرى والضياع لا تكاد الشمس تقع على أرضها لغزارة أشجارها واكتناف أغصانها».

وقال الميدومي في كتابه (لطائف الاعاجيب) كان بغوطة دمشق اشجار تحمل الواحدة منها أربع فواكه كالشمش والخوخ، والتفاح، والكمثري. وبها ما يحمل الثلاث واقلهن اللونان من الفاكهة. قلت وهذا موجود الى يومنا هذا فاني رأيت بها الكرمة الواحدة تطرح العنب الابيض والاسود والاحمر ورأيت بوادي النيرين شجرة توت تطرح التوت الابيض والاسود.

وهذا من صنعة الفلاحة يسمى التطعيم وهو ان يأخذ قطعة خشب من التفاح ويشق ساق شجرة كمثري تكون بساقين وتوضع تلك القطعة في احدى الساقين المشقوقتين وتشدها بخرقة وتسقيها وتعاهدها الى أن تلحم بها ويخرج الورق الجديد ثم تثمر.

رجع الى بقية كلام الميدومي. قال: وكان غرس الاشجار في بعض البساتين كالسطور التي تقرأ. انتهى والله أعلم.

ونقلت من شرح الشريشي ما نقله عن شيخه ابن جبير قال: دمشق هي خير المشرق، ومطلع حسنه المؤنق وعروس المدن قد تحلت بازاهير الرياحين، وتجلت في حلل سندسية من البساتين. وحلت من موضع الحسن بمكان مكين، وتجملت في منصتها بأجمل تزيين. وتشرفت بان ادق الله المسيح وامه الى ربوة ذات قرار ومعين. ظل ظليل، وماء سلسبيل، ورياض تحيى النفوس بنسيمها العليل، وتبرج لناظرها بمجتلى صقيل، وتناديهم هلموا الى مغرس للحسن ومقيل. قد سئمت ارضها من كثرة الماء، حتى اشتاقت الى الظماء. فتكاد تناديك بها الصم الصلاب: اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب. قد أحدقت البساتين بها احداق الهالة بالقمر، واكتنفتها اكتناف الكمامة للزهر. وامتدت بشرقها غوطتها الخضراء امتداد البصر. ولقد صدق القائلون «ان كانت الجنة في الارض فدمشق لا شك فيها، وان كانت في السماء فهي بحيث تساميتها وتساميتها».

وقال البحتري فيها:

إذا أردت ملأت الطرف من بلد
مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمشي السحاب على أجيالها فرقا
ويصبح النبت في صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفا خضلا
ويانعا خضرا أو طائرا غردا
كأنما القيظ وليّ بعد جيئته
أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

وقال ابن سعيد الموصلي:

سقى دمشق وإياما مضت فيها
مواطر السحب ساريها وغاديا
ولا يزال جنين النبت تريضه ...
حوامل المزن في احشا اراضيها

صناعات دمشق

ومن محاسن الشام، ما يصنع فيها من القماش والنسيج على تعداد نقوشه
وضروبه ورسومه. ومنها عمل القماش الاطلس بكل اجناسه وانواعه. ومنها عمل
القماش الهرمزي على اختلاف اشكاله وتباين اوصاله. ومنها عمل القماش الابيض
القطني المصور لإحياء القصور، واموات القبور وبها أيضا عمل القماش السابوري
بجميع ألوانه وحسن لمعانه وفيها تعمل صناعة الذهب المسبوك والمضروب والمجرور
والمرفوع، والممدود والمرصوع. وفيها تعمل صناعة القرطاس بحسن صقالة ونقي
اوصاله. وفيها تعمل صناعة القرضية ودباغاتها المرضية وفيها تعمل صناعة الزموط
والاقباغ وتحمل لسائر البلاد والضياغ وفيها صناعة الحرير بالقتل والدواليب
والسرير. وفيها تعمل صناعة السلاح، بما فيها من الاعاجيب والاقتراح. وفيها

تعمل صناعة الموشى والمدهون بما تختار فيه النواظر والعيون . وفيها تعمل صناعة النحاس من الضرب والتفصيل والنقوش التي تشرح صدر الناس وفيها صناعة الواح الصقال ودهن الواح صغار الكتاب ، وجفان القصع وتفصيل القبقاب .

واذكرني هنا قول ابن هاني الاندلسي على لسان القبقاب واجاد ثم أفاد :

كنت غصنا بين الانام رطيبا

مائس العطف من غناء الحمام

صرت أحكي رؤوس اعداك في الذلّ

برغم اداس بالاقدام

وغالب ما ذكرناه من هذه الصنائع تتبدل عليه أيادي الصانع من الواحد

بعد الواحد الى أن ينيف على عشرة صناع-حتى-تم-

واعلم ان هذه الصنائع استخرجتها الحكماء بحكمتها ثم تعلمها الناس منهم وبعضهم من بعض وصارت وراثه من الحكماء والعلماء ومن العلماء للمتعلمين ومن الاستاذين للتلامذة للصناع هكذا نقله ابن جماعة في شرحه على نقول العيد . انتهى .

قافات دمشق

ومن محاسن الشام ما يحمل منها الى الديار المصرية عشرة قافات انفردت بها وهذه مسمياتها : قصب ذهب ، قبع ، قرضية ، قرطاس ، قوس ، قبقاب ، قراصيا ، قمر الدين من المشمش ، قريشة ، قنب .

وكنت في هذا المحل اكتب واذا بشخص خليع يغلب عليه الخبال والدخل يتردد اليّ من أهل مصر العتيقة يقال له تعاتير جاء اليّ وقال عبر لي هذا المنام : رأيت الليلة في النوم رجلا جليلا من أهل الشام أعطاني قصعة بها آثار قطن فيه بعض قضامة مربوطة بخيط قنب . فأردت ان ادخل عليه سرورا قلت له : يا تعاتير من مناسبة الخبال القضامة وهي ذهب وفضة في وعاء مشدود معقود تناله من بعض رؤساء الشاميين .

فسر بذلك وفارقني فأخذت أتعجب من الاتفاق وذكر هذه الاربعة قافات المجلوبة من الشام الى القاهرة وفيما انا في مثل هذا السياق اذا أنا به في اليوم الثاني جاءني وهو يضحك فقلت ما بالك وما خبرك. قال: فارقتك فأخذت لي قطعة جنب ورطب وجلست أكلهم برغيف في عقبة قدام المقياس واذا برئيس شامي في خدمته عبيد وغللمان نزل الى تلك العقبة وقال للنوتي اطلع بنا المقياس لنزوره وزورنا الآثار وقال لغلمانه لا قونا بالخييل الى الآثار فنهرني بعض العبيد وقال ما تخرج. فقال له سيده دعه يؤانسنا. وسألني عن اسمي فقلت له الناس يسموني تعاتير وانما اسمي ابو الخير. فتهلل وجهه وقال: هذا المكان ما اسمه فاقول له كيت وكيت وهذا يعرف بكذا الى ان توجهنا الى درج الآثار وأراد الطلوع واذا بمنديل سقط منه في المركب فبادرت لمناولته اياه فقال لي اعط منه للنوتي دينارا وخذه لك بما فيه فقبلت يده وقال لي ما تروح معنا قلت له مرسومك هذا النوتي ابن حارقي وارجع معه فقال ادع لنا. وتركته وأنا لا أصدق من الفرح فقلت لبعض غلمانهم ايش يقال لهذا الرئيس بين الشاميين قال هذا القاضي بدر الدين بن المزلق فدعوت له وانصرفت أجد بالمنديل خمسة دنائير ذهباً وسبعين نصفاً فدفعت للنوتي دينارا وجئت لأتشكر منك على تعبير المنام واخبرك بتفسيره فقلت له هذا أعجب من الأول. انتهى.

وغالب ما عددناه وأوردناه من محاسن الشام انفردت به دون غيرها ويحمل منها الغالب البلاد لكثرة خيرها ومن اعاجيبها ان خيرها في الغالب لغير بنيتها حتى انه ينسى الاهل والاطوان ولو فارقتها لعاد اليها على طول الزمان.

وقال القاضي الفاضل:

يقولون لي ماذا رأيت بشامهم
فقلت لهم كل المكارم والفضل
فبلدتهم خير البلاد واهلها
فاحسانهم تغني الغريب عن الاهل

وقال ابن سعيد:

في جلق نزلوا حيث النعيم غدا
مطولا وهو في الآفاق مختصر
فالقضب راقصة والطير صادحة
والنسر مرتفع والماء منحدر
لكل واد به موسى يفجره
وكل روض على حافاته الخضر

وقال ابراهيم بن عبدالله الانصاري متشوقا اليها:
رعى الله اياما تمضت بجلق
لقلبي عليها أنه وتوجع
رحلت وابراد الشباب قشبة
وغدت واسمال المشيب ترقع

وقال الشيخ شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفي يتشوق اليها:
ادمشق لا بعدت ديارك عن فتى
ابدا اليك كله يتشوق
اشتاق منك منازل لم انسها
انى وقلبي في ربوعك موثق
انى اتجهت رأيت دوحا ماؤه
متسلسل يعلو عليه جوسق
والرياح تكتب والجداول اسطر
خط له نسخ الغمام محقق
ومعاطف الاغصان هزتها الربا
طربا فذاك نما وهذا مونق
تتلو على الاغصان أخبار الهوى
فيكاد ساكت كل شيء ينطق

فصول دمشق وخصائص كل فصل

ومن محاسن الشام ان كل نزهة ذكرناها لها أوانٌ يتفرج أهل البلد فيه وزمان
يتعاهدونها به ويرجعون اليه ويعجبني قول ابن فائد البحراني:

برزت دمشق لزائري أوطانها
من كل ناحية بوجه ازهر
لو أن انسانا تعمد أن يرى
مغنى خلا من نزهة لم يقدر
ومن لطائفه قوله في الذهبيات وقد عاد إليها في الخريف:
صبغت بلون ثمارها أوراقها
فتكاد تحسب انهن ثمار
لو كان مكتوبا عليها يوسف
شهد الصيارف أنها دينار
ومن محاسن ابن ديار قوله في الذهبيات:

انظر الى ذهبيات الغصون وقم
الى المدام وواصلها الى العنق
أما ترى النهر بالتصفيق أطربها
فنقطته دنائيرا من الورق
ونقلت من خط الزيني ابن الخراط قوله:

اتانا الخريف نديمي فقم نجدد الرياح عيشا ذهب
إذا ما جلونا عروس الطلا على الغصن نقطها بالذهب
ومن المعاني التي افتضاها الرغادي:

يا. ورقا بالخريف يحكي على النحور المسلسلات
شبه الدنانير صففوها على سيوف مسلسلات
ونقلت من خط بلدينا العلاء بن ايك الدمشقي:

لا تخش يا محبوب من فاقتي
فعن قريب ذهبي يأتي
فاذهب لفضيات ذا بالطلا
واستجلها في الذهبيات
ونقلت من خط المرحوم شيخ الاسلام شهاب الدين بن حجر:
قد قال زهر الروض من ذا الذي
فضل فضل الذهبيات
ما ذهبي يذهب من حجلة
مودعا بل ذهبي يأتي
ويعجبي قول المعوج الشامي وتلطف بقوله:
تأمل تر أرض الخريف عيلة*
من البرد حتى عادها وابل القطر
وعالجها فصل الربيع فعوفيت
فقطها الازهار بالبيض والصفير
ومن محاسن الشام صيفيتها وانها معلنة بحياة الازهار ونمو الاثمار. ولهذا قال الحافظ
اليغموري:
واستنشقوا لهو الربيع فانه
نعم الصديق وعنده الطاف
يغذي الجسم نسيمه فكأنه
روح حواها جوهر شفاف
ويعجبي قول ابن قرناص فيه:
بعث الربيع رسالة بقدومه
للروض فهو بقربه فرحان
ولطيب ما قرأ الهزار بشدوه
مضمونها مالت به الاغصان

وشتوبتها مؤذنة بموت الاشجار بالاصفرار، وتغسيلها بعد التجريد بالامطار.
ولهذا قال الحافظ اليعموري :

خذ في التدفي بالخريف فانه
مستوبل ونسيمه خطاف
يجري مع الاجساد جري حياتها
كصديقها ومن الصديق يخاف
ومن الدر النظيم قول ابن تميم:

يا شهر كائنون من حب الغصون امث
الارض وجدا وأبكيت السما حزنا
والمزن غسلها من فيض أدمعه
،والثلج جاك لها من نسجه..كفنا

لكن يعتدون للشتاء بالاسمان والادهان ويمنون البيوت بالحبوبات، ولحم
القديد والمعسولات والفاكهة المعلقة، والحلاوات المؤنقة. ويكونون في الاماكن
المبخرات ولا يخرجون منها. فانها بلدة كثيرة المحاسن، وماؤها غير آسن. وهي
مباركة فيها البركة وعيشها رغد في السكون والحركة. ولكن استقرى من كان مولده
فيها لم يزل في قبض، ما دام بها الا أن ينزل الى تحت الارض ويقال أنه لا يوجد بها
اثنان من أهلها على قلب واحد متصافيان.

بركات دمشق

ويقال ان من قصدها بسوء ونواه اكبه الله تعالى فيه وأعره. ولما قدم عبدالله بن
علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهم دمشق وحاصر أهلها فلما دخلها وهدم
سورها وقع منه حجر كان عليه مكتوب باليونانية فارسل خلف بعض الرهبان فطبعه
وقراه فاذا عليه مكتوب: ويك ام الجبابرة من رماك بسوء قصمه الله. ويك من
الخمس الاعين. نقض سورك على يديه بعد الف سنة. فوجدوا الخمس الاعين عبدالله
بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب.

فهي بلدة كثيرة البركات غزيرة الخيرات، نعم بلدة الانبياء، وموطن الاصفياء والاولياء. وبها صحابة من الاجلاء ومقابرها حوت امثال الفضلاء.

جبانات دمشق والعظماء المدفونون فيها

ومنها جبانة باب الصغير بها بلال الحبشي رضي الله عنه وبها السيدة سكيئة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وبها السيدة زينب بنت الامام علي رضي الله عنهما وبها معاوية رضي الله عنه، وبها اويس القرني رضي الله عنه، وبها أبو عبيدة بن الجراح على ما قيل خارج الجامع المعروف به (٤٤).

(٤٤) زاد ابن الخوراني في كتابه (الاشارات الى اماكن الزيارات) أن من الصحابة المدفونين في (الباب الصغير): اوس ابن اوس الثقفي الصحابي من أهل الصفة، ذكره النووي في (تهذيب الأسماء). وأبا الدرداء عويمر الخزرجي الصحابي، ولي قضاء دمشق لعمر. وزوجته أم الدرداء الصغرى مدفونة بقربه. ووائل بن الاسقع من أهل الصفة، خدم النبي ﷺ ثلاث سنين. وفضالة بن عبيد، ولي قضاء دمشق لمعاوية ودفن عند أبي الدرداء. وحمل معاوية نعشه وقال لابه «اعني فاني لا أحل بعده مثله».

وسهل بن الربيع الأوسي الصحابي.

ويسرة بن فاتك الأسدي أخا خزيم بن فاتك، وهو الذي قسم دمشق بين المسلمين بعد فتحها.

وشمعون بن خثانة أبا ربحان الأسدي الأنصاري.

ومكحولاً مولى سعيد بن العاص، سمع من انس ووائل.

ونقل ابن الخوراني عن الهروي في (الزيارات) أن في (مسجد النارنج) بباب الصغير ثلاثاً من أزواج النبي ﷺ، وفضة جارية فاطمة، وقبر سهل بن الحنظلية، وقبر ام الحسن بنت حمزة بن جعفر الصادق، وقبر علي بن عبد الله ابن العباس، وقبر ابنه سليمان، وقبر زوجته ام الحسن بنت جعفر ابن الحسن بن الحسين. وبمقبرة باب الصغير أيضاً قبر خديجة بنت زين العابدين، هؤلاء في تربة واحدة. وقبر سكيئة بنت الحسين. وقبر محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

وبها قبر كثير من الاولياء والصالحين لم يعلموا، لما قيل من أن مقبرة باب الصغير حرثت وزرعت بعد مائة سنة، فلذلك لا تعرف القبور.

ونقل عن الحافظ ابن طولون في (بهجة الانام) أن قبر معاوية الكبير في الحائط القبلي من جامع دمشق في قصر الامارة (الخضراء)، وهو الذي تسميه العامة (قبر هود). أما الذي في الباب الصغير فهو قبر أبي ليلى معاوية الثاني ابن يزيد. وذكر صاحب (مثير الغرام) أن (الوليد بن عبد الملك) - الذي بنى مسجد دمشق ومسجد النبي ﷺ وقبة الصخرة المقدسة في بيت المقدس - دفن سنة ٩٦ بمقبرة باب الصغير شمالي قبر معاوية بنحو عشرين ذراعاً وقبره ظاهر معروف يزار.

وفي الباب الصغير من العلماء الشيخ حماد وهو من القدماء. ومنصور بن عماد بن كثير السلمي. وعمر بن الحسن ==

ويليها مقبرة محلة القروانة وبها جماعة من الاجلاء والفضلاء.

ومنها جبانة باب شرقي بها أبي بن كعب رضي الله عنه، وبها جبل بن معاذ رضي الله عنه، وبها ضرار بن الازور رضي الله عنه في حارة السادة القدماء عفا الله تعالى عنهم.

وتليها مقبرة الشيخ رسلان أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وعنده جماعة من الاماثل والاجلاء الافاضل (٤٥).

وخارج باب توما شرحبيل كاتب وحي رسول الله ﷺ والسيدة خولة بنت الازور رضي الله عنهما.

وجنات بيت لها بها سادة وأعيان وصالحون لهم قدر وشأن.

ويليها مقابر باب الفراديس بها أبو الدحدح الصحابي رضي الله عنه، وبها عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما (٤٦).

الخزقي من تابعي أصحاب أحمد بن حنبل وهو مؤلف «المقنع». وأبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي النابلسي شيخ الشافعية بالشام وقد اجتمع به الغزالي واستفاد منه. وأبو البيان محمد بن محفوظ القرشي شيخ الطائفة البيانية ويعرف بابن الحوراني. قال ابن كثير له تألف كثيرة وكان هو والشيخ رسلان أولاً مجاورين في المسجد الذي في رأس درب الحجر في أواخر السوق الكبير قريباً من الباب الشرقي. والحافظ الكبير ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر صاحب (تاريخ دمشق) دفن شرقي مدفن معاوية. وتاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الفزاري المعروف بابن الفركاح تلميذ ابن الصلاح والسخاوي وابن عبد السلام. وبدر الدين ابن مالك. وأبو الربيع سليمان ابن بلال الجعفري الهاشمي تلميذ الفزاري والنووي. وابن هشام وابن رجب. وابن قيم الجوزية. وإبراهيم الناجي. وأبو العباس أحمد الملي.

(٤٥) قال (ابن الحوراني) الشيخ ارسلان الدمشقي ابن يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد الله الجعبري. مدفون مع شيخه أبي عامر المؤدب، توفي بعد الأربعين والخمسمائة.

(٤٦) قال (ابن الحوراني): وفي مقبرة باب الفراديس مشهد الخضر، وعنده قبر محمد بن عبد الله بن الحسن المقدسي ثم الدمشقي المعروف بأبي شامة وكان له شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر توفي سنة ٦٦٥. وفي مسجد الأقطاب سوق حجر بن عدي الصحابي وأصحابه.

ومقبرة سوق صاروجا بها صالحون من أجل المسلمين.

ومقابر الصوفية بها جماعة من العلماء أئمة الدين وصالحى المسلمين كابن الصلاح وأبن تيمية وابن المبارك وغيرهم^(٤٧)

ويليها مقبرة القنوات وباب السريجة وبها علماء الامة واهل الرحمة. آخر من دفن بها شيخنا المرحوم العلامة محب الدين البصروي الشافعي رحمه الله.

ومنها جبانة الحميرية^(٤٨) وبها المرحومون من الاولياء والصالحين.

ومنها مقابر محلة السيدة عاتكة رضي الله عنها ويقال ان في ظاهرها ضريح المساك لركاب النبي ﷺ رضي الله عنه.

ومنها جبانة محلة القبيات وبها العلماء العاملون والمجاهدين والصالحون كالسيد الشريف الشيخ الزاهد العالم تقي الدين أبي بكر الحصني الشافعي امدنا الله بمدده.

وهذه جملة المقابر التي في المدينة الخارجة عن مقابر الصالحية والقابونين وغير ذلك.

وتمَّ صحابة في قرى الضواحي رضي الله عنهم كسعيد بن عباد رضي الله عنه

(٤٧) مقابر الصوفية هي الواقعة الآن في حديقة مستشفى دمشق على نهر بانياس عند محطة البرامكة غربي دمشق. قال ابن الخوراني: ومن دفن فيها (قطب الدين أبو المعالي مسعود ابن محمد بن مسعود) انفرد في دمشق برئاسة الشافعية توفي في رمضان سنة ٥٧٨.

وممنهم (الفخر ابن عساكر) توفي سنة ٦٢٠ ودفن مقابل قبر ابن الصلاح) المتوفي سنة ٦٤٣.

وممنهم (عبد الرحمن بن نوح) من أشياخ النووي وكان مفتي دمشق في وقته توفي سنة ٦٥٤.

وممنهم (عماد الدين بن كثير البصري القرشي) توفي سنة ٧٧٤ ودفن عند شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨.

وممنهم (ابراهيم بن سليمان الحموي) له شرح الجامع الكبير في ست مجلدات وشرح المنظومة في مجلدين.

وممنهم (ابراهيم بن عبد الرازق الحنفي) شارح القدوري توفي سنة ٨٠٧.

(٤٨) قال ابن الخوراني هي بمحلة الشويكة ومن دفن فيها أحمد بن بدر الدين الحنفي المتوفي سنة ٩٣٤، ومحمد بن الحر الحنفي توفي ٧٨٩.

بارض المنيحة^(٤٩) وتميم الداري رضي الله عنه بقرية تميم التي سميت به وابو الدرداء رضي الله عنه فانه داخل قلعة دمشق والسيدة زينب الكبرى بنت الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وهي اخت أم كلثوم الكبرى التي تزوجها عمر رضي الله عنه وكانت مع اخيهما الحسين لما قتل وقدمتا الشام وهاتان والحسن والحسين ومحسن الذي مات صغيرا أولاد الامام علي من فاطمة رضي الله عنهما ثم تزوج بعد موت فاطمة وتسرى فجاءه بنون وبنات ومن جملة البنات زينب الصغرى وأم كلثوم الصغرى، وهكذا ذكره شيخنا الحافظ برهان الدين الناجي رحمه الله تعالى ورضي عنه. وقال الشيخ العارف أبو بكر الموصلي رحمه الله تعالى في كتابه (فتوح الرحمن) توفيت السيدة زينب الكبرى بنت علي رضي الله عنهما بغوطة دمشق عقيب محنة أخيها ودفنت في قرية من ضواحي دمشق اسمها راوية ثم سميت البلدة بها فالآن يقال للبلدة الست ولا تعرف الا بقبر الست رضي الله عنها قال: وكنت ازورها في أول أحد من العام، ومعني جماعة من أصحابي الفقراء، ولا ندخل الى قبرها بل نستقبله ونغض ابصارنا، لما قرره علماؤنا في أن الزائر للميت يعامله بما لو كان حيا من الاحترام، فبينما أنا في البكاء والخشوع والحضور وكأني بها وقد تراءت لي في صورة امرأة كبيرة محترمة موقرة لا يقدر الانسان ان يملأ نظره منها احتراما فاطرقت فقالت: يا بني زادك الله ادبا لم تعلم ان جدي رسول الله ﷺ واصحابه كانوا يزورون أم أيمن^(٥٠) لكونها امرأة محترمة وبشر الامة أن جدي محمدا ﷺ وجميع اصحابه وذريته يحبون هذه الامة، الا من خرج عن الطريق فانهم يبغضونه. فلحقني ازعاج من كلامها غيبي فلما عدت الى الحس لم أجدها فواظبت على زيارتها الى يومنا هذا انتهى.

وبالقرية المذكورة ضريح السيد الجليل، مدرك الفزاري الصحابي اعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته.

(٤٩) نقل ابن الخوراني عن النووي في (تهذيب الاسماء) قال: سعد بن عبادة الصحابي الانصاري الخزرجي الساعدي كان نقيب بني ساعدة وصاحب الانصار في المشاهد كلها، قال فيه رسول الله ﷺ «انه من بيت جود» شهد العقبة وبدرًا والمشاهد، توفي سنة ١٦ واتفقوا على أنه كان بحوران ومات بها، قال الحافظ ابن عساكر وغيره: هذا القبر المشهور في المنيحة يقال انه قبر سعد بن عبادة فيحتمل أنه نقل من حوران اليها.

(٥٠) قال الزبيدي في التاج: أم أيمن امرأة أعتقها ﷺ وهي حاضنة أولاده فزوجها من زيد فولدت له اسامة.

وهذا الذي وصل الينا من معرفة من بدمشق من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين . وتم فيها من الانبياء والصحابة والاولياء الصالحين غير ما ذكرناه لكن لتوالي المحن واندراس العلم والمعاهد والدمن وبانقراض المخبر انقطع الخبر فلا عين ولا اثر .

فان الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى قال في شرح سنن أبي داود الشام من العريش الى بلس وقيل الى الفرات وقال ابن السمعاني هي بلاد بين الجزيرة والغور الى الساحل ويجوز فيها التذكير والتأنيث والهمز وتركه وأما شام بفتح الهمزة والمد فأباه اكثرهم الا في النسب انتهى والله أعلم .

فعلى هذا انظر ما في بلاد الشام من الانبياء والصحابة والصالحين قال الحافظ العراقي «دمشق بلاد الانبياء وموطن الاصفياء من الصحابة والتابعين والاولياء» وبسندي الى النبي ﷺ انه اخبر انه زويت له مشارق الارض ومغارها وقال سيبلغ ملك امتي مازوى لي وانهم سيفتحون مصر وهي أرض يذكر فيها القيراط وان عيسى ينزل على المنازة البيضاء شرقي دمشق . انتهى .

واما فضائل الشام فكثيرة ومحاسنها جمة غزيرة ، وبركاتها مشهورة واخبار خيراتها ماثورة . ولهذا أطلقنا عنان القلم في غيضاتها وروضاتها وقطوفها الدانية للمتفكر في متنزهاتها ، وهيمنا الى الدور في تسلسل انهارها ونبهنا الاحداق في حدائق ازهارها .

* * *

وقد ختمنا كتابنا بذكر الانبياء والصحابة والاولياء والمشايخ والصالحين والعلماء العاملين وذكر المقابر ، فان كل انسان اليها صائر . ونحبس عنان جواد القلم في ميادين طرسه ، فان من دخل الى المقابر انقطعت اخباره بتواريه في رسمه .

والله تعالى اسأل ان يؤنسنا بالقرآن العظيم في قبورنا وان ينقلنا منها الى الجنان بمحمد شفيعنا ﷺ صلاة وسلاما يتأرجح شذاهما ملء الاكوان ويفوح ضوعهما على نشر الازهار وطى عرف الريحان ويكون كالنسيم في دوره بين الرياض والتنسيم فيكون آخر منتهاه أول مبتداه ان شاء الله تعالى بكرمه ومنه .

الفهرس

صفحة

خطبة المؤلف والحنين إلى دمشق	٥
ما ورد من الحديث في الشام	٩
اشتقاق اسم الشام	١١
بناء دمشق	١٤
بناء قصري جيرون والبريد	١٦
أبواب دمشق	١٧
الفتح العربي	١٩
مسجد دمشق وفضله	٢٠
بناء الوليد المسجد	٢٢
مآذن المسجد وبعض ما كان فيه	٢٥
نفقات البناء	٢٦
وصف ابن حبيب الحلبي مسجد دمشق	٢٧
وصف مسجد دمشق	٣١
وصف قلعة دمشق	٣٥
حي تحت القلعة	٣٦
بين النهرين في دمشق	٣٧
نواعير دمشق	٣٨
الشرفان، والشقرا والميدان	٤١
مرجة دمشق	٤٣

٤٤ محلّتا الخللخال والمنبيع
٤٥ متنزه الجهة
٤٦ متنزه قطية
٤٧ متنزه البهنية والنيرين
٤٨ ربوة دمشق
٦٠ حواكير دمشق ورياحينها
٦١ ورد دمشق
٧١ نرجس دمشق
٧٩ بنفسج دمشق
٨١ منشور دمشق
٨٤ سوسن دمشق
٨٧ زنبق دمشق
٨٧ بهار دمشق
٨٨ أقحوان دمشق
٨٩ آذريون دمشق
٩١ البابونج وزهر الكركيش
٩١ الآس
٩٦ شقائق النعمان
١٠٣ النيلوفر
١٠٧ البان
١٠٨ قف وأنظر
١٠٨ تمر الحنا
١٠٩ الحيلاني
١١٠ الزنزلخت والسرو

صفحة

دواليب دمشق	١١١
أرض المزة واللوان	١١٣
المشمس	١١٣
القراصية	١١٦
الكمثري	١١٧
التفاح	١٢٠
الدراقن (الخوخ)	١٢٤
الاجاص والبرقوق	١٢٦
زيتون كفر سوسة وسائر دمشق	١٢٧
المزاز وأرض الشويكة: الرمان	١٢٨
البطيخ الهندي (الاحمر)	١٣٢
العنب	١٣٣
اللوز وزهره	١٤٠
مرج الشيخ رسلان: الخشخاش	١٤٩
غیضة السلطان وست الشام	١٥٣
ضمير وبطيخها الاصفر	١٥٣
التين	١٥٧
الخيار والقثاء	١٥٩ - ١٦٠
بيت لهيا والعنابة (مواطن ادم وحواء)	١٦١
العناب	١٦٢
أراضي سطر ومقرى	١٦٣
متنزه اليك	١٦٤
الهلون	١٦٥

صفحة

الطرخون	١٦٦
الكرنب والقنبيط	١٦٧
الباذنجان الأحمر	١٧٠
الكراث	١٧١
الجزر	١٧٢
الزعر والفعجل	١٧٣
السذاب	١٧٤
النعناع والرشاد والبقلة الحمقاء	١٧٤
الاسفناخ والكرفس والسلق	١٧٥
الهندباء	١٧٥
البصل	١٧٦
الثوم	١٧٦
الكسفرة والكرامية والكمون	١٧٦
القرع	١٧٧
الكمأة	١٧٩
اللوبياء والارز	١٨٠
لباقلاء والذرة والدخن	١٨٠
الماش والقرطم والعدس	١٨٢
السهم وبزر قطونا والترمس	١٨٣
الحمص	١٨٣
الحلبة والخس	١٨٤
مأثرة لسليمان بن عبد الملك في غرس الشجر	١٨٥

صفحة

البندق	١٨٥
الفستق	١٨٦
متنزه السهم	١٨٨
أرض بزار وبهران، والكلام على التوت	١٨٩
الصالحية وتلاعب النظار أوقات المدارس والمساجد	١٩٠
البلح والرطب والقصب والطلع والبسر والتمر والنخيل	١٩٢
الأترج	١٩٦
الليمون	١٩٨
النارنج	١٩٨
جبل قاسيون والكهف	٢٠١
الشيخ والسماق	٢٠٢
الزعرور	٢٠٣
الزيفون	٢٠٤
الخرنوب	٢٠٥
قرية (منين) والجوز	٢٠٥
الثلج	٢٠٦
القلقاس	٢٠٨
الموز	٢٠٩
قصب السكر	٢١٠
عودٌ إلى غوطة دمشق وإنها جنة الدنيا	٢١١
صناعات دمشق	٢١٤
قافات دمشق	٢١٥

صفحة

٢١٨	فضائل دمشق
٢٢٠	بركات دمشق
٢٢١	المدفونون في دمشق من العظماء

